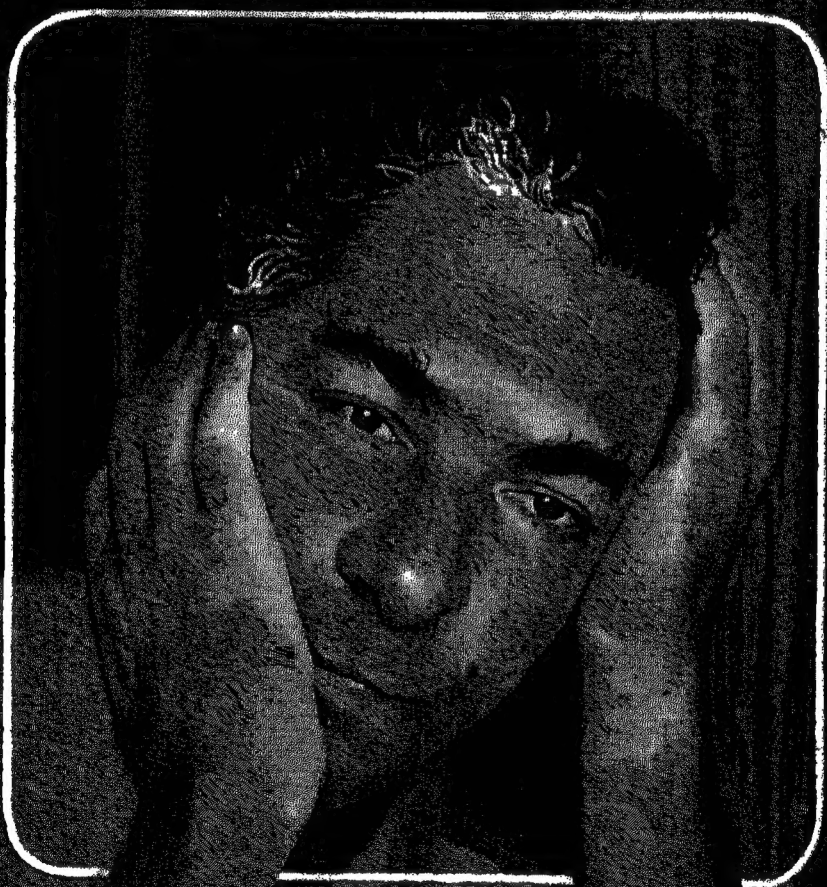


أنيس فهد

من نفسي



دار الشروق

من نفسی

الطبعة السادسة

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعة السابعة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثامنة

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

الطبعة التاسعة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد العتوم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيدي بويه المصري -

رابعة العدوية - مدينة نصر

ص.ب. ٣٣ البانوراما - تليفون: ٠٢٣٣٩٩٤

فاكس: ٠٣٧٥٦٧٤ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

أنليس فنلاند

من نفسي

دار الشروق

أقصى وأقصى ما يستطيع

ونحن صغار كان يقال لنا : من يفتح حبة قمح فسوف يجد اسم الله مكتوبا عليها ..

وكنا نفتح حبة القمح ..

وكنا نجد اسم الله مكتوبا ..

ولم تكن نعرف ونحن صغار - لاننا صغار - أن حبة القمح معجزة في ذاتها . وأن الله ليس في حاجة إلى أن يوقع باسمه الكريم عليها .. كم حبة - بل كم معجزة - كم بذرة .. في ملايين الملايين من الأشجار .. وكم لونا .. وكم شكلا وجمعا وطعما ووزنا وحلاوة ومرارة . كم عدد هذه الحبوب اللانهائية .. وكلها أدلة على عظمة الله ؟

والكاتب ، إنما يحاول أن « يقترب » من الله عندما يضع اسمه على كل شئ .. وعينه على كل لون ، وأذنه على كل صوت ، وأنفه على كل عطر ، وأصبعه على كل جسم .. ثم يقول : إنني هنا .. إنني موجود أيضا .. أرى وأسمع وأتذوق .. وأحب وأكره ..

وبعد ذلك كله يمسك قلمه ليقول .. فيضع قلمه على الورق .. ويترك القلم يجري وراء ظله .. أو يتركه يلاحق لعابه الأسود .

وكما أن العين لا بد أن ترى ، والاذن لا بد أن تسمع ، والأنف لا بد أن يشم .. والقلب لا بد أن يدق ، فكذلك الآخرون ..

الكاتب لا بد أن يقول ما في نفسه .. وما في نفوس ..

والكاتب فقط « يقترب » من الله ..

ولذلك فهو لا يستطيع أن يرى كل شيء وأن يسمع كل شيء .. وإنما فقط بعض الأشياء وبعض الأصوات وبعض المعاني .

وليس في استطاعة أحد أن يقول كل شيء عن أي شيء .. أو حتى عن شيء ..

وإنما فقط أن يقول القليل عن القليل ..

فالكاتب ككل إنسان : محدود ..

لأنه يفكر في الدنيا من خلال بضعة ثقوب .. بضع فتحات : عيناه وأذناه وألفه ..

وهذه الفتحات ضيقة ..

وهي فتحات في حوائط من نوع غريب اسمها : الامل واليأس والخوف والحب والكراهية ..

فن وراء هذه الحوائط نلمس الدنيا .. وتلمسنا الدنيا ..

وهذه الحوائط تعزل الدنيا عنا ، وفي نفس الوقت تجعلنا نراها أوضح .. إن هذه الحوائط مثل زجاج النظارة .. مثل زجاج الميكروسكوب .. والتلسكوب .. هي حوائط شفافة تقف بيننا وبين العالم حولنا .. ولكنها تقربه وتوضحه .. فهذه الحوائط ترى بعيوننا ،

ونرى بعينها - كما قال الشاعر القديم ..

ومعنى ذلك أننا نرى الدنيا من خلال ثقب في ثقب في حائط .. أى
من عين بعد عين ..

الى هذه الدرجة يصبح عالمنا محدوداً .. عالم الكاتب والفنان ..
ولكن الكاتب ، رغم ذلك ، يحاول أن يرى أبعد ، ويسمع
أعمق ، ويلمس أرق ، ويشم أكثر ..
ولا أحد قال كل شئ .

ولا استطاع ا

وكل كاتب يحاول ..

ويكفى أنه حاول ..

وما أجمل ما قال الاديب العظيم أوسكار وايلد عندما عاب الناس
على أحد عازفى البيانو انه لم يحسن العزف فقال : لا تلوموا العازف ،
انه يبذل أقصى ما يستطيع ا
وكلنا ذلك العازف .

وكلنا يعزف على أوتار نفسه .. ليسمعه ويراها الآخرون ا

أنليس فنس

المرأة أكبر دليل على ذلك

هل تعرف أين توجد جبلاية القروود ؟

إنها ليست في المكان الذى خطر على بالك .. انها في شارع قصر النيل ..
اخطف رجلك الى شارع قصر النيل وانظر على الأرصفة التى اتسعت ،
والتي سرقت منها سلال المهملات لعاشر مرة . سوف تجد أنواعا من الأزياء
ليس لها نظير في أية مجلة للفساتين . فالموضة هى الفساتين التى طالت إلى ما
تحت الركبة بشهرين - هذا إذا كانت هناك ركبة : أطول من شهرين في مصر
كلها - وأطول من ذلك بشهر . هذه الفساتين اسمها « الحركى » : الفستان
« المبدى » أى نصف الركبة .. والفستان الماكسى أى الذى يطول على ذلك
بشهر آخر .. والموضة أيضا البنطلونات الواسعة التى يسمونها : البنطلونات
الجرس ، لا بسبب رنين السلاسل التى لفتها المرأة حول وسطها .. ولكن لأنه
له شكل الجرس .. أى متسع من أسفل وضيق من أعلى .. وبعبارة أخرى
هذا البنطلون اسمه : قمع السكر .

وأنا لا أناقش الألوان .. لأنه لا أمل في أن تعرف السمرء والصفراء
والبيضاء ما يناسبها من الألوان .. ولا أمل في إيجاد حل لها أو علاجها ..
لأنها مسألة تتعلق بالذوق وتتعلق بتوافر الألوان والنقشة المطبوعة محليا ،

والنقشات المطبوعة محليا مكررة وهى إشهار مستمر للإفلاس فى الذوق الفنى.
أما التفصيلات فهى مضحكة .. ويبدو أن كل واحدة قد وضعت يدها
على أى كتالوج عند أى ترزى واختارت وهى مغمضة العينين .. فكانت
فساتين السهرة للشارع . وقصان النوم للرصيف والاحمر للسراء والاخضر
للصفراء .. والطويل للقصيرة .. والقصير للطويلة .. وتزاحمت السلاسل فى
الخصور وأطواق الكلاب فى الأعناق .. ومن العجيب أن كل هذا يحدث
باسم الأناقة ومسايرة الموضة .. وبمنتهى العقل ، أو بقلة العقل يقوم (رجال
بتمويل هذه) الكرنفالات . والموضة نفسها لا تبعث على الضحك فسوف
تكون هناك موضة دائما .. ولكن الذى يضحك هو أنك لا تستطيع أن
تصرخ بأعلى صوتك وتقول : الحرامية . امسكوا الحرامية . لأنه من المؤكد
أن سطوا قد حدث على أحد محلات الأزياء ، واختارت كل واحدة ما
وجدته أمامها .. مهما كان لونه وطوله وعرضه وثمنه ! .

وهذا الكرنفال لا يؤكد فقط قلة الذوق ، وانما يؤكد انتشار الموضة
بسرعة جدا .. ويؤكد ما هو أهم من ذلك - ان الإنسان أصله قرد وأن
المرأة هى أكبر دليل على ذلك !

البكاء بطيل العمر

غلطان جدا الذى قال لنا وللملايين قبلنا : الدموع للمرأة . أما الرجل فلا .. !

ولابد أن يكون صاحب هذه النصيحة قد لاحظ أن المرأة تبكى كثيرا لسبب ولغير سبب . وأن الذى تذرفه المرأة كثير جدا . وأن الرجل لا يستطيع أن يجارها .. وأنه من الأفضل أن يكف عن المحاولة . ولذلك نصبح الرجال بألا يحاولوا .

وظلت هذه المحاولات متروكة للأطفال . فإذا بكى طفلة قالوا : أليست هى حواء صغيرة ؟ وإذا بكى طفل قالوا له : عيب ستصبح رجلا ! فأصبح البكاء عادة وضرورة ولحنا مميزا للمرأة . وعيبا عند الرجال وعارا أيضا .

وحرمتنا هذه القاعدة التربوية من نعمة كبرى لا تعرف المرأة قدرها .. الدموع تغسل العين وتجلوها . وتجعلها أكثر لمعانا . فلولا أن العيون مبللة بقليل من الدموع لالتهمت وفقدت القدرة على الإبصار .. لأن الدموع طبقة عازلة وواقية . والمرأة عندما تبكى فإنها تخفف توترها العصبي .. والدموع تريحها . ولذلك فالدموع نعمة . انها دموع التماسيح . فالتمساح يبكى عندما ينجح فى

اصطياد الفريسة . وعندما يأكلها .. فدموعه مظهر من مظاهر الارتياح .
ومن مظاهر التخفيف عن توتره العصبي .. وكذلك دموع المرأة !

أما الرجل فإنه مع الأسف لا يعرف كيف يبكي .. إنه يغلى من الداخل
تماما كأنه يغلى ويتبخر ويحتبس البخار في نفسه .. أما الغليان في داخل المرأة
فإنه يصادف جسما باردا فيتحول البخار إلى قطرات دموع .. وإذا كانت
المرأة تنفجر بالدموع ، فإن الرجل ينفجر فقط !

ولذلك فهموم الرجال تقتلهم ..

وهوم النساء تذيبهن وترميهن ..

وتعطين خبرة وقدرة على تحمل هموم أخرى أكبر . وقد يموت الرجل من
هم واحد ينفجر في داخله .. ولا تموت المرأة من عشرات الهموم — لأنها
تبكي .. أى لأنها تريح أعصابها أولا بأول . فالدموع نوع من « الفائص »
عن حاجة الجسم .. وهناك رجال كثيرون يقولون : لو كنا نعرف كيف نبكي !

ومن الأصح أن يبكي الرجل أمام الناس ، لأنه إذا بكى سرا فعنى ذلك
أنه يخجل من دموعه . من ألمه .. والألم ليس ترفا . انه ضرورة . والتأوه
ليس عيبا . وأهون أن يعصر الإنسان عينيه بيديه ، من أن يعصر قلبه ويحطم
حياته .. فالدموع تاج على رأس المرأة لا يعرفه إلا الرجل .. ولأن الرجل
يريد أن يكون « رجلا » فإنه لن يبكي ، ولذلك يتركون العمر الطويل للمرأة
دائما ..

ابكوا .. ابكوا .. تطل أعماركم ! .

بين اثنين أحدهما ميت

ليس أسهل من علاقة جنسية بين ذكر وأنثى ، عند المرأة والحيوانات .
انها علاقات متينة ناجحة خصيبة ، من ملايين السنين . وهذه العلاقات
الجنسية بين الناس ممكنة أيضا . وهى لا تحتاج إلا لنفس الدوافع الغريزية
الموجودة عند الحيوانات الأخرى . وفى المجتمعات الإنسانية ملايين يحققون
هذه الرغبات بنفس الحيوانات ، أى لا يشترطون أى عاطفة أو احترام ..

أصعب من العلاقات الجنسية : الزواج ..

فالزواج علاقة أو رباط من الممكن أن يكون جنسا خالصا . مجرد التقاء
رغبات ومصالح . وهناك زيجات قائمة على مجرد رغبة أحد الطرفين فى الآخر
دون أن يكون هناك اتفاق من الطرفين على قيام هذه الشراكة . ملايين الفتيات
تزوجن رجالا لا يشعرن لهم بأى حب .. وكل هذا الزواج حيوانيا من ناحية
الرجل ، وهتك عرض من ناحية الفتاة . وقد أمكن مثل هذا الزواج من
مئات الألوف من السنين .. ولا يزال ممكنا !

أصعب العلاقات الزوجية : الحب ..

فالحب معناه التقاء حر بين رغبات كثيرة نفسية واجتماعية وعقلية وجسمية
أيضا . ومحاولة مستمرة بين الاثنين على توفيق كل وجهات النظر حتى تكون

وجهة واحدة . وفي الحب قوة عجيبة غريبة قادرة على تحريك كل الطاقات
المخزونة والمعطلة في الأعماق الإنسانية .. كأن هذه القوى الغريبة تحرص على
أن تجعل المحب عريسا .. أو كأنه عريس مزود بكل أسلحة القوة والجمال
والحنان والأبوة والفروسية .. وتجعل الفتاة في غاية النعومة والأمومة وبعد
النظر .. من أجل أن تبقى هذه العلاقة ، ومن أجل أن يكون عش وفي العش
عصافير صغيرة تستأنف رحلة الأبوين نحو أعشاش جديدة !

والحب أصعب العلاقات وأروعها وأكثرها قسوة أيضا .. فالمحبون قساة
على أنفسهم . ظالمون لأنفسهم ولغيرهم من الناس وبيالغون في كل شيء ..
وتصبح العلاقة مرهقة للجميع . لأن الحب هو جوهر كل العلاقات . فاذا
اهتر ، اهترت الدنيا كلها !

وأصعب من الحب : الصداقة !

الصداقة بين رجل وامرأة صعبة جدا . لأن الصداقة معناها أن يرتفع
الإنسان بشعوره فوق كل ما يثير ويمتّع ويوجع أيضا . فوق اللمس . فوق
الهمس . فوق المنفعة . يرتفع الإنسان فوق الإحساس ، ولكن لا ينكره .
وارتفاعه فوق الإحساس ، معناه ألا يهتز به وفي نفس الوقت يحتفظ به وهذا
صعب . ولكن ليس مستحيلا . فما أندر أن يجد الإنسان صديقا يحبه بلا
مصلحة ، ويقدره بلا ثمن . وربما كانت صعوبة الصداقة بين الرجال والنساء
أو بين الرجال والرجال ، هي التي جعلتنا نستريح إلى زيارة المقابر .. فهذه
الزيارة لها معنى واحد : أن الصداقة لا تقوم الا بين اثنين : أحدهما
ميت .. أو من الأفضل أن يموت !

موضة الملك سنوسرت الأول

إذا كان الإنسان أصله قردا ، فإن المرأة أكبر دليل على ذلك .. فهي تقلد الموضة مهما كانت لا تناسب جسمها أو سنها أو لونها أو مجتمعها .. والموضة الجديدة التي تجعل الفستان فوق الركبة بعشرة سنتيمترات سوف تنتشر في أوروبا وأمريكا . وأول من يمشى وراء التقاليع عادة نوعان من النساء : الفتيات الصغيرات والارتستات أو المشتغلالات بالفن . أما بقية النساء العاديات فيترددن عادة . وعندما ظهرت موضة الفستان الطويل أو « النبولوك » الذي ينزل تحت الركبة في عام ١٩٤٧ (من تصميم كريستيان ديور) ترددت صاحبات السيقان الجميلة في ارتدائه . وسارعت ذوات السيقان الملتوية . وأخيرا توارت السيقان الجميلة أيضا . انها حتمية الموضة !

ولما ظهرت موضة الشوال أو « السك » ترددت صاحبات الخصور الصغيرة . وسارعت صاحبات الأرداف . لم يمض وقت طويل حتى كان الشوال قد التف حول كل الأجسام من كل المقاسات في كل الدنيا .. إنها حتمية الموضة .. أو حتمية الحل الأناقى .. للمشاكل الجسمية ! .

ومنذ القرن الرابع عشر ونساء أوروبا يمشين وراء فرنسا .. منذ أيام لويس الرابع عشر بالذات أصبحت باريس ينبوعا دائما للأناقة ، فقد كانت النساء

فى ذلك الوقت يتنافس على الملك وعلى الأمراء ، وذلك بالمنافسة فى تضيق
الفساتين وتعرية الصدور وتغطية الرأس !

واذا كانت الموضة فى الثلاثينات قد اهتمت بظهر المرأة فوضعت الأحزمة
والوردة والكرانش ، فإن الموضة بعد الحرب الثانية قد اهتمت بصدر المرأة
وتعريته .. فظهرت على الشاشة صدور عالية عارية لجين راسل وجينا لولو
بريچيدا وصوفيا لورين وكلوديا كاردينالى .. حتى اهتمت المرأة بصدرها جعلها
لا ترضع أطفالها .. مما أدى إلى إنتاج الألبان الصناعية على أوسع نطاق .
أما الآن فقد اتجهت الموضة إلى الساقين والركبتين .. ولا أحد يستطيع أن
يتنبأ بخط سير الموضة بعد ذلك ..

ولكن من المؤكد أن هذه الموضة الاخيرة ليست جديدة .. ان سنوسرت
الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة يرتدى زيا يعلو عن الركبة بعشرين
سنتيمترا ! .

طعامها الخبز طعامها القبلات

قبل أن تسافر الأميرة النمساوية ماري انطوانيت إلى زوجها الملك لويس السادس عشر قالوا لها : اسمعى يا أميرة . يجب أن تعرفى أن الرجل حيوان . كل رجل حيوان . وكل الحيوانات تريد أن تأكل . فإذا أكلت فإنها تريد أن تنام . وإذا نامت فهي تريد أن تأكل وإذا أكلت تريد أن تجد طعاما جديدا .

وجاء القسيس وقال لها : « اسمعى يا أميرة . الله وحده هو الذى يحمى المرأة من الرجل . أما الرجل فقد حماه الله منذ وقت طويل . يعنى يا أميرة : اتقى الله وصلى له دائما ! » وذهبت الاميرة إلى بلاط لويس السادس عشر فى باريس . وعقدت اجتماعا طارئا للطهاة . ووجدت أن عددهم عشرون ، نصفهم من الفتيات الصغيرات الجميلات .. فأبعدت الفتيات . وأتت بالرجال بدلا منهن .

وامتلأت مائدة الملك بالطعام الفرنساوى والنمساوى بكيات كبيرة ومتنوعة . ولكن الملك كان يتناول القليل من كل شئ . وسألت ماري انطوانيت فجاءها الرد من أمها الامبراطورة ماريا تريزة تقول لها . أبوك كان كذلك .. فليكن هناك ضيوف . كثيرون . فالضيوف تفتح شهية الملوك

خصوصا اذا كانوا منافقين .

ولا توجد أزمة منافقين في قصور الملوك . ولكن مادام الملك لا يتكلم فإن أحداً لا يتكلم : فإن الملك يأكل وحده . وسألت . وجاء الرد من أمها الامبراطورة يقول : ما كنت أحب أن أقول لك ذلك .. ولكن أطلبى اليه أن يختار هو الطعام الذى آتيه .. وإن كنت أفضل أن تبعنى بمن يسأل لك عن الطعام الذى يتناوله في بيوت اصدقائه من النبلاء !

اندهشت مارى أنطوانيت عندما اكتشفت أن زوجها يأكل نفس الطعام في بيوت الأصدقاء ولكن بشهية مفتوحة جدا . فقررت أن تذهب معه إلى بيوت الأصدقاء لترى ما يجعله يأكل حتى ينام وهو جالس . ذهبت معه . فلم يأكل الملك . سألت أمها وجاءها الرد : من الأفضل أن تتفرغى لنفسك وأن تجدى سعادتك في أطفالك !

والملكة مارى انطوانيت لم تخطئ في شئ . وانما لم يشرحوا لها بوضوح معنى أن الإنسان حيوان . معناه الإنسان التساوى حيوان يعيش على الخبز ، وأن الإنسان الفرنسى حيوان يعيش على القبلاط .. وأنها غذاؤه الاساسى . وفي آخر أيامها تنهت إلى هذه الحقيقة . ولكن الثورة الفرنسية التى أعدمت الاثنين لم تتح لها فرصة الاتفاق على معنى الحيوان .. أو على التوفيق بين المعدة والشفتين .. وحل هذا اللغز الصعب : أن المرأة اذا أكلت صحت ، وأن الرجل اذا أكل نام ..

وحق لو عاش الملكان بعد ذلك فلن يحلا هذه المشكلة .. لأنها مشكلة ملكية وشعبية أبدية ! .

الطلاق على الطريقة الألمانية

أحدث طريقة للطلاق ابتكرتها سيدة المانية منذ شهور . وتكررت في ألمانيا . والألمان يضحكون لسداجتها وانتشارها أيضا . فقد نهضت السيدة في الليل وصرخت بالقرب من نافذة تركتها مفتوحة وانزعج الجيران ، ونهض الزوج أيضا وهو متزعج يسأل ، ولم يخطر على باله أنه هو الذى أزعج الزوجة . ولما فتحت الزوجة الباب للجيران ولرجال الشرطة ، فوجئ الزوج بأنه هو الذى هجم على زوجته وحاول قتلها بسكين . وقبل أن يفكر الزوج فى مكان السكين كانت الزوجة قد أعدت السكين ووضعتها بالقرب من السرير . وحاول الزوج أن ينكر ما حدث ، ولكن من الذى يستطيع أن يصدق زوجا أمام هذا العدد الكبير من الناس وأمام الزوجة التى ذابت دموعها وانهارت على الأرض تطلب اخراجها من البيت .. ومن حياة هذا الرجل فورا ! .

وبعد ذلك كل شئ سهل .

فالطبيب الشرعى يحلل السكين ويجد عليها بصمات الزوج .. ولكنه وجد أن كل بصمات الزوج واضحة .. وهذا يدل على أنه لم يمسك السكين ويضغط عليها . وانما الزوجة وضعتها فى يده وهو نائم . وأن أصابعه لمست

السكين لمسا هينا ، وفي ذلك دليل كاف على أنه حاول ، فلما صرخت القى بالسكين فى الأرض .

وإذا لم يكن الزوج قد فعل شيئا من ذلك فالضجة تكفى جدا لأن يطلق زوجته .

وقد تم أكثر من طلاق وبنفس الطريقة فى مدن مختلفة فى المانيا ، ووصفت الصحف هذه الحوادث بأنها الطلاق على الطريقة الألمانية ! واندعشت زوجات كثيرات كيف فاتهن مثل هذا الموقف البدائى . وظهرت الصحف تقول للازواج . احتسروا من السكاكين .. أو احسن طريقة هى الا تستعمل السكاكين .. أو أن تضع يدك فى جيوبك .. أو تلبس الجوانتى بصفة دائمة ! .

ويظهر أن هذا الاسلوب فى الطلاق ليس جديدا تماما .. فقد حدث أن أحد أباطرة الرومان قد وجد نفسه مفضوحا بسب قطعة من حبل حريرى عثرت عليها الزوجة تحت مخدته .

وكان من عادة الرومان اذا أهذى الواحد منهم « حجارة » لأى امرأة .. أن يجعل للحجارة حبلا من حرير .. واتهمته الزوجة بأنه أهذى حجارة لامرأة أخرى !

أما الحجارة فقد كانت تقوم فيما مضى بما تقوم به دور التجميل الآن .. فقد كان من عادة المرأة أن تستحم فى لبن الحجارة .. لأنه يجعل البشرة أكثر بياضا وأكثر نعومة !

كأن الرجل لا ضرورة له

يظهر أنها حكمة الله ألا يعيش الرجال طويلا .. وأن تكون الأرض ومن عليها وما عليها للمرأة !
وربما خلق الله الرجل أولا ليموت أولا .. فأدم عليه السلام خلقه أولا ..
وأماته أولا أيضا !

صحيح أن الرجل عضلاته أقوى .. ولكن أعصابه أضعف ، والصدمة تقتل الرجل ، ولكن المرأة مثل «مانعات الصواعق» تمتص الصدمات والكوارث وتعيش بعدها .. وكل صدمة هي امتحان جديد لاحتمال الرجل وامتحان جديد لاقتدار المرأة ، كم من أم فقدت أعز الناس عليها ، ولم تمت . كم من أب فقد أعز الناس إليه : فشاب شعره . أو أصابه السكر ، أو تساقطت أسنانه ، أو ذبحته الذبحة ولحق بابنه .. وعاشت الزوجة تبكي الابن وتبكي الزوج معا !

وكم من ملايين الرجال يشعلون الحروب التي تأكلهم ، وتبقى المرأة بعد ذلك : أرملة - أو يتيمة - ولكنها تبقى !

واذا انتقلنا الى عالم الحشرات لوجدنا أن الموقف أوضح ، فثلا نجذ الانثى عند بعض الحشرات تفترس الذكر بعد أن يقوم بدوره الجنسي ،

ومقتل الذكر - أو اغتياله - ضرورة حيوية .. فالأنثى فى حاجة الى مزيد من الطاقة ، لكى تحتمل الامومة لعشرات أو مئات من الحشرات .. ولكى تتمكن من إطعام هذه الأسرة الجديدة . فالذكر - أو الزوج - هو أقرب الأطعمة إليها وإلى أولادها .. وفى اغتيال الذكر - أو الزوج أو الأب - اختصار لكائن واحد فقط بعد أن قدم للحياة مئات أو ألوف الكائنات الأخرى .. فكان الحياة أو الجنس أو النوع قد حذف واحدا فقط ، ولكنه أضاف المئات . فالحياة - اذن - قد كسبت الكثير ، ولم تخسر الا القليل !

وعندما أخطأ آدم وحواء عاقبهما الله - كما جاء فى التوراة - بأن يظل آدم يعمل حتى يموت ، وتظل حواء تلد حتى تموت .. فالعمل عقوبة للرجل - أن يعمل هذه عقوبة والا يعمل هذه عقوبة أشد وأن تلد المرأة ليست عقوبة ، وانما هو عذاب فقط . وأكثر الامهات يجدن فى الولادة عذابا ولكنها رغم ذلك على استعداد لان تتعذب ألف مرة .. فالولادة ليست عقوبة ولكن تربية الأولاد هى العقوبة .. ثم جحود الأولاد بعد ذلك أقصى درجات العقوبة للأم وللأب أيضا - وهذه حكمة الحياة !

والرجل - والذكر - مشغول بالعمل .. أى بالنشاط من أجل أن يبقى وأن يبقى غيره أيضا . والأنثى مشغولة بالحياة . بحياتها وحياة صغارها .. ولذلك كان الذكر ينسى أن يعيش لانه لا يتذكر الا أن يعمل .. والأنثى تنسى أن تعمل ولا تتذكر الا أن تعيش ..

فالرجل - أو الذكر - عمله هو حياته ..

والمرأة - أو الأنثى - حياتها هى عملها ..

ودور الأنثى أهم من دور الرجل . والحياة أو حكمة الله حريصة على
الأنثى أكثر من حرصها على الذكر .. ولذلك فوت الذكر - أو الرجل -
ليس خسارة فادحة . ولكن موت المرأة - أو الأنثى - خسارة فادحة
للحياة .. ولغريزة البقاء . لأن الأنثى هى : حاملة البقاء ووالدة الحياة .



طالعة ونازلة خطوط الموضة

قاعدة في الازياء : اذا انكشف الصدر تغطت السيقان . واذا تعرت السيقان توارى الصدر . واذا تغطت السيقان والصدر . انكشفت البطن والخصر وهذه موضة هندية عمرها أكثر من ألف سنة . وما تزال .. فالمرأة الهندية ترى أن كتفها عورة وساقها أيضا . أما بطنها كله فلا شيء .. ولو مشيت في أحد شوارع الزمالك بالقرب من السفارة الهندية لوجدت عددا من السيدات الوقورات المحتشمات جدا قد كشفن مساحات كبيرة من بطونهن في غاية التحفظ !

وموضة « الميني جيب » قد سحبت الفستان الى ما فوق الركبة حتى أصابع اليدين . وغطت الكتفين بالشعر . والذي اختصرته المرأة من ثمن الفستان اشترت به جوارب طويلة لتغطية الساقين .. - واشترت به أحذية طويلة عالية - حذاء ولنجتون القائد الانجليزى الذى هزم نابليون في معركة واترلو - ثم اشترت سلاسل تتدلى من عنقها ووسطها .. واشترت خواتم متراصة في أصابعها .

والتي اخترعت موضة « الميني جيب » في انجلترا استلقت من الملكة أعلى النياشين .. لانها جعلت لندن مركز الأناقة . وجعلت عارضات الأزياء

الانجليزيات ملكات عروض الأناقة ولأنها جعلت بيوت الازياء الانجليزية
هى المسيطرة على خطوط الموضة سنوات طويلة .. ولان ملايين الساعين
جاءوا إلى بريطانيا يتفرجون على المبنى جيب أو على الذى يكشفه المبنى جيب
من جسم أشيك وأرشق بنات أوروبا !

ولابد من رد فعل معاكس مختلف . وجاء الرد فعل من باريس أم
الموضة . وكان الفستان الموضة هو الطويل الذى يغطى الساقين ويخرج على
الأرض . وأصبحت الفلاحة المصرية هى أشيك سيدة فى العالم . لأن جلبها
موضة عالمية الآن وكذلك كل ما تضعه الفلاحة فى عنقها وعلى صدرها وفى
أذنيها - فيما عدا ما تضعه على كتفها من الأولاد وما تسجبه وراءها من الهائم
والأزواج !

ولابد أن شركات النسيج والأقمشة العالمية فى فرنسا وفى أوروبا قد دفعت
الملايين لمصممي الازياء لإنقاذ تجارة الأقمشة من الخراب . ولذلك جاءت
موضة الماكسي والميدى - أى الطويل والمتوسط - لتنفذ فرنسا من إنجلترا
وتنفذ صاحبات السيقان المؤلمة من صاحبات السيقان المغربية ، ولتكون
رصا صا يندب فى أعين الرجال ، ثم لتنفذ شركات الأقمشة من الخراب ..
ولكن المرأة لابد أن تتعري .. أو توهم الناس بأنها .. متعربة ومنغطية ..
فى نفس الوقت . ولذلك سوف يكون البنطلون الصينى الواسع هو الموضة ..
لأنه يكشف الساقين ويشير اليهما ، ويغطيها فى نفس الوقت .. وهو بذلك
يريح المرأة .. والرجل أيضا !

واحدة موظفة ومثلها ألوف

احدى قريباتى عملت أخيرا موظفة . وأهلها سعداء بذلك وهى أكثر سعادة . ولم تكن تعرف هى مواهبها الخاصة . ولكن فى هذا العمل الجديد اكتشفت أنها ليست موظفة فقط ، وانما هى إحدى وكالات الأنباء .. فبسرعة غريبة عرفت الكثير عن كل الموظفين الزملاء والرؤساء : من هو الأعزب ومن هو المتزوج لأول مرة ولثانى مرة .. ومن الذى عنده تليفون سرى فى البيت أو فى المكتب .. ومن الذى حضر ومن الذى غاب ..

ومعنى ذلك أنها لم تضيع وقتها فى القراءة ، وانما شغلته بالكلام ولا بد أن يكون كلامها على شكل أسئلة .. والا فكيف استطاعت أن تعرف كل هذه الإجابات .. وهى لا تتحرك من مكانها . وليس معقولا أن يئى الناس اليها .. اذن فالتليفون هو « الساعى » الدائخ بينها وبين جميع الموظفين . والتليفون عمومى - أى يجب أن يكون مشغولا بالعمل ولصالح العمل ..

وعندما تزوج أحد أقاربها لم تجد وسيلة للتزويج من العمل للمشاركة فى الليالى الملاح .. ثم مات أحد أقاربها .. ولم تتمكن من تقديم واجب العزاء .. وانما جاء الموظفون يواسون الموظفة الجديدة من باب الواجب أو الشكليات أو تضييع الوقت أو حب الاستطلاع .. ولم تكن أيديهم خالية فقد

ألقوا في يديها معلومات جديدة عن النظام والعمل والحضور والانصراف والاعتذار والغياب .. وفن التزييف وادعاء الانشغال .. وفن التوقيع عند الانصراف وفن التوقيع من غير انصراف ، أى وهى موجودة فى بيتها .. ومن الذى يتولى ذلك بالنيابة عنها ، أو تتولاه هى بالنيابة عن غيرها .. ومن الذى يفعل ذلك بانتظام ، وكـم ندفع « ولن » .. لم يعد هناك خوف من شئ .. أو خوف على شئ ..

وعرفت الموظفة الجديدة أيضا لعبة الإجازات المرضية والعرضية ، والإجازات الشخصية .. وعرفت الأماكن التى يمكن أن تنتقل إليها بكلمة من قريب أو صديق ، وأين هى الغرف ذات الشبايك البحرية والغرف التى يمكن النوم فيها على المكتب دون أن يدرى أحد .. والغرف التى تتجمع فيها الفتيات وفى أيديهن التريكو أو مجلات الأطفال دون أن يسمعن كلمة واحدة من أحد ..

ولما سألتها عن العمل الذى تؤديه أجابت : ولا حاجة !

ولما طلبت إليها أن توضح أكثر ، قالت : ولا حاجة .. صباح الخير .. صباح الخير .. وفى هذه العبارة أضغ كل نشاطى وحيويتى ، وبعد ذلك أستطيع أن أنام حتى الثانية مساء !

وعلى الرغم من أنها لا تعمل ولا توجد لديها فرصة للعمل ، فإنها قد عرفت بالدقة كل الظروف والقواعد والحيل التى تجعلها لا تعمل إطلاقا .. مع أن عملها ليس الا : صباح الخير - حتى هذه يمكن أن تأخذ منها إجازة ! .. ومثلها عشرات الألوف !

الموت للذكور والحياة للإناث

لا علاقة للمرأة بهذا الموضوع ؟

فقد اكتشف العلماء أن هناك نوعا عجيبا من الخنافس - الخنافس - أنواعها ربع مليون وتعيش على الأرض منذ ٣٢٠ مليون سنة - لا تعيش الا على أشجار الصنوبر . فإذا غزت هذه الأشجار بمئات الألوف فرزت مادة لها رائحة قوية .. الرائحة ليست كريهة .. وهذه الرائحة تفرزها الإناث فقط عند الأكل وقد يتصور الإنسان أن هذه الرائحة هي دعوة للأكل .. دعوة الخنافس الأخرى البعيدة .. ولكن هذه المادة هي نداء الأنثى إلى الذكر ، ولا تكاد الذكور تشم هذه الرائحة حتى تهجم بالملايين على أشجار الصنوبر تشارك في الأكل والقضاء على هذه الأشجار .

ولكن السبب الحقيقي في هذه الدعوة ليس الأكل وانما حاجة الإناث إلى الذكور .

وتدور المعارك بين الذكور على الإناث . ويتساقط الذكور بالألوف ولا يبقى من الذكور إلا القوي . الأقوياء فقط . ثم تقوم الإناث بإفراز سوائل لها رائحة كريهة تخنق الذكور . ومعنى ذلك أن الذكور تطرد بعيدا عن الإناث .. أما الإناث فتتوقف عن إفراز السوائل المغرية المثيرة ، وبذلك يتوقف زحف

الذكور على الإناث وتبدأ المعارك . ويصبح عدد الذكور ثلاثة أمثال عدد الإناث .

ثم تبدأ المعارك من جديد عندما تختار الأنثى الذكر الذى يعجبها ، وليس معروفا بالضبط على أى أساس تختار الأنثى الذكر . وإن كان المؤكد هو أنها تختار أقوى الذكور وأصغرها . وعلى هذا الذكر أن يؤكد أنه عند حسن ظن الأنثى ، فأول ما يفعله أنه يقتل لها اثنين آخرين من الذكور . وتقوم الأنثى وتتمشى على جثث الضحايا . وعلى الذكر أن يطير بعيدا عن الشجرة ثم يعود ليجد الأنثى قد ألفت بالجنين بعيدا . وعندما يعود الذكر يجد الأنثى قد اختارت ذكرا آخر أكثر حيوية وقوة . وهذا الذكر يقضى عليه فورا . وهكذا تختصر الذكور نفسها . وتدور المعارك بين الذكور على الإناث . ويتساقط الذكور بالآلوف وتدور المعارك على الأنثى .

ويتساقط الذكور يمينا وشمالا من الإرهاق ومن الجراح . وتظل الإناث فى هدوء وفى صحة جيدة . لأن الأنثى تتفرج على معارك الذكور ولا تبذل جهدا واضحا . ولكنها فى معظم الوقت تأكل وتنام وتنتظر نتيجة المباراة فى ألعاب القوى . وهى عادة لصالحها .. فالموت للذكور والبقاء للإناث ، أى من أجل الصغار التى تواصل المعارك وتجدد الحياة ! .

الزار

أهون من الطب

عندما يقرر أى إنسان أن يعرض نفسه على طبيب نفسى ، فلأنه تعباً جداً . ولأنه مقتنع بأن هذا الطبيب هو وحده الذى يستطيع أن يعيده إلى حالته . أن يجعله يفكر بهدوء ويعمل بهدوء ولا يصطدم بالناس . ولا ينظر إليه الناس على أنه إنسان مجنون !

ولذلك فأول ما يريده هذا الإنسان التعبان هو أن يؤكد له الطبيب النفسى أنه فعلاً تعبان ، وأن كل الناس مثله . وأنه هو أعقل من معظم الناس . وبعد ذلك يجب على الطبيب أن يرفع الشعور بالخرج الذى بينه وبين المريض التعبان . والمريض هو المخرج عادة . ومن الضرورى أن يكون الطبيب رقيقاً ليناً واسع الصدر ، وعلى هذا الصدر يجب أن يجد المريض مكاناً لرأسه وأحلامه ومتاعب طفولته ورجولته . وأن يكون كل ما يقوله الطبيب هو مخدات كاوتش دنلوب تتمدد عليه أعصاب المريض . وبذلك تنفتح نفس المريض ويقرأ الطبيب كل متاعب هذا التعبان منذ ولدته أمه ، إلى أن ساقته الظروف السيئة إلى عيادة الطبيب .

ولكن الذى يحدث فى بلدنا عجب ! فمعظم الأطباء النفسيين عندهم عيادات مزدحمة بالتعبانين . مزدحمة . نعم ! وهذه أكبر غلطة فى حق

المريض وحق الطب نفسه . فالمريض الذى يراه هذا العدد الكبير من الناس يخرجوه ويعقده أكثر وأكثر . وإذا كان هذا العدد الكبير فى عيادة طبيب فعنى ذلك أن الطبيب لن يكون عنده وقت لساع أحد أو مناقشة أحد أو إعطاء الامان لأى أحد . وهذا عيب يودى إلى تعقيد المريض . وهذا التعقيد يضاعف متاعب المريض . فكأن الطبيب قد قرر أن يحل مرضاه أكثر مرضا ، وأن يجعل شفاءهم نوعا من المستحيل . ولكنهم فى جميع الحالات يجب أن يدفعوا « الشئ الفلانى » وهذا هو المهم !

سمعت عن طبيب كل مؤهلاته أن يكون ضابطا فى بوليس الآداب . فنظرته هى تفتيش وإتهام وإدانة وإهانة أى اذلال للمريض . وتعميق لشعور بالذنب عنده . وسمعت عن طبيب يشتم المرضى ويهدد بالضرب . أن « تودية » الزار أرحم واسلوبها فى العلاج - رغم أنها لا تدعى الطب - أصح . فهى لا تطلب أكثر من بعض الديوك البيضاء وبعض الفلوس . ولكنها تترك الناس يرقصون ويصرخون كأنهم شاهدوا الهدف الوحيد فى آخر دقيقة من مباراة دولية !

ثم يعود الناس الى بيوتهم وقد استراحوا . وان كانوا ينجلون من أنهم حضروا حفلة زار . مع أن هذا الزار لا يبعث على الحنجل . ولكن هذا الطب النفسى هو الذى يبعث على الحنجل ! .

الحب الكبير سذاجة كبيرة

الشاعر العربي القديم يقول :

أمر على الديار ديار لى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

فن أجل الى تسكن هذه الجدران المصنوعة من الحجارة أو من طين تصبح
لهذه الجدار معان مقدسة .. فالعاشق الولهان يرى الجدران وكأنها حائط المبكى .
يلمسها ويتبرك بذلك . ويبكى عندها وحولها من أجل أن يرى محبوبته ! .

ومنذ ذلك الحين والمحبون يكون على الجدار وعلى الباب وعلى الشباك وعلى
سماعة التليفون وعند سماع الأغاني وعند شم منديل أرسلته المحبوبة . أو وردة أو
نخطاب معطر . وليس الورق ولا الخبز ولا الورد هو الذى يهز القلوب . ولكن
أن تكون المحبوبة قد لمست أو سمعت أو رأت شيئا من هذا كله . ان تكون أية
صلة بين هذه الأشياء الجامدة وبين المحبوبة . كل هذا قديم . ولكن يتجدد مع
كل قلب وكل حب .

ولا جديد أو قديم فى الحب . فالحب لا عمر له . انه يولد مع كل طفل
ويكبر مع كل شاب ويوى فى كل قلب كبير !

ولا أحد أكبر من الحب . بل كل الناس أطفال أمام الحب . قلوب بلا عقول . ولا بد أن يكون هذا حال استاذنا العظيم عباس محمود العقاد عندما أهده بحبوبيته بلوفر من صنع يديها .. فتساءل وكأنه يتمنى أن يكون ذلك قد حصل !

| | |
|---------------------|------------------|
| ألم أنل منك فكرة | فى كل شكة ابرة ؟ |
| وكل عقدة خيط | وكل جفرة بكرة ؟ |
| نسجته بيديك | على هدى ناظريك |
| إذا ما احتوائى فانى | ما زلت فى اصبعيك |

فقد تصور - بسذاجة المحبين - انها كانت تفكر فيه . ولو عرف العقاد كيف تصنع المرأة البلوفر لعدل عن رأيه . فصناعة البلوفرات عمل آلى بحت .. تقوم به المرأة وهى تتفرج على التليفزيون .. وتكون مشغولة برؤية اسماعيل ياسين وهو يتشقلب كالقرود أو بمنظر محمود الملبجى وهو يطلق الرصاص على أحد الأبرياء !

ويبدو أن هذه السذاجة أيضا هى شئ جعلت مؤلفا غنائيا يقول على لسان فائزة أحمد : غازلاله يا امه بايدى الطاقية - وبناء على ذلك فهى أحق بهذا المحبوب من أية فتاة أخرى . مع أننا نعلم جميعا أن « غزل » الطاقية أو البلوفر ليس فيه أى مجهود عقلى أو عاطفى .. وإنما هو عمل لا شعورى بنحت ..

ولكنها سذاجة المحبين الكبار والصغار .. العقاد وغيره !

النجاح فوق الكففين !

مع بداية الدراسة في الجامعة تنشر الصحف موضوعات وصورا عن فساتين الطالبات . أو على الاصح عن الموضة عموما . فعندما كانت الفساتين طويلة سنة ١٩٥٠ كانت الصحف تنشر صورا عن التسنخات والمكياج الذى ترسمه الطالبات . وعن الفتيات اللاتي يضعن ساقا على ساق على الحشيش أمام المكتبة وفى بوفيه كلية الآداب . وكانت الفساتين فى ذلك الوقت تغطى الساقين وتكتمس الأرض أيضا ؟

ولما قصرت الفساتين عادت الصحف تتحدث عن المساحات « الشرعية » فوق الركبة . وضرورة مراعاة ذلك . وان كانت الصحف لم تعدد كم هى المساحة المسموح بها ؟ ومن الذى يعدد هذه المساحة عند مدخل الجامعة ؟ وكيف يحددها ؟

وانشغلت الصحف بفساتين الطالبات . وفى نفس الوقت لم تشغل الطالبات . وقد اعتاد الطلبة الآن على هذه المناظر التى لا يمكن أن تكون أكثر عريا من المايوهات على الشواطئ فى الصيف .

وقبل أن نؤاخذ الطالبات على الفساتين القصيرة يجب أن نتساءل : هل نحن موافقون على مسaire الموضة عموما . فى الجامعة وخارجها ؟ .

الجواب : نحن موافقون ، بدليل أن الموضة متشرة في كل مكان ، ومنذ وقت طويل وسوف تبقى الموضة ، وتبقى موافقتنا أيضا . ولكن ما الذى يضايق الناس من بنطلونات الطالبات ؟ لابد أن يكون السبب الوجيه هو أن الجامعة مكان للدراسة ويجب على الطالب الا ينشغل بشئ آخر غير الدراسة - وهذا ما نتمناه وما هو واجب دائما - وفساتين الطلبة تحول انتباهه من الكتب الى السيقان ، بينما تشعر الطالبات بأنهن قد صنعن شيئا . فالمرأة بطبعها استعراضية تريد أن تعرض مفاصلها . والموضة قد جعلت مفاصل المرأة ساقيا ..

ولكن انشغال الجنسين بعضهما ببعض لا علاقة له بالأزياء .. وحجب العلم والحرص على النجاح أقدم من الفساتين الطويلة والقصيرة ، وكذلك الأعمال والفشل في الدراسة .

ومن المؤكد أن الصحف تبالغ في وصف الأزياء وأثرها على الطلبة . مع أن ملابس الطلبة وبنطلوناتهم الضيقة وشعورهم المسببة ، وشواربهم وعصلاتهم وصدورهم ، كل ذلك له أثر على الطالبات - وهذا ما لا نتحدث عنه الصحف أيضا ، لأن الذين يكتبون في الصحف رجال وليسوا نساء ؟

ان الفساتين في أوروبا أقصر جدا من فساتين الطالبات هنا .. والبنطلونات هناك أضيق من البنطلونات هنا . وقد اعتادت العيون على كل شئ . واتجهت الأيدي والرءوس الى ما ينفع الجميع .. فالفساتين والبنطلونات لا علاقة لها بالنجاح والفشل .. فالنجاح مصدره هناك .. فوق الكتفين ؟

فتى سقط !

فتاة سقطت !

إذا كان الناس يريدون أن يرفعوا فتاة ساقطة ، فما الذى يصنعونه ؟
أولا لا يوجد سقوط مطلق . فالذى يسقط من الممكن أن ينهض .
والذى أخطأ يمكن أن يتوب . والذى انكسر يمكن اصلاحه . والسقوط كما
هو ممكن . فان النهوض ممكن أيضا . بالارادة والفهم .

وقال الناس : هذه الفتاة صورة من أمها . وهى تعلمت ما تعلمته
الأم . وقالوا ان أمها صورة لأمها هى أيضا . أى أن ما حدث للفتاة ليس
الا تطبيقا قويا لقانون الوراثة ! .

ولكن جدة هذه الفتاة لم تكن ساقطا مثل أمها - أى مثل أم الجدة ..
اذن الجدة هى التى سقطت وحدها .. ومن تلقاء نفسها . واستجابة لظروف
خاصة بها . فكأن قانون الوراثة ليس مطبقا عليها ؟

فقانون الوراثة ليس هو القانون الذى ينطبق تماما على كل تصرفات
الناس فقد تكون هناك صفات جسمية متشابهة . وأحيانا صفات نفسية .
وبعد ذلك كل انسان حسب ظروفه ..

وقالوا : أبوها هو السبب . انه هو الذى تركها وحدها . ولم يراع اختيار
أصدقائها . ولا الكتب والأفلام والأغاني التى تتأثر بها . ثم إن الأب هو

الذى جعل الابنة تتعلق بأمرها بسبب قسوته الشديدة عليها . وعندما اقتربت
البنات من أمها ، قلدها ..

ويقال .. ويقال .. ولكن ما الذى يمكن عمله لانتقاذ فتاة سقطت . هل
من الممكن عمل شئ ؟ نعم من الممكن عمل أى شئ ؟ نعم من الممكن عمل
أى شئ دائما ..

إنها اذن قصة العصفور الذى سقط فى حفرة عميقة ضيقة فى الارض
وحاول كثيرون انتقاذ هذا العصفور بعضهم قال نمد له خيطا . ونلف الخيط
حول عنقه ونسحبه . ولكن لو فعلوا ذلك لاختنق العصفور ومات ..
وبعضهم قال نلق العصفور بشريط من الورق الطويل . ونضع على الورق
صمغا يلتصق بالعصفور وجذبه إلى أعلى .. وبعض الناس أخذ يدعو الله أن
يحقق المعجزة وينقذ العصفور . وبعض الناس أدرك أن العصفور ميت لا
محالة فأخذ يبكى عليه ثم انصرف الى عمله ..

وجاء طفل صغير .. ولا بد أنه فكر فى كل هذه الاحتمالات .. وان لم
يظهر عليه ذلك .. وفكر . واهتدى الى حل . هذا الحل هو نوع من
المعجزة ، وجاء الطفل بزجاجة من الرمل الناعم . وظل يلقى الرمل بحفنة
وقليلا قليلا .. وعلى مهل وبصبر . فكان الرمل يهبط الى قاع الحفرة
الصيقة .. فيتحرك فوقه العصفور .. وبعد ساعات ارتفع الرمل تحت قدمى
العصفور . فارتفع العصفور نفسه . وامتدت يد الطفل وأنقذت العصفور .
فالطفل بصبر ورفق رفع الأرض تحت قدمى العصفور .. فارتفع
العصفور ..

شئ من هذا أيضا يرفع كل فتي سقط .. وكل فتاة سقطت ؟

الجو لطيف فهرت من الجنازة

علماء الأرصاد الجوية فى أوروبا مشغولون جدا ببحث قضية أخلاقية موسيقية هى : كيف كان الجو فى مدينة فيينا منذ أكثر من ١٨٧ عاما .. أو بالتحديد يوم ٦ ديسمبر سنة ١٧٩١ ؟

فى هذا اليوم توفى الموسيقار العظيم موتسارت عن ٣٥ سنة . وهو العبقري الذى بدأ يعزف على البيانو وهو فى السابعة ويؤلف لنفسه وهو فى العاشرة . وقد ظن الناس فى أيامه ان عليه عفريتاً . وان هذا العفريت هو الذى يكتب له . ولذلك كانوا يحبسونه فى غرفة . ثم يفتحون عليه الباب ، فيصرخ الطفل الصغير . ولا يجدون عنده أحدا من الناس أو من الجن ..

لقد كان هذا الطفل احدى معجزات القرن الثامن عشر فى أوروبا وفى كل العصور وكل البلاد أيضا ..

هذا الشاب تقدم للزواج من فتاة .

رفضت الفتاة أن تتزوج « عيلاً » مجنوناً .. ولكن خطيب هذه الفتاة قد دخل التاريخ فقط لانه رسم لوحة بالقلم لهذا الموسيقار ..

وتزوج فتاة أخرى . كان يطلب اليها أن تحكى له الحكايات وهو يؤلف

موسيقاه .. انه يريد شيئا يشغله ويعطيه مبررا للتركيز .. وكانت تقص عليه القصص . وعندما تنهى قصصها كانت تعيد ما قالته .. فكان ينهبها الى أنه سمع هذه القصة من قبل ..

وتقول كتب التاريخ ان الموسيقار عندما مات في ٦ ديسمبر سنة ١٧٩١ لم تمش زوجته في جنازته .

واختلف المؤرخون هل الجو كان شديد البرودة ، وكانت هي مريضة . وقالوا إن هناك خلافا عتيقا بين الزوجين . هذا الخلاف لم يحسمه الموت . ويقال إنه هو الذى طلب اليها قبل وفاته أن تحقق له آخر أمنية : ألا تمشي في جنازته .. فوعده .. ووفت بالوعد !

وبعد وفاة موتسارت تزوجت أرملته . وأعلن زوجها الثانى بعد ذلك أن الذى منع زوجته من الذهاب الى قبر موتسارت أنها كانت مريضة ..

أما علماء الارصاد فهم يؤكدون أن الجو فى مدينة فيينا كان لطيفا . ولم تكن هناك رياح عاصفة . وانه كان فى استطاعة الأرملة أن تسير فى جنازة الزوج لو أرادت .

فهل الزوجة المشاكسة هي التى قصفت عمر هذا الموسيقار ، أو انها الموهبة الفذة التى نضجت مبكرا وذبلت قبل الأوان ؟ .

الجواب : ان كلا منها نال عقابه :

هى : لعنة التاريخ . وهو : لعنة العبقرية ! .

الصدفة

جمعها ثانية

مثل كثير من الناس تزوجا بعد قصة حب . ولم تكن هذه القصة طويلة ولا عريضة . وإنما كانت قصيرة عميقة . ولذلك كانت النتيجة مفاجأة لها وللذين يعرفونها ..

ولكن النتيجة السعيدة تبرر كل المقدمات الأخرى غير المعروفة أو غير الشهومة أو التي لا يقتنع بها الناس - والناس عادة لا يقتنعون بشئ .

ولكن وضع الناس أمام الأمر الواقع هو الذى يقتنعهم . لأن الناس ليس عندهم وقت للتفكير ، وليست عندهم قوة قاهرة كما نتوهم ، وإنما الناس عيون وألسنة فقط . أما أيديهم الطويلة فمشغولة بأشياء أخرى ..

ولم يقتنع الناس طبعاً بالفوارق الواضحة بين هذين الزوجين فهو رجل عمل جداً . مهندس مشغول بعمله ، وهموم عمله مثل ملايين الرجال فى مستهل حياتهم .. فالعمل هم . والبعد عن العمل هم . والتفكير فى العمل هم . وهى ككثير من النساء خيالية حاملة رقيقة ، وعندها آمال وطموح وتريد وتمنى وتحلم .

فإذا التقت بالزوج فأحلامها تموت على وجهه الشاحب من التعب ، وتتحطم على يأسه الدائم من الحياة .. من حياة أفضل هنا أو فى أى بلد آخر !

وجاءت للأسرة أطفال . فلا أحد يفكر في الأطفال عادة . وإنما ينبغي
الأطفال ثمرة على شجرة .. وكما يحدث في كل أسرة أشاع الأطفال ألوانا وظلالا
وموسيقى في هذه الأسرة .

وأحيانا يشعر الزوجان انها ارتكبا غلطة . فهما ليسا في حاجة إلى أطفال .
وككل الانخطاء الحيوية ، لا علاج لها !

وفجأة نشطت الأحداث . وأسرت نحو نهايات ليست على البال .. مات
أبوه . ومات أبوها . مجرد مصادفة . ومات أحد أطفالها .. كارثة .. وفي سنوات
متقاربة . وأحس الزوج انه مسئول عن أمه . وعن اخوته الصغار ، وأنه لابد
أن يساعد أمه بشئ . وأن يعاون اخوته على إكمال الدراسة ، وأن هذه هموم
جديدة وأنه لم يخترها ، وإنما هى التى اختارته . وبدأ الخلاف الحاد بين
الزوجين ، لأسباب مختلفة . أو على الأصح لسبب واحد . وتفسيرات
مختلفة : لماذا يساعد أمه واخوته ؟

وكما لم يتدخل أحد في زواجهما ، لم يتدخل أحد ليقف النهاية المنتظرة . وتم
الطلاق . ومن الغريب أن كلا منهما قد ذهب إلى أمه . وتركها بيتها خاليا . نكتة
لم يضحك لها أحد . وضحك الاثنان لهذه النكتة وهذا العبط .. وتصادف أن
التقى الاثنان أمام مسجد سيدنا الحسين .. هو وحده وهى معها أطفالها الثلاثة .
وتعلق طفل بوالده .. وبكى الجميع وعادت الأسرة إلى حياتها فى بينها .. دون
أن يتدخل أحد من الناس ودون حاجة إلى شرح ما حدث للناس .. فلا يهم ما
يقوله وما سوف يقوله وما قاله الناس .. النتيجة السعيدة هى التى تهتم !

أنا مغرور وأنت أيضا

الفنان مغرور بطبعه لأن أحداً لا يقدره . ولذلك يتولى هو تقدير نفسه وتكريم نفسه . فهو بالنيابة عن كل الناس يقول : أنا عظيم . أنا أصيل . أنا الذى أعطانى الله بعض صفاته : الكمال والخلود !

وفى الشعر يجد الفنان حريته فهو يصف نفسه بأنه الأول والأخير .. وأنه الأجل من الجمال والألمع من النجوم .. ويقرأ الناس ما يقوله ثم يعلقون على ذلك بقولهم : انه الشعر .. ضرورة القافية !

ولكن الفنان الذى لا يقول شعرا يحدث نفسه بكل ما يقوله الشاعر إلى حد ما .. وهو ليس غريبا حتى يوصف بالجنون وليس متزنا حتى يوصف بالحكمة .. إنه بين الحكمة والجنون . أنه الشئ الصعب ! .

والذى يقرأ ما كتب د . زكى مبارك عن نفسه من أربعين سنة فى كتابه « النثر الفنى » يجد هذا المعنى واضحا . فهو كاتب ملئ بالحوية والاضطراب . ولكن غروره الشديد جعل الناس لا تنتبه إلى عبارته السريعة الخاطفة . الصحفية فى الدرجة الأولى . ولا بد أن يكون د . زكى مبارك معذبا فى حياته . يحتاج إلى التقدير . ولكنه لم يجده . فهو فى مقدمة هذا الكتاب - الذى طبع أخيرا يقول إنه هو الذى اكتشف ، وهو الذى شق الطريق أمام الباحثين . وأن أحدا لا

يستطيع أن ينكر فضله . وأنه هو الذى وضع المشاعل . وانه أنفق عشرين عاما من عمره فى الدراسة والقراءة . وأن نصف هذه السنوات كان فى البحث عن الرزق . وأنه ألف هذا الكتاب فى أيام سوداء .. وأن الناس لا يستحقون كل هذه التضحيات . وان الناس نصحوه الا يشتم أساتذته فى باريس . ولكنه لم يستطع . وأن الناس نصحوه ألا يهاجم طه حسين الذى أعطاه صفرا فى امتحان الجغرافيا . ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الهجوم عليه وعلى غيره .. وأن يجعل نفسه فى النهاية هدفا لكل الاقلام .

ولكنه رغم أنف الناس جميعا يقول عن نفسه : أنا المئارة التى أقيمت
لهداية الباحثين فى غياهب الأدب أنا وحدى ..

انه فنان .. ولكنه لم يخطئ كثيرا فى تقدير نفسه وتحقير الناس .



حاول ولم يستطع

لابد أنك استمعت الى الموسيقىار العظيم بيتهوفن ، فقد اقتبس منه كل المؤلفين والملحنين في مصر . ولا أستطيع أن أحصى لك العبارات الجميلة التي نقلوها كما هي . ولكن هذا الرجل الألماني الذي احتفل العالم بمرور قرنين على مولده ، كان أعجوبة بين الرجال وبين الفنانين ..

فهو أولا يؤمن بأن الفن فوق الجميع . وأن الملوك والأمراء في عصره زائلون . وانه هو الباقي . ولذلك يشعر دائما أنه مندوب الأبدية في كل مكان يذهب اليه . ويطلب من الجميع أن يعاملوه على هذا الأساس . ولذلك لم يكن بجاملا . ولا متواضعا . فقد عاملته الطبيعة معاملة خاصة . أعطته العبقرية والابداع . وأعطته أشياء أخرى لا ضرورة لها .. كال فقر والمرض . وثانيا يعتقد أن الذي يعيش من أجل الفن ، يجب ألا يهتم بأشياء أخرى . وأن الفن قضاء وقدر . وأنه محكوم عليه بأن يعبر وأن يموت وهو يعبر وأن حياته هي هذا النوع من الاستغراق المميت .

والموسيقار بيتهوفن قصير القامة ، ممتلئ كبير الرأس وشعره ثقيل ضخم . وفه كبير . وأسنانه منفرجة بارزة . ولأسباب صحية أو نفسية لا نعرفها الآن نجد الموسيقار العظيم يبصق على الأرض في أي مكان . هل لأن المناذيل لم تكن لها

شعبية ؟ أو هل لأن الشوارع في ألمانيا منذ قرنين كانت في قذارة شوارع القاهرة والجيزة هذه الأيام ؟ هل لأنه يتذكر بعض المعاني أو الألحان لا أحد يعرف بالضبط .. وأغرب من ذلك أن الموسيقار العظيم لم يكن قادرا على أن يمسك شيئا بيده وكل شيء يمسكه بيده يقع منه . الورق والقلم والطعام والملاعق والشوك .

فأصابه ممدودة الى الأمام معظم الوقت .. انها في حالة استعداد للعرف على البيانو فقط . ولكن ليس لديها أدنى رغبة في أن تمسك شيئا ..

هذا العبقري الذي هز الآذان والقلوب في العالم . هذا البركان الموسيقي لم يكن قادرا على الرقص حاول أن يتعلم الرقص ولكنه لم يفلح . ان ساقه لا تطاوعانه أيضا أن يتحرك على أى إيقاع آخر غير موسيقاه السيمفونية .. وسيمفونيته لا تشجع على الرقص وانما على الثورة والسمو ! .

وقد وجد الموسيقار بيتهوفن حلا لمشكلة الخدم في عصره . انه لم يستعن بواحد منهم قط . ولذلك كان بيته نموذجاً للقذارة والفوضى .. الأطباق على المقاعد والسرير . والى جوار البيانو كانت توجد « قصرية » دائما !

وعندما مات بيتهوفن وضع يديه على المصران الغليظ الذى أوجعه طوال حياته ونظر الى السماء بعد أن أصابه الصمم تماما ثم شد أذنيه بيديه : ورفع يديه يهدد أحدا في سقف الغرفة ثم ارتد بعنف وسال لعبه .. لا بد أنه اراد أن يبصق ولكنه لم يستطع هذه المرة !

الصوت جميل وليس الوجه

ربما كان هذا عدلا سماويا : كل أصحاب الأصوات الجميلة ليست لهم
وجوه جميلة !

وفي استطاعتك أن تستعرض في ذكرياتك كل أصحاب الحناجر الذهبية
عندنا وفي العالم كله .

وهذا معناه أن الصوت الجميل يجعلنا ننسى الوجه أو الجسم الذي يصدر
عنه . ان هذا الصوت يرفعنا ويرتفع بنا الى درجة أعلى من الشكل
والشكليات ، ومن الجسم والماديات .. ومعنى ذلك أن الصوت الجميل
يتحدث الى أرواحنا وينسينا أجسامنا .. وأنه يهز القلب .. والقلب يدق فينا
ويدقنا ويسحقنا حتى نصبح ذرات تتطاير مع النغم الى السماء ..

وعندما نقول : ان هذا الصوت ملائكي ، نقصد أنه صوت من السماء
وأن الصوت نفسه قد حولنا الى ملائكة نحن أيضا . فالصوت فوق ونحن وراءه
أيضا .

وكثير من أصحاب المواهب الفنية ليست أشكالهم جميلة .. على سبيل
المثال ، الممثلة كاترين هبورن (٦١ سنة) والحاصلة على ثلاث جوائز اوسكار
في التمثيل ليست جميلة . لا شكلا ولا صوتا . ولا جسما . ولكن انظر اليها كيف

تقول ما تقوله .. استمع إليها وصوتها الغليظ يتمزق ويتقطع ودموعها تتزل بالحساب الدقيق .. انظر اليها وهي لا تقول أى شئ .. وفي نفس الوقت تقول كل شئ .. لقد شاهدتها في فيلمها الاخير (الأسد في الشتاء) مع الممثل الشاب بيتر أوتول (٣٥ سنة) والشيخ المنهار على الشاشة .. كانت قمة الجمال الفنى . كانت نموذجاً عملت بقاعدة تقول : ليس الوجه ولا الجسم ولكن البلاغة .. ليس المبني ولكن المعنى ؟

الموسيقار العظيم بيتهوفن الذى يحتفل العالم بمرور ٢٠٠ سنة على مولده ليس جميلاً : قصير مكبلط . منكوش الشعر .. فى عينيه قسوة . وفى شفثيه مرارة الاصرار ، واذا دنوت منه أكثر انبعثت منه رائحة كريهة ليست رائحة العرق فقط . واذا نظرت الى أطافره دون أن تعرفه أدركت أن المانيا لم تخترع شيئاً لنظافة أيدي عمال مناجم الفحم !

ومنذ سنوات كنت أتطلع الى وجه الاديب السويسرى ديرنمات وأتمنى لو ألمس رأسه الكبير وأفتش تحت منظاره عن هذا اليتبوع المتدفق من النكت . وعندما رأيته وجدت أن له رأسين : رأسه وكرشه .. وأنه يتلعثم وأن العنف الذى فى عينيه ليس الا غيظاً لأن أنفه المزكوم دائماً لا يسعفه بالاكسجين اللازم !

ليس الوجه أو الجسم .. وانما شئ آخر من عند الله !

لا زواجهما خبر ولا طلاقهما خبر

ليس خبرا أن يتم الطلاق بين الفنانين . ولم يكن خبرا أن يتزوج اثنان من الفنانين ..

فالعلاقات سهلة في الوسط الفني .. من السهل أن تتم الصداقة .. ومن السهل أن تنتهى . والزواج ليس حادثا عظيما . فقد تم على الشاشة أو على المسرح كثيرا . ولا يوجد فنان واحد لم يكن عريسا على شاشة أو على مسرح ولا يوجد فنان واحد لم يقف أمام مأذون ، ذهابا وإيابا .

والزواج في الوسط الفني يتم بسهولة . فالعمل والاتصال المستمر والارهاق .. تجعل الإنسان سهلا لا يقاوم رغباته في الصداقة أو في الزواج أو في الطلاق . وكثيرا ما قال الفنان للفنانة : ايه رأيك ما تيجى نعملها ؟ ويكون الرد : والله فكرة ..

وتتحول الفكرة من كلام إلى تمثيل إلى أفراح إلى خبر تنشره الصحف وتترك مكانا خاليا لنشر بقية الخبر وهو الطلاق ..

والممثل أحيانا يندمج في دوره على الشاشة .. فترى واحدا يبكي من قلبه ويضحك من قلبه .. مع أنه ممثل فقط .. ولكنه اندمج في دوره فكاد الكذب أن يصبح حقيقة .. والذي يفعله على الشاشة يفعله في الحياة أيضا فيندمج في

التعبير عن رغباته فيصبح الكذب حقيقة .. وينسى الفنان أنه ممثل .. وتنسى
الفنانة أنها ليست متفرجة وأنها يجب ألا تتأثر بما ترى من كذب .. ولكنها هي
أيضا تحب الكذب .. تحب الكذب على الناس . وتحب كذب الناس عليها ..
لأن الفن كله كذب جميل . فحياتها كذب على المسرح أو على الشاشة ..
ويتم الزواج في ظروف فنية . مع أن الحياة نفسها ليست فنا فالحياة على
الشاشة لا وجودها في الواقع .. فالواقع ليس منظما ولا جميلا ولا منطقيا .. ولا
مركزا ولا سريعا كما تراه على الشاشة ..

ولكن الفنان والفنانة يروحان ضحية الكذب الذى يعيشان فيه .. وتنجى
الحياة العادية مختلفة عن الفن .. ويتحول الفنان والفنانة الى متفرجين عاديين
ويكتشفان انها قد نسيا انها ممثلان كاذبان . وعندما يكتشفان الحقيقة يكرهان
الحقيقة .. ويحیی المأذون يعمرهما من الصدق المؤلم . ليعودا الى الكذب
الجميل ..

والفنان والفنانة ككل الناس مختلفان على الفلوس وعلى الطعام وعلى النساء
والرجال .. وعلى الأولاد .. وعلى ساعات النوم وساعات اليقظة . ان حياة
الفنانين الزوجية كثيفة جدا لأنها حياة بلا مؤلف ولا مخرج . انها حياة مرتجلة ..
على حسابها . وليست على حساب المنتج .. حياة بلا وعى .. لأن الاثنين
مدمنان للطلاق لأنها قد أدمنا الزواج بعد ذلك !

تصورته عريان وراحت تضحك

ما هي النكتة ؟ انها صورة مضحكة ..

ولكن ما الذى تضحك منه ؟ إننا نضحك من الشخص الأقوى منا ،
ونضحك من المرأة .. ومن المرأة باعتبارها فى مركز القوة من حياة الرجل .
والنكتة عبارة عن سلاح يشهره الضعيف فى وجه القوى . ثم يحنى بين
ملابس الناس .

والنكتة عيار نارى أطلقه مجهول .

أما النكتة الجنسية فلها معنى آخر ..

فمن الحوادث الغريبة أن الكاتب الفرنسى الماركيزدى صباد ألف كتابا اسمه
«مائة وعشرون يوما فى مدينتى سدوم وعمورة» .. وهذا الكتاب سجله على
شريط من الورق يبلغ طوله المائة متر فى داخل زنزانة قذرة فى أحد سجون
باريس .. وفى هذا الجوالقظيع القذر أخرج المؤلف أقذر ما فى نفسه وفى نفوس
الرجال ، وألقى به على المرأة .. على كل امرأة .. فمن شدة القرف والغيط والحقد
والرغبة فى الانتقام ألف هذا الكتاب ضد المرأة - ألف هذه النكت العارية .

والنكت الجنسية ضد المرأة تخرج من مثل هذا الجو . أى من الضيق من المرأة والحقد عليها . والنكتة الجنسية ما هى الا محاولة لتعرية المرأة أمام الرجل بالقوة ثم السخرية منها والاستهانة بها .. واذا كانت المرأة تحب النكت الجنسية أكثر من الرجل فلائها تحب أن تبدو عارية . أن تبدو ذليلة أمام الرجل القوى .. ولأنها تحب أن ترى نفسها بعين الرجل .

والرجال يحبون أن يسمعوا النكت الجنسية من المرأة .. ومعنى ذلك أن تعرى المرأة من تلقاء نفسها أمام الرجل . وأن توفر عليه أى مجهود فى احتقارها وإذلالها .. والانتقام منها .

ومن الحوادث التاريخية المعروفة أن جوزفين زوجة نابليون - الثالث ، استأذنت يوم تتويجها من الامبراطور لحظة ، وخرجت . وبعد دقائق عادت ، ولم يفهم أحد ما حدث . وبعد سنوات سأها الامبراطور ، فقالت له : انها كادت تنهار من الضحك . فقد تصورت الامبراطور نفسه عاريا وسط هذه الحفلة وهى تعلم أنه لا يرتدى ملابس الداخلية عادة - كأن الامبراطورة أطلقت عليه نكتة . وانتقمت منه . بأن أضحكت عليه الناس جميعا فى خيالها .

وفى هذه « النكتة » بالذات ، عرف المؤرخون إلى أى حد كانت جوزفين تكره زوجها وتفكر فى خيانتة .. وفى تعريته وفضحته فى خيالها وفى الواقع .. فالنكتة ليست إلا نوعاً من الخيال الذى يضحكننا ، نتمنى أن يكون محزنا لشخص أقوى أدبيا أو ماديا .. أو للمرأة .

ما أعجب علامة التعجب

شكا أحد الفنانين من أن « الصحف » عندما تنشر كلاما عنه فإنها تضع علامة التعجب في نهاية السطر ! وأن هذه العلامة تضايقه . لأن معناها أنه شيء مدهش أو شيء محير . مثلا إذا قيل : عاد فلان من لبنان ومعه ست شنتط بها اسطوانات واحدة فيها اسطواناته هو . وعلامة التعجب بعد ذلك . ويسألني ما معنى هذه العلامة . لا بد أنها للسخرية منه . ولا يعرف لماذا يسخرون منه .. أليس من المألوف أن يأتي أى مطرب بأسطوانات له قد سجلت في بيروت .. تماما كما يفعل أى مؤلف عندما يحمل معه نسخا من كتاب صدر له في الخارج ؟

واذكر أن المرحوم العقاد غضب جدا عندما نشرت عنه الصحف أنه تقاضى مبلغ ٢٠٠ جنيه عن حلقة في برنامج « نجمك المفضل » وعاتبني بشدة ولأمنى وحملنى مسئولية وضع علامة التعجب بعد المائتى جنيه . وقال العقاد : هل معنى ذلك أن الذى كتب الخبر يستكثر على رجل مثل أن يتقاضى هذا المبلغ التافه .. مع أن التليفزيون يعطى راقصة مثل هذا المبلغ وأحيانا أكثر .. هل « انتم » ترون أن رجلا مثل العقاد قرأ عشرات الألوف من الكتب وألف عشرات الكتب فى خمسين عاما ، لا يستحق هذا المبلغ الذى أعطى قبل ذلك لظه حسين : ثم ما هى مقاييس القيمة الإنسانية عندكم .. الخ .

والمرحوم أحمد حسن الزيات سألتني أيضا عن السبب الذي من أجله نشرت
الصحف أنه أعاد طبع كتبه .. وأن أحد كتبه قد طبع قبل ذلك ١٥ مرة
- وعلامة تعجب ! وسألتني المرحوم الزيات برقته المعروفة : هل ترون أن هذا
الرقم قليل ؟ فعلا قليل جدا لأنه كان في الإمكان طبعه عشرين مرة لولا أنني
مريض . ولذلك أشكركم على حسن الظن ! .

وليكن معلوما لدى كل الناس الطيبين - أى غير الصحفيين - أن علامات
التعجب هذه لا تدل على أى معنى خاص . وإنما هى عادة فى الكتابة وأن
شكلها أجمل من شكل النقطة الواحدة . أو النقطتين . وأن علامات التعجب
هذه لا توجد بهذا الإسراف إلا فى الصحف المصرية وأنه من النادر جدا أن يجد
الإنسان فى الصحف الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية مثل هذه العلامات ..
لماذا ؟ لأن التعجب له معنى عند غيرنا .. أما نحن فنتعجب من الفاضى والمليان
- أى أننا لا نتعجب لشيء ؟

وقديما قال أستاذنا العظيم أرسطو : إن التعجب بداية المعرفة .. فقط بداية
ولكنه ليس المعرفة ! .

وقد وقفنا فقط عند البداية ! .

الغناء ..

تنظيم التنفس

مطرب من جنوب افريقيا اسمه بوب أنتوني ظل يغنى بلا توقف ٢٤ ساعة .. فقط خمس دقائق كل ساعة يذهب فيها إلى دورة المياه .. يغسل وجهه ويحّد عددا من الفتيات يسوين له شعره ويضعن له بعض العطر والقبلات . وكانت الأغنيات بست لغات .. وبلغ عددها ١١٠ أغنيات . وعند آخر الساعة الرابعة والعشرين أعاد الاغنية الاولى .

وتعالت صرخات الفتيات والفتيان في لندن .. يطلبون إليه أن يستمر .. واستمر يغنى من جديد ، وكان صوته قد أصبح أجشاً .. وبدأ وجهه يشحب قليلا . ولكنه ظل ممشولاً القوام .. مصلوب العود .. مفتوح الشهية إلى الغناء والرقص .

وهذا المطرب الافريقى في الأربعين من عمره .. وقد تدرب على هذه الحفلة أكثر من عشر سنوات . وضرب الرقم القياسى وزاد عليه عشر ساعات .. وكانت هذه الحفلة من أجل مساعدة احدى الجمعيات الخيرية . وقد سمع أثناء الغناء ضوضاء .. فتوقف . ولكن ثلاثة من الرجال في أيديهم مسدسات نهضوا وأشاروا إليه أن يستمر إنهم حرسه الخاص .. فقد كانوا يتوقعون من الحاقدين عليه أن يفسدوا الحفلة حتى لا يضرب الرقم القياسى .

وكان لابد أن يروى المطرب الافريقى للناس كيف استطاع ذلك دون أن يسقط ميتا . لابد أن يتحدث الناس عن (الوصفة) الفنية والغذائية التى يتبعها وقال : إنه من أكثر الناس تناولا لعسل النحل واللبن .. وأنه يأكل البليلة فى الصباح .. والفاكهة طوال النهار . ولا يذوق الخمر . ولا يقرب مجالس النساء قبل الحفلات الغنائية بأيام طويلة . فالصوت ملئ بالجنس . ويجب أن يبقى الجنس فى الصوت وفى الرقص وفى الفن كله . وإذا اعطى الفنان نفسه للنساء لم يبقى فى فنه جمال ..

أما كيف يحتفظ بأنفاسه طويلة . فقد أعلن : أن المطرب يجب أن يملأ صدره بالهواء . ثم يزفره أثناء الغناء بحساب . لأن الغناء نفسه ليس إلا تنظيما للتنفس .. أو تنظيما للزفير - أى لإخراج الهواء من الصدر .. وهذا سر يعرفه كل المطربين ولكنهم لا يعترفون بذلك لأحد .. فكل صنعة لها سر .. وهذا هو السر الأكبر للصناعة .. بشرط أن يكون المطرب مطربا وليس «نفاخا» بلا حنجرة ! .

راقصة تبحث

عن معنى

إذا زاد عدد الفرق الكوميدية الخاصة فسوف تظهر راقصات أخريات على مسارحها . وظهور راقصات معناه أن الفرقة الخاصة محتاجة إلى أجسام جميلة « تسند » الممثلين والممثلات .. أى أنهم يحتاجون إلى جسم جميل وليس إلى جسم معبر !

وإذا كانت هذه الراقصة عادة قد فقدت معناها في النوادي الليلية فلأنها ترقص وتهتز ولا تقول أى شئ . ولذلك فأنت عندما ترى الراقصة تشعر بالإشفاق عليها . لأنها تحاول أن ترغب جسمها على أن يقول : أى معنى .. ولكن لا معنى .. وأصبحت الراقصات لا تختلف الواحدة عن الأخرى إلا في الأداء وإلا في انتهاء الرقصة أو اختيار قطعة موسيقية من إحدى أغاني أم كلثوم . وهناك سباق بين الراقصات على اختيار أنسب القطع الموسيقية المعروفة والرقص بمصاحبتها أو على هديها .. ولكن الرقص الشرقى : مرتجل ليست له قواعد ولا أصول وهو تحريك الأرداف وهز للصدر مع تطويع الرأس إلى الوراء والجانبين ... ولا معنى هناك . ولذلك فالراقصة إنسان أخرس . ولأنها ترقص في النوادي الليلية . فهي تفقد معناها مرة أخرى . لأنها تتحرك بين مخمورين يرون كل شئ جميلا ويرونها أيضا .. ولكن الكحول هو الذى يرى ويسمع .. أو الكحول الذى آلت إليه السلطة فى رؤوس الناس !

ولذلك إذا تحولت الراقصة إلى المسرح فلأنها تريد أن تجد لنفسها معنى .
ولأن الرقص قصير العمر . فهو مرتبط باللياقة الجسمية ثم لأن تحية كاريوكا
الراقصة قد تفرغت للتمثيل .. فكل راقصة تريد أن تمشي في الطريق .. ثم لأن
الراقصة تظهر على المسارح بفلوسها ، فبعض الراقصات دفعن أموالا للمخرجين
لكي يظهرن على المسرح .. وأظن أنه من حق أى إنسان أن يذهب بفلوسه إلى
المسرح ، وأن يصعد بفلوسه على المسرح أيضا !

أما السبب الحقيقي لظهور الراقصات على المسارح الكوميدية الآن ، فلأن
هذه المسارح قد تحولت إلى كباريات رخيصة جدا .. لا يكتفى فيها خلع
الملابس ، وإنما خلع الحياء قبل الملابس وبعدها . وإقبال الناس عليها كإقبال
الناس على أى جسم عريان . أما لماذا اتجهت هذه المسارح إلى هذا الأسلوب
العريان فلأنها تريد أن تكسب . وهى تريد أن تكسب لأن الدولة لا تساعد
والدولة لا تستطيع أن تساعد على الاستمرار فى خلع أزياء الحياء . ولذلك
فهناك اتفاقية صمت بين الدولة وبين هذه المسارح أساسها : أن الدولة
لا تدفع ، والمسارح يجب أن تجد من يدفع . ووجدت جمهور الناس الذين
يتفرجون وأكثرهم يستنكرون ويلعنون .

ومن علامات الخير الأخلاقى والاجتماعى أنهم يستنكرون ذلك وأنهم سوف
يتجهون إلى مسارح الضحك المحترم : أى الذى يحترم فيه الممثل نفسه
وجمهوره !

لا أحد فوق القانون

بلادنا مفتوحة كالسمااء كما تقول أم كلثوم .. ونفوسنا مفتوحة أكثر من
السمااء . ونحن نسخر من أنفسنا ومن أننا لا نكتم السر فنقول أن كمسارى
الاتوبيس يقول للركاب : انزلوا .. هنا المطار السرى !

ولذلك لابد من عمل شىء . لابد من التشدد فى كتمان أسرارنا وتضييق
مجال المعرفة . وعدم إعطاء فرص للجواسيس والذين ينقلون أسرارنا لأعدائنا .
لابد من التشدد فى اجراءات الأمن .. فنحن فى حالة حرب . والمعلومات
أسلحة حربية .. أخطر من الأسلحة لأنها من الممكن أن تقضى على الأسلحة !

استوقف رجل الشرطة نجمة سينائية معروفة .

وأى رجل شرطة من حقه أن يستوقف أى إنسان .. فان كان هذا الإنسان
أبيض الوجه أشقر الشعر . فلا أحد يلومه وليس من الضرورى أبدا أن يكون
رجل الشرطة الذى ينام ويصحو فى الشارع .. وفى الطرق الزراعية
والصحراوية ، وقد رأى نادية لطفى أو رآها هى أو سمع بها ، فالأفلام نوع من
الرفاهية بالنسبة له وحتى لو كان يعرف ذلك فمن الضرورى أن يتشكك فى كل
إنسان يراه . أيا كان هذا الإنسان ! .

أذكر ونحن عائدون من اليمن أن استوقفنا أحد رجال الجمارك . ولما حاولنا أن نعرفه بأنفسنا اعتذر عن جهله بنا . فتضايقنا . ولكن احترمنا القانون . ولما حاولنا أن نداعبه ونسأله ان كان قد قرأ لأى واحد منا .. فقال : ولا قرأت .. وكنا ، يوسف السباعي ونجيب محفوظ وصالح جودت ومحمود حسن اسماعيل ود . مهدي علام وأنا !

وعندما كنت أزور أحد المحافظين في بيته حدثني أحد المهندسين عن الدقة الشديدة التي يلتزمها رجال القوات المسلحة . فهم يرونه كل يوم يدخل أحد المطارات . وفي كل مرة يطلبون اليه أن يقدم ببطاقته الشخصية . وأعجبنا بهذه الدقة الضرورية في حالة الحرب !

وأذكر يوم ٣ يونيو سنة ١٩٦٧ كنت في العريش وكان الطريق - مظلم . واستوقفنا أحد الجنود وقال بصوت صارخ : كلمة سر الليل .. ولا أحد منا يعرف « كلمة سر الليل » طبعاً وتقدمت سيارتنا . وظهر أحد الضباط وأشار اليه بيده . وتنحى الجندي .. وتضايقت . فالضابط لم يشأ أن يذكر كلمة سر الليل .. أى لم يشأ أن ينفذ القانون الذى يحتم على كل من يقترب من منطقة عسكرية أو منطقة تفتيش أن يعلن عن كلمة السر ..

اننا يجب أن نتشدد في احترام القانون . فلا أحد أكبر من القانون سواء كان كاتباً أو ممثلاً أو ضابطاً .. إننا في حالة حرب .. في حالة حرب مع عدونا وفي حالة حرب ضد أنفسنا .. ضد الاستخفاف والتهاون والقهولة !

الحياة

هموم متجددة

في الصحف البريطانية مناقشة حول : أضرار العنف في البرامج التلفزيونية على الأطفال . وضرورة التدخل حتى لا يفسد هذا الجيل كله .

رأى يقول : ان الشر أكثر اغراء من الخير . خصوصا إذا عرفنا أن الشر جميل ولذيذ . وان المسلسلات التلفزيونية تتفنن في الضرب واطلاق الرصاص والقتل : مسلسلات رعاة البقر . والقصص البوليسية ويكفي أن ننظر الى حادثين هامين جدا : أحدهما إعادة صياغة «كتاب المقدس» في عبارة سهلة هذه المحاولة تعتبر ثورة في التعاليم الدينية . والحادث الثاني هو سرقة القطار المشهور - من المؤكد أن الأغلبية الساحقة من الآباء والشبان والصغار يقرأون حادث سرقة القطار . ولا بد أن هذا العنف يترسب في نفوس الأطفال ويغرسهم بالتقليد . والأطفال حيوانات تقلد ما حولها من البشر . وإذا نحن أعطينا مجموعة من الأطفال بعض اللعب فإهم يتقاسمونها ويلعبون بها في هدوء . وإذا عرضنا عليهم فيلما يرون فيه الكبار يستخدمون هذه اللعب نفسها في تكسير الزجاج والنتيجة تحول الأطفال بسرعة إلى مجرمين ! .

رأى آخر يقول : هناك نوع آخر من العنف يقدمه التلفزيون أيضا مثل صور الحروب المنتشرة في العالم . النار حقيقية . والدماء حقيقية . ولكن الطفل لا يستطيع أن يفرق بين دماء رعاة البقر ودماء ضحايا فيتنام . انها جميعا أفلام .

بل إن الطفل ينظر إلى النار والدم على أنها نوع من التمثيل ، وبذلك يبطل
مفعول العنف . فاعتياد الطفل على العنف يفقد العنف قوته وأثره . ومعنى ذلك
أن العنف في التلفزيون وفي السينما أيضا لا أثر له .. فلا خوف على الأطفال من
أفلام رعاة البقر أو المذابح البشرية .

رأى ثالث يقول : إن الحياة مملّة . خامدة . جامدة . وكما يلجأ الناس إلى
استخدام الملح والشطة في الطعام . فإنهم محتاجون إلى الدم والنار في أفكارهم
حتى تصحو عقولهم وتنشط أفكارهم وتهتز حياتهم وينهضوا من البلادة النفسية
والعاطفية أيضا ، وحتى ينهضوا لكي يقاوموا العنف أو ليستغرقوا فيه !

إننى أميل إلى اعتبار هذه البرامج العنيفة نوعا من النكت العنيفة التي تهزنا
لتضحكنا .. أو لتوجعنا ونعتاد على الاهتزاز وعلى التوجع .. ثم ننصرف كلما
كبرنا ، إلى هموم أخرى جديدة .. لأن الحياة هموم متجددة !



عندما ثارت عليه الجماهير

من السهل أن تكون لاعبا رديئا وحكما ظالما .. ولكن من الصعب أن تكون عادلا .. والحكم المصرى الدولى على قنديل اختار الطريق الصعب الذى انتهى به إلى أن يكون قاضيا بمحكمة كأس العالم فى المكسيك !

وعلى قنديل رجل مهذب رقيق ومجامل جدا ، ولكنه يخفى شدة وقسوة على نفسه .. فعندما ثارت عليه الجماهير فى الملاعب المصرية لم يكن قاسيا على الجماهير ولا على اللاعبين .. وإنما كان عنيفا مع نفسه ، فقد اختار لنفسه صورة « ببيع » يعلقها الناس على جدران الملاعب رمزاً للرجل الذى لا يجامل ولا يجارى ، إنه كتمثال العدالة يخفى عينيه وأذنيه .. فلا يرى ما يريد الناس ولا يسمع صرخاتهم لأنه ليس فى حاجة إلى بصر ، وإنما هو فى حاجة إلى بصيرة .. إلى ضميره فقط !

والذى يعتمد على ضميره يعتمد على أئمن ما خلقلته القيم الأخلاقية والدينية والرياضية فى ألوف السنين !

لقد تفرجت على مباريات رياضية كان يحكمها على قنديل ، وسمعت زئير الجماهير .. وكلها تطالب بمنقعه وأكثر . ووقف وحده يحتفى فى الطباشير الأبيض الملقى على وجه الأرض .. الذى هو رمز للقانون .. وأنا لا أدعى الفهم فى فن

الكرة . ولكن أعجبنى الرجل العادل الذى يقف وراء ضميره وكأنه يقف وراء أعظم قلعة منيعة فى الدنيا .

واختير على قنديل حكما دوليا للمرة الثانية . وهو تكريم شخصى له . ورد اعتبار وتعويض .. وهو فى نفس الوقت تكريم لرجل القانون . لقاضى الملعب تكريم للروح الرياضية فى مصر ومن أجل ذلك ارتفع علم مصر بين أعلام الدول فى المكسيك .

وكتبت الصحف المصرية كلها تحبى على قنديل وتهته . وتهنى الأعلام بعضها البعض على هذا النصر الرياضى والأخلاق أيضا . والذى يقرأ ما نشرته الصحف فى مصر عن على قنديل يحس كأنها تعتذر له عن قسوتها عليه يوما . وتؤكد له : ان كل حكم عادل فى ملاعبه : مهان !

اننا نحتاج إلى أكثر من على قنديل فى كل ملعب وكل مجال - نحن فى حاجة إلى روح حادة لا تخاف الحق . ولا تطلب الا العدل . فى حاجة إلى الذى يفاضل بين أن يكون محبوبا وغير محترم . وبين أن يكون محترما وغير محبوب .. ثم يختار الاحترام بأى ثمن .. والمثل الأعلى طبعاً هو أن يكون الإنسان محبوبا ومحترما فى نفس الوقت ..

وأعتقد أن الحكم الدولى على قنديل عندما أصبح محترما جدا فى العالم . إزدادنا حبا له ! .

أين هو الثعلب ؟

بمناسبة احتفال التلفزيون بعيد ميلاده العاشر أحكى قصة « الثعلب والبراغيث » . تاركا للقارئ أن يعرف بنفسه من هو الثعلب في التلفزيون .

يقال إن الثعلب عندما يشعر بأن جسمه قد امتلأ بالبراغيث فإنه يظل يتقلب على الأرض بقصد أن يقتلها .. ولكن هذه الشقلبة لا تقتلها .. وبسرعة وذكاء يلجأ الثعلب إلى حيلة أخرى . يجرى بين الحقول ويجمع أشياء من الأرض .. ثم يخفيها في فمه . ثم يتزل إلى الماء بظهره .. ذيله أولا ورجلاه .. وهكذا .. وكلما نزل إلى الماء قفزت البراغيث الى مكان آخر .. فهي تهرب من الذيل إلى الساق إلى البطن .. ثم إلى الرأس ، وعندما تصل إلى الرأس ، فإن الثعلب يغمس رأسه في الماء تماما .. وبسرعة يخرج الثعلب من فمه القش أو القطن الذي جمعه من الحقول .. وهنا تقفز البراغيث إلى القطن . وفي هذه اللحظة يلقي الثعلب بالقطن ويهرب نظيفا منتعشا إلى الشاطئ !

ودعانا التلفزيون أدباء ونقادا وممثلين ومخرجين والتفتنا حول بعض الحلوى والمشروبات المثلجة .. وانتقلنا إلى الاستديو وجلسنا على كل مائدة مديعة عندها أسئلة مكتوبة وعندها أيضا إجابات تتولى بها الدفاع عن التلفزيون اذا

هاجمه واحد منا ، وقلنا .. واتهمنا . ونسينا أن هذا هو عيد ميلاد التلفزيون .
وأنها حفلة زفاف وأنه لا مانع من إطلاق الأعيمة النارية بشرط أن تكون في
الهواء ولا مانع من التحطيط واستخدام الشوم ولكن بشرط أن يكون هزارا أو
لعبا ..

وكانت دهشة ثعالب التلفزيون كبيرة . فالذين كان من الفروض أن
يهاجموا التلفزيون ترفقوا به .. والذين ترفقوا به كان من الضروري أن
يهاجموه . لماذا ؟ لأننا لم نتفق على شيء وإنما تركونا نقول ما أكثر تلك
الصعوبات التي يواجهها التلفزيون والإذاعة . نعرف الصعوبات الفنية
والبشرية أيضا وقد استمعنا إلى وزير الإرشاد وهو يشير إلى كثير من الصعوبات
ولم يشأ أن يذكر شيئا ولكننا نعرف أيضا كثيرا جدا . ورغم هذه الصعوبات فقد
استطاع التلفزيون أن يغطي مساحات زمنية كبيرة .

وعيوب التلفزيون هي نفس عيوب أى جهاز جديد ، له أعباء ثقيلة
وعاجلة وإمكانياته المادية عاجزة . وقدراته الفنية أكثر عجزاً .

وكان من الممكن أن نتولى الدفاع عن التلفزيون ولكننا وقعنا في الشبكة
المغرية . فقد قالوا لنا : أنتم أحرار اشتمونا .. العنونا ..

وأغرتنا كلمة الحرية ، وتحملنا وحدنا مسئولية المناقشة واقتراح العلاج
وكانت الحرية هي « قطعة القطن » التي تمسكنا بها وتجمعنا حولها وواجهنا ملايين
الناس على الهواء .. وهرب الثعلب !

الحب

في صحراء الجنس

هل اختفى الحب العظيم ؟ هل تلاشى الإخلاص حتى الموت ؟ هل الحياة أقوى من الموت . والحرص على الحياة أقوى من ذكريات الموتى ؟ ألم يعد هناك شيء يساوي أن يتعذب الإنسان من أجل انسان آخر أحبه ومات ؟ هل ضعفت ذاكرة الناس أو تصلبت قلوبهم ! هل من السهل على أى إنسان أن ينسى لحظات عميقة في حياته أو سنوات غالية في عمره .. هى حياته وهى عمره ؟

ان الكثير من القصص والمسرحيات والأفلام التى نراها تؤكد لنا أن الحياة قطار أو طائرة أو سيارة . وإننا نلتقى بعض الوقت ونسعد بعض الوقت ونفترق لأى سبب .. ولكن علينا أن نكمل الرحلة وحدنا أو مع آخرين .. فكل إنسان قد أخذ نصيبه من الحياة .. وليس من العقل أن يبيع الإنسان عمره على أناس انتهت أعمارهم .. فلا شيء يساوي هذا العذاب أو هذا الألم ..

ومعنى ذلك أن العلاقات الإنسانية هينة رخيصة .. عابرة .. وأن الإنسان يجب ألا يفرح بشئ لأنه سيفقده ويجب ألا يبكى على شئ لأنه لا أمل من وراء البكاء .. فما راح راح .. وما جاء سوف يروح .. وما دامت الدنيا كلها الى نهاية .. فلماذا نتعجل هذه النهاية ولماذا نعيشها قبل الأوان ..

ولكن يبدو أن تيارا عكسيا بدأ يظهر على الشاشة يرد الى الإنسان أمله في الحياة وتمسكه بالقيم الإنسانية .. ومقاومته للموت والفناء .. فالذكريات والحياة على الذكريات معناها : ان الذى مات لم يمت .. بل من الممكن أن يكون الأموات أقوى من الأحياء .. بل فى استطاعة الموقى الأعزاء أن يستولوا على حياتنا .. ونحن سعداء بهذه التضحية .. ولابد أن الفيلم الذى ستظهر فيه صوفيا لورين واسمه « عباد الشمس » هو البداية الحقيقية للحب الكبير العميق .. فهى تقوم بدور زوجة مات زوجها فى الحرب العالمية الثانية تحت الجليد فى روسيا .. ولكنها لا تستطيع أن تصدق ذلك .. فذهبت الى روسيا تبحث عن الزوج .. تنتقل بين المدن والقرى .. وتقف على أبواب المصانع تنظر الى وجوه العمال ذوى الملامح الايطالية .. ان شيئا فى داخلها .. فى قلبها .. فى أحلامها يؤكد لها أن زوجها لم يمت وأنه حزين عليها .. وأنه فى حاجة اليها .. كما أنها فى حاجة اليه .. وتنتقل صوفيا لورين الى مقابر الشهداء .. وتمشى بين الموقى .. بين قصص حب تحولت الى تراب .. بين أحلام تكسرت وآمال هُشمت !

ولكن صوفيا لورين التى اعتادت أن تظل من النوافذ ليبدو صدرها وتدرج من السرير لتظهر ساقها وتسبح فى الصابون لترى عنقها وكفها .. قد أقامت بهذا الفيلم تمثالا للحب فى صحراء الجنس ..

وسجلت بداية إنسانية ..

أو بداية لتصحيح الضياع الإنسانى ..

أو الضياع العاطفى ..

ومعنى ذلك أن الإنسان بعد أن يموت يمكن أن يعيش في قلوب الذين يحبهم .. انه بعد موته لا يدري بشئ .. ولكن الأحياء يعودون اليه حياته مع مزيد من الإمتنان ..

ان الجديد في هذا الفيلم هو شعور الإنسان بالإمتنان في عصر من أهم معالمة : الجحود والنكران والكفران أيضا ! .



مددت يدي فضحك الرجل

كنت أنا وأخي الصغير نركب القطار من قرية «نوب طريف» الى السبلاوين ذهاباً وإياباً بتذكرة واحدة . وكان الكسارى يندهش جداً لهذا التصرف الغريب . اذ كيف نركب بتذكرة واحدة في الدرجة الأولى . ولم نكن نندهش فقد قيل لنا في البيت اننا صغيران وكل واحد منكما بنصف تذكرة . وكنا صغيرين في السنة الأولى الابتدائية . ويبدو أننا لم نكن صغيرين في نظر الكسارى - وكان ينظر الينا ويرى السذاجة وحسن النية فيقول : غدا بتذكرتين . فلم تصبحا صغيرين .

وغدا نعود ويتكرر نفس الموقف . وينظر الينا نفس النظرة . وعرفنا كل الكسارية . وكانوا يقولون : من أجل خاطر والدكما فقط .. معلىش ؟

ولاحظت على نفسي عندما أركب القطار هنا أو في الخارج انني آتق بأعمال يقوم بها الطفل الذي في داخلي فلا أكاد أرى الكسارى من أول العربة حتى تمتد يدي الى جيبي وأخرج التذكرة دون أن أفكر .. ولما انتهت الى ذلك تعمدت الا أخرجها الا بعد أن يطلبها مني .. تجربة في التحكم في هذا الطفل الذي في داخلي والذي لم يعرف بعد انني قد تجاوزت هذه المرحلة وانه لم يعد هناك ما يخيفني من الكسارى ! .

ولقد زارنى رجل يشكو من ظلم وقع على ابنه فى احدى المؤسسات وطلبت
اليه أن يكتب لى مذكرة . وكانت فى يده . وقرأتها . ووعدت بمساعدته . فأنا
أعرف رئيس المؤسسة . وفى نفس الوقت مقتنع بعدالة الابن .. وأمام مرض
الرجل الجالس أمامى وحاجته إلى الاطمئنان اتصلت برئيس المؤسسة وشرحت
له .. ووعدـ مقتنعا ـ بإصلاح الخطأ .. وشكرته . وشكرنى الرجل الجالس
أمامى . وقبل أن يودعنى قال : أنت لا تعرفنى . ومعك حق فقد كان ذلك من
وقت طويل .. أنا الكمسارى ؟

وروى قصته معنا أنا وأخى ..

وبسرعة غريبة أذهلتنى مددت يدى الى جيبى أنبث عن التذكرة ..
وضحك الرجل .. وضحكت على قلة عقلى ! .



لعنة من جيل ..

إلى جيل !

الشباب ملعون في كل عصر ..

والذين يلعنون الشباب هم الذين أكبر منهم سنًا . وهؤلاء الأكبر سنًا حريصون على أن يظلوا شباباً أيضاً . يذهبون الى النزى وإلى الحلاق وإلى الطبيب . وهم جميعا يريدون أن يحتفظوا بالأناقة والصحة ويبحثون أيضا عن وسائل رياضية أو طبية للرشاقة .. أو للحياة !

وهم في نفس الوقت يلعنون الشباب . وينسون أنهم كانوا شباباً وأنهم كانوا ملعونين ، وكل أب وأم وجد يحتفظ بذكريات لحوادث كثيرة لأبنائه وأحفاده . سواء كانوا قد عاشوا من مائة عام أو من ألف عام ..

وفي المخطوطات الفرعونية القديمة شكاوى مريرة من الآباء ونصائح في وزن الحرم . نصائح لهذه الحياة ولما بعد الحياة أيضا .. بل نصائح للطريق في عالم الموت وكيف يتأدب الابن في حضرة الآلهة . وكيف يحنى رأسه . ويكفى أن يغطي صدره ويخفض صوته .

وقد عثر أحد أساتذة جامعة الاسكندرية على مخطوطة نادرة عمرها أكثر من ألفي سنة . وفي هذه المخطوطة يسجل الأب الذى جاء من الريف لزيارة ابنه الذى يدرس في معاهد الاسكندرية . وأنه لم يجده . وأنه قد عاد حزينا . ولم يم

الأب والأم في تلك الليلة . وقد علم الأب بعد ذلك أن ابنه يركب الخيول والعربات . وأنه يقضى بهاره في اللعب على الشاطئ على البلاجات .. وأنه لم يسرّج الى شكل ملابسه . وأن هذه الملابس تدل على اختلاطه الكثير بالفتيات . فألوان الملابس متعددة . ثم إنها من قماش ليست فيه خشونة الرجولة !

ولم يحدثنا الأب . ولا التاريخ . عن شباب هذا الأب . ولا عن شكوى والده هو منه !

وليس صحيحاً أن الذى نراه من شبابنا الآن لم يحدث من قبل في التاريخ . ومن المؤكد أنه حدث ولكن بأشكال أخرى .. فبذمئة سنة كان شرب الشاي عيباً . وكان شرب القهوة لا يليق بالنساء . وكان النظر من الشباب فعلاً فاضحاً . وكان خروج المرأة الى الشارع انحلالاً . واشتغالها فجوراً !

وفي هذه الأيام شربت النساء القهوة . ونظرن من النافذة بصدور شبه عارية . ونزلن الى الشارع . وطالبن بالعمل . ولم تقم القيامة كما تصور الناس الطيبون !

ولن تقوم القيامة . كما تصور بعض القراء .. ولن تنطبق السماء على الأرض . لما هو حادث الآن في شوارع القاهرة أو شواطئ الاسكندرية . لأن الشباب يتصرفون كشبان . ولأن الشيوخ يعلمون بأن يكونوا شباباً وبأنهم يحسدون الشباب على حيويهم وعلى فرحتهم بالحياة . وان كانوا يعلمون أن الحياة بعد ذلك سوف تكون لها طعم المر وجفاف الرمل ولون الشوارع . ولكن كل إنسان يعيش عصره بلغة عصره !

واذا كان الشباب ملعوناً في مصر فالشيوخ أيضاً !

الدبوس

شيء كبير ..

مثل شكة الدبوس . تعبير نقوله للدلالة على البساطة والسهولة . واذا كان هناك أى ألم فهو خفيف للدرجة أننا لا نشعر به ..

ولكن ليس أصعب من عمل دبوس له طرف رفيع وناعم اذا دخل الجسم لم نشعر به - الحقنة الطبية مثلا . فهي مصنوعة بعناية خاصة من معادن خاصة . ولم تهتم الإنسانية الى هذا الدبوس الطبي الا بعد ألوف السنين . وليست كل الدول قادرة على صنع مثل هذا الدبوس !

وفي الأسواق عندنا دبائيس « لا تشك » لأن طرفها ليس رفيعا ولا ناعما . واذا « شكت » مزقت الجلد ومزقت القماش أيضا . أو انكسرت . أو صدئت قبل أن تدخل الجسم . وهذا الصداً معناه أن هذه الدبائيس قد تهيأت لأن يموت .. فالصداً مرحلة من مراحل الموت . انه يشبه الشيخوخة أو يشبه التآكل أو الذوبان !

والذين يرون أن شكة الدبوس مسألة سهلة هم الذين صنعوا هذه الدبائيس . وهم الذين جعلوها غليظة وجعلوها قابلة للصداً - لأن الدبوس في نظرهم شيء هين تافه ..

ومعروف جدا في الأوساط التجارية والاقتصادية كيف أن صفقة من القمصان - ألوف القمصان - قد أعيدت لأن الدبابيس الى شبكت هذه القمصان قد أصابها الصدأ . والصدأ ظهر على القمصان .. وراحت الصفقة ومعها أو قبلها أو بعدها سمعتنا الصناعية والتجارية والاقتصادية !

وليس غريبا أن نجد عددا كبيرا من العائدين من الخارج قد حملوا معهم دبابيس .. كل ألف دبوس بعشرة قروش .. وإن هذه الدبابيس ينتظرها البرزية وأصحاب محلات القمصان .. أما الحلاقون فيستظرون بنس الشعر والمشابك وغيرها ..

وهذه أيضا يجب أن نستوردها لأن المنتجات المحلية فيها عيوب جوهرية ! وهذه العيوب سهلة وبسيطة - مثل شكة الدبوس - ويمكن علاجها ويمكن إنقاذ مئات الألوف من أمتار القماش والقمصان والفساتين .. ولكننا نؤمن بنظرية أخرى مع الأسف تقول : افساد الطليخ من أجل مليم من الملح . هذا هو المسئول الأول والأخير عن الدبابيس الى لا تشك وعن كل شئ . نمياً له . وننفذه . وبعد ذلك يهبط الحماس ونتوقف عن الاستمرار في المشروع أو في الفكرة من أجل مليم ملح .. ولا بد أن مليم الملح هذا هو المسئول الأول والأخير عن الدبابيس الى لا تشك . وأن الدبابيس تمزق الملابس وتعطيها تأشيرة العودة إلى مصر بعد سفرها إلى أوروبا بساعات ..

إنها مأساة دبوس في قيص !

معنى يوم القيامة

طبيب يابانى نجح فى تخنيط جثة زوجته .. وظلت الجثة سليمة . وفى ذلك نجاح طبي وكيميائى لا شك فيه .. ولهذا طلب الطبيب عرض الجثة دوليا ..

ولو كان فى اليابان معرض للتاريخ القديم . وبين المعروضات تابوت فرعونى لأحس الطبيب اليابانى بأن نجاحه هذا متواضع جداً .. لأن الفراعنة نجحوا فى إبقاء جثثهم سليمة ألوف السنين .. ولا يزال العلم الحديث حائراً فى معرفة سر التحنيط . وإن كنا نعرف كيف كان الفراعنة يحنطون جثثهم .. كانوا يفتحون الرأس ويسحبون المخ منه . أو يسحبونه من الأنف . ومن العجيب أن المخ هو أول عضو يتعفن فى الجسم الإنسانى .. ثم يفتحون البطن ويسحبون منها كل الأحشاء فيما عدا القلب والرئتين والكليتين . وكانوا يغسلون البطن بالأملح ثم يحشوها بالكثبان لكى يمتص الدم والماء .. ثم يضعون الجسم الإنسانى فى الملع فترة طويلة حتى يمتص الملع كل ما فى الجسم من ماء ودم - الجسم الإنسانى ٧٥ فى المائة من وزنه من الماء ؟

ويستخدم الفراعنة الملع والزيت والكحول والجلسرين بنسب مختلفة وفى فترات متباعدة . ثم يغطون الجسم الإنسانى كله بالزيت حتى لا ينفذ الهواء أو الرطوبة .. ويستخدمون عسل النحل .. فمن خصائص عسل النحل أنه يقتل

كل الميكروبات - ولم يعرف الفراغة الميكروبات وان كانوا عرفوا نتائج وجودها كالتعفن والعدوى .. ولكن التجربة علمهم أن عسل النحل يشق من الجروح ويوقف الدم .. ويمنع العفن ..

ولا يركون الجسم خاليا .. وانما هم يملأون كل تجاويف الجسم : الرأس والفم والبطن بالكتان .. والكتان منقوع في سوائل القرفة والملح والمر والصمغ . وتستغرق عملية التحنيط هذه شهوراً عديدة . يلبى فيها (الخانوية) أنواعا من العذاب والهوان . وقد وصفها المؤرخ الاغريق هيرودوت .. فأهل الميت يضربون الخانوق بالطوب ويتهجمون عليه لقسوته في فتح بطن الميت واخراج أحشائه ..

وهناك درجات من التحنيط .. تحنيط الفقراء وحنيط الاغنياء .. وحنيط الملوك .

وبعد تحنيط جسم الملك يلفونه في عشرين طبقة من الكتان - توت عنخ آمون ملفوف في ست عشرة طبقة من الكتان وموضوع في ثلاثة توابيت خشبية في داخل تابوت حجري - كل هذا حرصا على الجثة أن تتسلل إليها رطوبة الهواء فتفضي عليها قبل يوم القيامة !

ولابد أن مفهومنا ليوم القيامة الآن هو الذي جعلنا لا نهتم بالإبقاء على جثة الميت سليمة ، حتى اذا قامت من موتها ، تكون كأنها قلمت من نومها - ولكن لا يزال الفراغة أساتذة الطب والكيمياء والهندسة في كل العصور - اقرأ كتاب الدكتور حسنى كمال عن (الطب المصرى القديم) وأنت تشعر بالإعتراز بماضى أجدادك !

يقول ولا يقاطعه أحد

هناك عيوب في الكلام مع الناس . من ضمن هذه العيوب أن تتكلم أنت . وتظل تتكلم . والناس يستمعون أو يضحكون . ويكون سكوت الناس دعوة الى مزيد من الكلام . ويكون ضحكهم تشجيعاً على الاستمرار مع أن العكس ممكن . فيكون سكوت الناس نوعاً من الاستسلام للقضاء والقدر .

ويكون ضحكهم عليك . أو على أشياء أخرى خطرت على بالهم .. كأن تذكرهم أنت باحدى الشخصيات المسرحية .. هذا فيما يتعلق بالرجال . أما النساء فهن طريقة عجيبة فريدة . فهن جميعاً يتكلمن في وقت واحد كالطيور أو الدجاج اذا تسال بينها قط - مثلاً .. ومن الغريب أن النساء قدرات على الكلام والاستماع والفهم في وقت واحد !

أما سبب هذا العيب عند الرجال . فهو أن يكون الرجل مدرساً ابتداءً أو ثانوياً . فقد اعتاد على أن يقول . واعتاد من الذين أمامه أن يسكتوا . فإذا قاطعه أحد من الناس انزعج وتضايق . وقد يسكت بالقوة . فهو مدرس والذي يقاطعه تلميذ . والمقرر طويل . والحياة مقرقة . والحصص كثيرة . والمفتشون سخفاء . والكراريس كثيرة . والدروس الخصوصية . وزوجاته وأولاده قد أنهكه نفسياً وجسدياً ؟ ولذلك فهو لا يطيق أن يستوقفه أحد لأى سبب !

أما اذا كان مدرسا جامعيا فإن تلامذته بالملئات وأحيانا بالألوف في وقت واحد . وقد اعتاد أن يتكلم ، واعتاد أن يسمع المقاطعة والضوضاء في الميكروفون أو من غير ميكروفون . ثم لا يبدى أى اهتمام . وانما يمضى في الكلام كأن أحدا ليس حوله . أو كأنه يتحدث إلى نفسه !

وهذه عيوب المتحدثين في الإذاعة أيضا . وعيوب الناس الذين يشغلون مناصب كبيرة : لهم أفواه وليست لهم آذان - يقولون ويقولون ولا يسمعون ! ولكن الغريب اننى لاحظت أن أكثر الناس كذلك .. أى أن أكثر الناس يتكلمون فإذا قاطعتهم لتبدي رأيك أو لتستوضح لم يستمعوا اليك مع أنهم لا مدرسون ولا أساتذة ولا قياديون إذن ما هى الحكاية ؟

الحكاية : أن كل إنسان يشعر بنفسه ولا يشعر بغيره . وكل إنسان يريد أن يقول ولا يهجه أن تسمعه أو تفهمه ! .
إذن .. فالنساء وأحاديثهن أحسن ! .



هذه الحدود نساها كثيرا

فجأة تجد نفسك في شجار مع صديق لك !

يظهر أنه من الضروري أن يكون للإنسان صديق : أخ أو صديق أو أخ
كصديق أو صديق كأخ . وفي هذه العلاقة يجد الإنسان راحة أو يكون على
راحته : يقول ويشكو ويطلب الرأي أو النصيحة . وكل إنسان محتاج الى رأى
آخر . أو الى وجهات نظر أخرى .

ويستريح الإنسان الى هذه العلاقة وتصبح هذه العلاقة نوعا من الارتباط أو
الرباط . ولذلك تجد نفسك تبحث عن صديقك أو أصدقائك دون أن تكون
هناك ضرورة واضحة لذلك . أى دون أن تكون عندك قضية أو شكوى .. وانما
أنت اعتدت على أن تكون (مع) أحد تستريح اليه أو أحد تفك قيودك
أمامه .. فلا تتحفظ في كلام أو أفكار أو تصرفات .. فإكثر التحفظات
والقيود في حياة كل إنسان . في بيته وفي الشارع وفي مكان عمله ..

ومن هنا كانت الصداقة أو الأخوة حالة انعدام وزن .. يتشقلب فيها
الإنسان .. ويكون على النحو الذى يعجبه دون أن يخلف على شئ . وإذا اعتاد
الإنسان ذلك . مع أحد أو أمام أحد من الناس ، فإنه بعد ذلك يصبح أسيراً

لهذه العادة وهذه العلاقة وهذا الشخص .. ومن هنا كانت الصداقة مريحة وكانت ضرورية !

ولكن يحدث أن تدخل في مناقشة مع صديق أو مع أخ أو مع قريب وفجأة يتحول هذا الصديق إلى إنسان غريب . إلى عدو . إذا به يطلق عليك عبارات ويذكر لك أحداثاً ومحاسبك على أشياء .. ويعيرك ويشمت فيك ويدعو عليك .. كيف حدث ذلك ؟ وأين كان كل ذلك ؟ لماذا ؟ .

لماذا : لانك نسيت حدودك لأن هناك حدوداً بينك وبينه ولأن الصداقة قد أخفت أشياء كثيرة . وان الصداقة قد غطت على مواجع كثيرة . وان هناك حدوداً لاحتمال الإنسان للإنسان واحتمال الصديق للصديق وأنت تجاوزت الحدود . وأنت وصلت إلى أماكن الألم . وأن هناك أسلاكاً مكهربة على حدود العلاقة التي بينك وبينه . وانك يجب أن تفهم أن الصداقة والقرابة والحب لا تجعل من اثنين شخصاً واحداً . وانما تجعل منها شخصين متقاربين . لكنهما دائماً شخصان وكل واحد له رغبته ونزواته وتطلعاته . وإن هناك حدوداً يجب ألا يتخطاها الإنسان في علاقته بأحد ..

ان هذا الموقف مؤلم لانه يذكرنا بأن هناك حدوداً . وكنا قد نسيناها وان الإنسان مهما كان صديقاً لأحد أو قريباً لأحد أو حبيباً لأحد .. فهو إنسان غريب .. هو انسان آخر . من الممكن أن يكون عدواً كما كان صديقاً أيضاً !
إلها حقيقة .. وهى لذلك مؤلمة !

الخوف هو.. أبو الضمير

كيف نشأ الضمير فى الإنسان ؟

كيف نشأ هذا الصوت الداخلى الذى يقول لك : لا تفعل ذلك . وعليك بعد ذلك أن تنتظر ما سوف تلقى من جزاء ! .

كيف نشأ ذلك من عشرات الألوف من السنين ؟ .

إن الضمير هو صوت القانون الذى نضعه والقانون الذى تضعه السماء .
والضمير هو : الفرامل التى تمسك الإنسان أن يفعل شيئاً . وهو الكرباج الذى يضرب الإنسان إذا فعل ..

لابد أن يكون الضمير هذا قد نشأ من خوف الإنسان من الانتقام أى خوف الإنسان من حيوانات الغابة أن تنتقم منه لأنه قتلها - أيام كان مسلحاً .

وهذا الخوف من انتقام الحيوانات جعل الإنسان يختار الحيوانات ليعيش عليها . وهو يهرب بعد قتلها . ويتوارى فى كهف ليأكل لحمها . ولا يظهر من الكهف الا عند طلوع الشمس . ومسلحاً يعيش فى الغابة من عشرات الألوف من السنين . فالإنسان يقتل الحيوانات التى يجب أن يقتلها . يختار المفترسة ويختار التى يتغذى عليها . ولكنه لا يقتل الحيوانات التى استأنسها الا نادراً - انهم فى

الهند لا يذبحون البقرة أبدا . لأنها أم ولأبها مصنع للحياة ولأبها مصنع لبن وجبن وزبدة - وإن كان أكثر الهنود لا يأكلون اللحم أو اللبن أو الجبن أو الزبد وكل ما يجي من حيوان .. وكان الفراعنة لا يأكلون اللحوم - لقد كانوا نباتيين وكانوا يقدسون الحيوانات .. فكأنهم أراحوا ضميرهم وأراحوا أنفسهم من الخوف من انتقام الحيوانات الأخرى ..

والإنسان لم يركب الحصان أو الحمار الا أخيرا . ربما كانت حضارات بابل وآشور هي أسبق الحضارات الى ركوب الخيل .. وكانت مفاجأة للمصريين عندما رأوا الخيول التي يركبها الهكسوس ..

ولم يتحرر الانسان من خوفه من الحيوانات الا عندما ركبها والا عندما ربطها في العربات .. هنا فقط تحرر الانسان من خوفه من انتقام هذه الحيوانات ..

حدث تغيير بسيط جدا على ضمير الانسان : انه لم يعد يخاف من قتل الحيوان أو الانسان . واعتاد الانسان أن يهرب من نفسه الى الانغماس في الناس ومع الناس حتى لا يسمع صوت ضميره . تمهيدا للقضاء عليه - مع الاسف !

الدخان

يُخنق حريتى

نحن نسأل أنفسنا كثيرا : لماذا لا نحرّم التعليقات والإرشادات ! هل المصريون مستخفون بطبعهم ؟ هل نحن لا مبالون !

مثلا : ممنوع التدخين .. ممنوع المرور .. ممنوع الوقوف .. الرجاء أن تدخل من باب وأن تخرج من الباب الآخر للأتوبيس أو للمنرو - ومع ذلك فإن أحداً لا يحترم هذه المنوعات .

والسؤال الذى يخزن الانسان ويوجع قلبه على نفسه وعلى بلده هو : لماذا لا نحترم القانون !

والجواب اننا لا نعتزم القانون لان القانون لا يحترم نفسه . لانه لا توجد عقوبة لمن يخالف القانون . واذا حاول انسان «قانونى» ان يطبق القانون . فوجئ بمظاهرة اسمها : معلش .. يا أخى معلش .. ياسيدى معلش .. خلاص يعنى كل حاجة فى البلد كويسه . وبس هيه دى الى غلط ! وعبارات أخرى كثيرة تدل على منتهى الاستخفاف ومنتهى التخريب للقيم الانسانية والقانون . وفى لحظة واحدة يصبح القانون مجرد سور هزيل يعلو عن الأرض بضع مليمترات ندوسه دون أن ندرى به .. مع أن القانون يجب أن يكون سداً منيعاً لا يجتازه .. وإنما نقف عنده احزماً له . واحزماً لأنفسنا ولغيرنا من

المواطنين . وحرصا على بقاء الكيان الاجتماعى المصر .

مثلا : ممنوع التدخين فى دور السينما . لم يعد ممنوعا . وانما تحولت دور السينما الى مقهى بلدى .. وأصبحت سحب الدخان ستاراً يعزل العيون عن الشاشة . مع أن الحكمة فى منع التدخين هى أن هناك أناسا لا يحبون السجائر . ومن حقهم أن يتنفسوا الهواء الصحى والذى يريدون .. وليس من حق المدخنين أن يفرضوا هذا الداء أو هذا المرض على غيرهم . والذى يبعث على الضحك حقا اننا كتبنا بعد عبارة « ممنوع التدخين » عبارة أخرى تقول : بأمر المحافظ ! . فالتدخين ممنوع بأمر الصحة العامة . بأمر احترام الحرية الشخصية بقوة القانون الذى يجب أن يكون محترما من الجميع ! .

وكلمة «ممنوع» محترمة فى كل مكان متحضر فى الدنيا .. ولكنها ليست محترمة عندنا . لأننا لا نحترم القانون ، لأننا جعلنا القانون ضعيفا ولأننا جعلنا الذين يحرسون القانون عاجزين عن حمايته ! .

ولكن حيث لا توجد عقوبة على مخالفة القانون فلا قانون وحيث لا يوجد قانون ، لا يوجد مجتمع سليم .. واذا لم يكن المجتمع سليما فهو عاجز عن حماية الناس من الناس .. أى عن حماية نفسه من نفسه ! .

فليست حرية التدخين هى التى تهتم . وإنما حرية الإنسان وسلامة المجتمع !

الطوب والمسامير مسألة أخلاق

وما الذى فى مسمار صغير فى الطريق ؟ فيه شئ كثير ؟

ما معنى أن يلقى الإنسان بمسار فى الطريق قد لا نجد لهذا أى معنى أو أى ضرر على أحد من الذين يرتدون الأحذية . وأكثر الناس عندهم أحذية . ولكن هناك عدداً كبيراً جداً من الحفاة العراة لا يتوقفون عن السير فى شوارع المدن .. وفى الطريق الزراعى بين القاهرة والاسكندرية . هناك السيارات ذات الكاوتش الناعم الذى تأكل من كثرة الاستعمال . هذا الكاوتش الناعم يشبه الأقدام الحافية .

فى الطريق الزراعى نجد عشرات السيارات قد اتخذت جانبا من الطريق . وعكف عليها بعض الركاب ينقلون عجلة ويضعون بدلا منها عجلة أخرى . وهذه السيارة وأصحابها سعداء طبعاً . لأنهم اكتشفوا أن إحدى العجلات . قد انفجرت . وأنهم عندما اكتشفوا ذلك وتوقفوا فجأة لم يصدموها سيارة أمامهم . ولم تفحصهم سيارة خلفهم أنهم سعداء . وهم اكتشفوا هذا الخلل الطارئ بعد أن قطعوا جانبا من الطريق والسبب هو المسمار الصغير . وانه تحت الضغط مازال يتعمق الكاوتش حتى وصل الى الكاوتش .. الداخلى وتوقفت السيارة !

ولأسباب غير معروفة حتى الآن نجد أن معظم السيارات تنفجر عجلاتها قبل أو بعد دمنهور بقليل - انها لعنة دمنهور !

ولا علاقة بين انفجار هذه العجلات وبين ظهور محل الكاوتش بعد دمنهور
بقليل .. وعليك أن تدخل الى هذا المحل . وعليك أن تأسف بحزن على كل من
تسول له نفسه أن يسافر بهذا الطريق ولا يسافر هو وسيارته بالقطار . فالأسطى
يحيى اليك متكاسلا . انه ريفى لا يفعل وليس على عجل . ويضع « العجلة » فى
الزراب - فى الطين - ويفتحها . ثم يبحث لك عن رقعة ويضعها على وابور
الجاز ويضغط عليها .. الى آخر ما يحدث عادة .. وبعد نصف ساعة تنفجر
العجلة مرة أخرى .. ماذا جرى : مسمار آخر ظهر فى الطريق . وهنا لا تجد محلا
يصالح لك العجلة وتزحف على أعصابك الى القاهرة أو إلى الاسكندرية ويتكرر
هذا كل يوم ولكل الناس أصحاب السيارات الحافية !

والسبب أن أحداً ألقى بمسمار فى الطريق . وإذا كان لابد من لقاء المسمار
فلماذا لا يلقى فى التربة أو فى المصرف . ولماذا لا يحتفظ به فى بيته . فقد يحتاج
اليه .. ولكن هذه المسامير هى الغام عاتمة .. هى قتابل موقوتة .. لا تنفجر
ولكن تؤدى إلى انفجار السيارات وأصحاب السيارات . والمسمار ليس الا دليلا
على الحقد التقليدى بين الذى يمشى على رجله وبين الذى تمشى به سيارة ..
وهو نفس المسمار الذى يمسكه بعض الناس « ويحروون » به السيارات الواقفة فى
أى مكان .

انها نزهة شريرة ضارة ولا تفيد أحداً .. إنها تضايق الناس ولكنها لا تمنعهم
من السير فى الطريق الزراعى .. ولا من أن يستوردوا سيارات من الخارج من
كل لون وكل حجم وبكل طريقة !

اننا نحتاج الى مبادئ أخلاقية عظيمة حتى لا يلقى إنسان مسمارا فى الطريق !

الإنسان لا يميته التعب

ليس التعب هو الذى يقصف العمر وإنما هو الإرهاق ! فمن المعروف أن الذى يعمل بانتظام . يمرض قليلا . لأن العمل ، المنظم هو فى نفس الوقت راحة منظمة وإذا كان هناك نظام فى العمل وفى الراحة من العمل فإن كل وظائف الجسم الإنسانى تصبح منظمة أيضا .. وعمليات الهدم والبناء والطاقة وتبديدها واكتسابها وادخارها كلها عمليات منظمة . وقد لوحظ أن الذين يعيشون طويلا هم الذين يعملون دائما وأعمالهم منظمة . لا يهم نوع العمل . فقد يكون طويل العمر فيلسوفا ويكون شحاذا أو فلاحا أو حدادا .

وربما كان ذلك أحد الأسباب فى أن عمر المرأة أطول من عمر الرجل .
فحياتها أكثر انتظاما !

أما الذين تنطفئ أعمارهم فجأة أو بسرعة . فهم كالمصابيح التى لها مشاعل كبيرة متوهجة . تحترق بسرعة وتتلأشى . فقد استنفدت كل طاقتها فى أقصر وقت .. وأن أعمار هؤلاء الناس كأعمار الصواريخ وليست كأعمار الشموع أو الفوانيس ..

ومن أمثلة الإرهاق : أن يعمل الإنسان اسبوعا متواصلا بلا راحة ، وبعد ذلك يحاول أن يستريح وفى أثناء الراحة يعمل أيضا . ويتضاعف تعب . ويعجز

عن العمل مرة أخرى ويحاول أن يستأنف نشاطه غير العادى ، وقد يستعين على النشاط بحبوب منشطة أو بالمنبهات . أى باستخدام كراييج من نار يضرب بها أعصابه ويكون هو العريجي والحصان والكرباج .. ولا بد بعد ذلك أن يتساقط الثلاثة معا .. مرة بعد مرة !

فى عصور الرومانسية فى أوروبا كان الشعراء والشبان يموتون فى سن مبكرة .. فى العشرينات وفى الثلاثينات .. وكان شعارهم : ان الذى تحبه الآلهة يموت شابا !

وكان هؤلاء الشبان يسرفون فى السهر وفى الجوع . ولا يعالجون أنفسهم اذا مرضوا لأن النحافة دليل على رهاقة الحس ورهاقة الحس دليل على القدرة على الحب . والمحب شاعر بطبعه والشاعر هو القادر على أن يحب المرأة ، وتحبه المرأة . فمات مئات الألوف من الشبان لكى تحبهم المرأة .. وعاشت المرأة عمرها الطويل لأنها تتعب وتستريح ، ولأنهم يتعبون ولا يستريحون الا بالموت !



أنت حيوان اسأل طفلك

على سبيل التجربة : أطلب من طفلك الصغير أن يرسم الأسرة كلها . على النحو الذى يعجبه . وبالقلم الذى يستريح إلى لونه على الورق أو على الأرض .. سيفرح جدا . ولكن بشرط أن يجعل كل أفراد الأسرة من الحيوانات .. وهذا هو المهم ! .

فقد اهتمت إحدى الباحثات الألمانيات إلى أن نفسية الطفل تتضح من هذه الرسوم . فعن طريقها يمكن أن نعرف موقعه من الأسرة . أو موقع الأسرة منه . فقد طلبت هذه السيدة الألمانية إلى أكثر من خمسة آلاف طفل أن يرسموا الحيوانات الموجودة فى البيت - أقصد أن يرسم الأسرة كلها كما لو كانت مجموعة من الحيوانات .

صورة واحدة ذات دلالة واضحة قد عرضتها الباحثة الألمانية لطفل رسم أمه على شكل أوزة ، ورسم والده على شكل أسد وأختيه على شكل ثعابين ثم رسم نفسه على شكل خنزير صغير وفى جانب بعيد من الصورة .. وليس من الصعب أن تعرف ان هذا الطفل يرى أن امه سيدة هادئة ، وأن والده رجل قوى مخيف وأنه يكره أختيه كراهية شديدة .. وانه مهمل وان أحدا لا يلتفت إليه ..

صورة أخرى ذات دلالة رسمها أحد الأطفال : فقد رسم أباه على شكل أسد أيضا . ورسم أخاه الأكبر على شكل ذئب . ورسم أخته على شكل ثعلب .. وقدم الطفل الصورة دون أن يرسم أمه . ولما سئل عن ذلك قال : لا أعرف كيف أرسمها ؟ وهو يقصد بذلك : إما أن أمه لا شبه لها .. وإما انها أحسن من كل هذه الحيوانات وإما أن أمه كرهية وليس لها نظير بين الحيوانات لأنها أسوأ من الجميع ..

ومها رسم الطفل فانه يقول كلاما كثيرا .. وهذا واضح جدا من اختياره للحيوانات . وحجم هذه الحيوانات ومعناها .. وترتيبها في الصورة . ثم مدى الضغط الذى يبذله الطفل أثناء الرسم . فقد لوحظ في بعض الأحيان أن الطفل عندما يرسم صورة الأب أو الأم يمزق الورق من شدة الانفعال ..

ومن أجمل وأقوى الصور التى رسمها طفل عنده خمس سنوات : صورة لحوت كبير قد وضع الأسرة كلها فى بطن هذا الحوت .. أما الحوت فهو الأب . ولما سئل الطفل : ان كان يكره أباه ؟ فأجاب : انه يحبنا جميعا مع الأسف !

والطفل يأسف لأنه كان يفضل أن يحبه أبوه وحده !

فإذا أردت أن تعرف أى حيوان أنت . فأطلب ذلك من طفلك ! ويجب أن تصدقه . فهو لم يتعلم الكذب بعد !

حكاية أى صديق

كان لى صديق - ومن النادر أن يجد الإنسان صديقاً فى هذا الزمان أو فى أى زمان . هذا الصديق استريح اليه . وهذه الراحة معناها أننى لا أجد حرجاً فيما أقول . مثلاً أقول له : والله أنا تعبٌ ولا أعرف معنى لهذا التعب . ولا أعرف هل من الضرورى أن يتعب الإنسان . وإذا تعب فإنه يصبح عاجزاً عن الراحة . وعلى سبيل المثال : إذا تسلقت سلالم عمارة طويلة فإن جسمى كله يوجعنى . فإذا حاولت أن استريح على الفراش ، فأنتى أشعر بأوجاعى كلها . وهذا الوجع يجعلنى غير قادر على النوم . فإذا عرفت أن هذا السلام تنبت من رأسى . وأنتى كل يوم أتسلقها بخوف وفزعى ويأسى وأملٍ ومرارتى ذهاباً وإياباً ألف ألف مرة فى اليوم .. فإذا كان هذا هو التعب ، فكيف تكون الراحة .

ولا أعرف ما الذى يقوله الصديق ، ولكن أشعر بالإشفاق فى عينيه . فى لحته . فى لمسته . فى تهيدته . ثم لا يقول أى شئ واكتفى بهذا القدر . أى يرضينى بأن أجد الرحمة فى عيني إنسان لا يريد منى شيئاً . أن الرحمة عنده بلا مقابل . رحمة بجانا . وإشفاق بجانا . حب بجانا .

وإذا قلت له مثلاً : وأنت كيف حالك ..

ويكون رده : أنت لا تعرف من حالى الكثير وليس ضرورياً . فلا فائدة

من الشكوى . وأنا واضح مع نفسى . فإذا كانت هذه الحياة تعجبني ، يجب أن أعيشها ، وإذا لم تعجبني .. فن الواجب أن أنتحر . ومادمت حيا فعنى ذلك أننى راض عنها . ومادمت أزورك فعنى ذلك أننى أجد عندك شيئا من الأمل على احتمال الحياة . فأنا - إذن شخص متفائل ..

ولكن أحيانا أريد أن أقول : آه .. ان أقولها وأراها على وجه صديق ولو لحظة !

كان هذا صديق منذ سنوات . هذه السنوات غيرته . بدلته . ألبسته ملابس أخرى .. وقبل أن تغير الأيام ملابسه غيرت ما فى داخل الملابس حتى يليق بها وتليق به . الآن يدخل وفى يده ورقة . عنده مطالب . ويريد منى أن أعاونه على إنجازها . وأفعل ذلك . ويخى يوم آخر . وفى يده ورقة وأعاونه وفى يوم ضقت به . ولكن لم أصرح بذلك . فهو صديق . أو كان صديق .. وكدت فى لحظة أن أثور عليه . وضبطت نفسى . وتحفظت على ألفاظى واعتقلت لسانى . وخرجت وسألت نفسى ولكن ما عيبه ؟ أى غلط فى سلوكه . إنه رجل واضح صاحب مصلحة . فان كنت صديقه حقا فلماذا لا أساعده . فهو لم يكن يطلب معاونتى . يوم لم يكن يحتاج إليها .. فإذا احتاج إليها فكيف لا أؤكد لها صداقتى .

إنها صورة العلاقات الإنسانية الحقيقية الواقعية .. ونحن - أنا وغيرى - نضيق بها لأننا لا نحب الصراحة .. وإنما نحب أن نكذب على غيرنا وعلى أنفسنا .. وسلوكه الجديد هو امتحان لصداقة قديمة .. فإذا نجحت فى الامتحان فهى الصداقة الحققة !

لو انتظروا !

قليلا ..

حدث في أحد مستشفيات الاسكندرية أن هجم بعض الناس على غرفة بها اثنان من المرضى . وخطفوا واحدا منها .. مات منهم في الطريق ولم يكن هو الرجل المقصود !

فقد استعجل بعض الورثة نهاية قريب لهم مريض وظن هؤلاء الورثة أن المريض يتأرض وأنه لا يريد أن يعود الى القرية . أو أنه يريد أن يبدد أمواله في المستشفى . وأشيع أنه يريد أن يتزوج إحدى المرضات . فقد لاحظوا أن واحدة بالذات تعطف عليه . وانهم ما من مرة يذهبون اليه الا وجدوا عنده هذه المرضة بالذات . ولا يمكن أن تكون هذه العناية الواضحة في ملاحظها وشعرها وملابسها . وهذه الورود الكثيرة لوجه الله .. وإنما لوجه هذا الرجل . بل ليس لوجهه . وإنما لجيبه . لفلوسه التي يريدون أن يستولوا عليها بعد وفاته قبل أن يبددها . ولكن صبرهم قد نفذ . فعلى الرغم من أن الطبيب قد أكد لهم أن حالته سيئة . أى أن ساعاته الأخيرة قد دنت . فإن هذه الساعات قد بعدت .. ويبدو أنها لن تجي !

فاستعجلوا هذه النهاية .

وبعثوا بجماعة من اللصوص .. دخلوا غرفته . وسرقوا المريض الآخر النائم في

سرير مواجه له . وبعد أيام ألقى القبض على اللصوص الذين أخطأوا في اختيار المريض . والذي مات . واعترفوا بأنهم مكلفون بذلك !

وألقى القبض على الورثة اللصوص .. وبعد أيام من دخولهم السجن توفي المريض الذي استعجلوا وفاته ، فلو انتظروا عليه بعض الوقت لمات ولكانت لهم كل أمواله . ولكنهم استعجلوا .

أما هذا المريض فقد كتب ثروته المحدودة لقريب علم بمرضه . فزاره مرة واحدة .. واشترى له بعض البريقال وبعض الحلوى . وهذا الزائر كان في طريقه من الاسكندرية الى اسوان . وقرر أن يزوره لأن هذا المريض قد أسدى إلى المرحوم والده خدمة متواضعة ..

وسافر الزائر إلى أسوان ليجد برقية تطلب اليه ضرورة العودة ، وعاد ليكون الوارث الوحيد لعشرة أفدنة وثلاثة بيوت !



شيء على الأرض

من المناظر المألوفة أن تجد اناساً في الشارع أو على الرصيف قد التفوا حول «شيء» مغطى بورق الصحف .. أو أن أحد الواقفين قد خلع عليه جاكته . هذا الشيء هو إنسان سقط على الأرض بفعل سيارة أو بفعل طوبة تدهرجت فوق دماغه أو بالوعة سقط فيها .. ومن الممكن أن يستمر هذا المشهد الصامت ساعة أو أكثر وباستمرار هذا المنظر يتأكد معنى سخيف هو : أنه لا أحد يدري ما الذى يفعله إذا أغمى على إنسان في الشارع . من الذى يستدعيه .. ما هو الرقم الذى يطلبه ، وأهم من ذلك أن أكثر الناس لا يعرفون الإسعافات الأولية – أنا مثلاً ! .. ما الذى تفعله لكى يعاود إنسان نفسه ، ما الذى تفعله لكى يتوقف نزيف الدم ؟ هل تترك هذا «الشيء» فى مكانه . أو تتعاون على حمله الى جانب من الشارع . ما هو دورنا وما هو دور رجل الشرطة .. اذا كان رجل الشرطة موجوداً فلا بد أن لديه معلومات عن مثل هذه الاجراءات ، أو من الضروري أن يكون مزوداً بها . ولكن المشكلة هى عندما لا يكون هناك رجل شرطة !

معلوماتنا جميعاً ناقصة . وهمتنا خامدة . واحساساتنا بالغير مينة وربما كانت الخدمة الوحيدة التى يؤدونها لنا هذا «الشيء» الذى سقط أنه ينقذنا من حالة

السرطان التي عندنا . فنجد فيه شيئا يبلور تفكيرنا أو انتباهنا أو يسحب عيوننا إلى شئ على الأرض - دون أن نفعل أكثر من ذلك . وهذه هي المشكلة ! .

بمثل هذا الاسلوب نعامل سيارة الإسعاف عندما تصرخ وراء السيارات وبينها .. كل واحد يتزعج من صوت سيارة الإسعاف .. من الانذار الطويل ومن أجراسها . وكل واحد يقول في نفسه : الحمد لله .. أى الحمد على أن مكروها لم يصبنا ويلق بنا في هذه السيارة . ولكن في نفس الوقت لا نشعر بأن مكروها أصاب أحدا غيرنا وأنه من الممكن أن يكون بينه وبين الموت لحظات قصيرة .. وأن إنقاذه على أيدينا ، إذا نحن أفسحنا الطريق لسيارة الإسعاف وإذا تحول انزعاجنا إلى عمل إيجابي .. وإذا تصورنا ولو لحظة واحدة أننا في سيارة الإسعاف وأنها مهددون في حياتنا وإذا لم نصل إلى الطبيب في أسرع وقت ومن أقصر طريق .

إذا أحسنا بهذا كله أفسحنا الطريق لسيارة الإسعاف لكي تتقدمنا جميعا . ولكن الذى يحدث وهو نوع من لذة تعذيب الآخرين .. أو نوع من اللامبالاة الإجرامية - لأنها تؤدي في النهاية إلى قتل المرضى والجرحى الذين تصرخ سيارة الإسعاف بالتيابة عنهم ..

يبدو أننا في حاجة إلى كثير من المعلومات الأولية .. لنساهم في مساعدة الناس وإنقاذهم .. وفي حاجة أكثر إلى أن نكون أكثر إيجابية وأميل إلى الخير العام ! .

... إلا قليلا

من الممكن أن تجد إنسانا قد أكل خمسة أرغفة ثم يترك لقمة صغيرة ! فما معنى ذلك ؟ هل معناه أن معدته التي اتسعت لخمسة أرغفة وأشياء أخرى قد ضاقت عن هذه اللقمة ؟ هل معناه أنه أكل أكثر مما يجب وفي لحظة تنبه إلى أنه أكل الكثير ، وأنه يجب أن يتوقف عند هذا الحد وكان الحد الضروري هو هذه اللقمة ؟ هل معناه سوء التقدير ؟

أى أنه لم يعرف بالضبط مقدار ما يأكل ومقدار ما يترك من الطعام . ما معنى أن يشتري الإنسان بعشرة جنيهات .. مثلا .. فاكهة ثم يناقش البائع مناقشة حادة من أجل أن يقوم بتزيل قرش أو قرشين .. كيف ينفق هذا المبلغ الكبير ، ثم كيف يحرص على توفير هذا المبلغ الصغير ؟ ثم كيف يدفع الإنسان بقشيشاً جنياً أو جنيهين ثم لا يدفع قرشاً واحداً للمنادى السيارات ؟

انه سوء التقدير .. الذى يجعل الإنسان يفسد الأكلة الدسمة بأن يرفض شراء ما يعادل مليماً من الملح .. وهل سوء تقدير خاص ؟ اعتقد أنه سوء تقدير عام . واننا جميعا نفسد أنشئ الأطعمة وأروع المشاريع والخطط من أجل شراء بلملم ملح .. مثلا : شركة مصر للبتروك تعطيك دفتر بونات لتدفعها عند شراء البترين أو الزيت أو التشحيم .. وهى خدمة عظيمة لكل المستهلكين . ولكن هذه

الدفاتر مصنوعة من ورق هزيل جفأ . ورق يتمزق فى يدك وفى يد العامل فى أول لقاء بينكما - إنها نظرية ملهم الملح أيضا . وفى كل شركة وهىة ومؤسسة عدد من الناس يتمسكون بملهم الملح أكثر من تمسكهم بالهيات التى يعملون بها !

وقد نشرت إحدى الصحف أخيرا أن أجهزة الكترونية جاءت مع بعثة تعليمية بريطانية إلى مصر ، وقد نقلت على ظهور الحمير وفى شوارع القاهرة ! .. ومعنى ذلك أننا تحمسنا لهذه البعثة التعليمية . وأنا سعدنا بالأجهزة الالكترونية التى أتت بها . وأنا نريد أن نتعلم أو أننا نطلب العلم من كل مكان . انتهى حماسنا . وانتهت الوجبة الدسمة ولا بد أن يظهر المؤمنون بفلسفة « ملهم الملح » وبدلا من أن ينقلوا هذه الأجهزة على إحدى السيارات الكثيرة الواقفة أمام الهيات والوزارات نقلوها على عربة كارو .. على ظهر حمار !

وهذه فضيحة أخلاقية وعلمية .. فضيحة سوء التقدير وسوء التصرف .. واكتشاف جديد . فلم نكن نعرف أن هذه الأجهزة الالكترونية ذات مفعول أكيد إلى هذه الدرجة .. فقد كشفت هذه الأجهزة فى اللحظة الأولى من وصولها أن هناك أناسا عندهم قدرة غريبة على أن يؤكدوا أن الإنسان أصله قرد .. وحيوانات أخرى !

الجديد هو المهم

الدراسة فى الجامعة المصرية تقوى الذاكرة ولا تقوى الخيال . فقد رأيت طالبا فى إحدى الجامعات الألمانية ييكى ، وسألتة قال إن لديه معلومات ربما أكثر من التى عند زملائه الألمان . ولكنه لا يستطيع أن يفعل ما يفعلونه بأيديهم . فهم قادرون على إدارة الأجهزة وإصلاحها واختراع أشكال أخرى جديدة لها .

ومن رأيه أنهم - أى الألمان - يعملون بأيديهم أكثر . بل إن الطالب فى المدارس الثانوية يستطيع أن يقوم بتجارب فى العمل لا يقوى عليها خريج الجامعة المصرية - فى الكليات العملية بصفة خاصة ! وكانت شكوى هذا الطالب من نظم التعليم أو مناهج البحث الجامعية عندنا . وهذا فارق عام بيننا وبين الألمان .

وهذا يذكرنى بأنى زرت متحف التاريخ الطبيعى فى مدينة ميونخ ووجدت لافتة على الباب تقول : المرجو من السادة الزوار أن يجربوا كل شئ بأنفسهم ! وفى داخل المتحف رأيت الطلبة من كل سن يديرون التليفونات والكاميرات والموتورات بأيديهم ليروا ويجربوا ليلمسوا العلم ، وليضيفوا الى معلوماتهم النظرية تجارب عملية .. فكل شئ يجب لمسه ونحب معرفته ومطلوب من هؤلاء الصغار

بعد ذلك أن يتكروا وأن يفتخروا .. ومقياس براعة الطالب : ليس ما حفظه ولكن ما يتخيله من أشكال جديدة وأساليب مستحدثة في تطوير وإبداع الأجهزة العلمية .

وقد تكررت شكوى طلبة البعثات في أحد أعداد مجلتهم التي اسمها « النشرة » والتي تصدر عن مكتب البعثات في بون . فقد أعلن أحد المبعوثين أن الطالب الألماني لا يؤدي امتحانا في المعلومات المتخصصة فقط ، وإنما يجب أن يتقدم بمشروع جديد .. بوجهة نظر جديدة .. باختراع جديد . فالطالب الألماني يعرف منذ البداية أنه يجب أن يدرس لكي يغير . لكي يأتي بجديد ، ولذلك فخياله مشغول طول الوقت بهذا النجاح العملي . أما الطالب المصري فيجد نفسه عاجزا عن ملاحقة هذه العقلية المختلفة عنه . ولذلك يقترح أحد الطلبة الا يذهب إلى الدراسات العليا في المانيا إلا طلبة الماجستير وليس البكالوريوس .. بشرط أن يكون الحاصل على الماجستير قد حقق شيئا علميا جديدا ..

فالدراسة المصرية تشجع الطالب على أن يضع يديه في جيوبه ويعصر ذهنه .. ولكن الدراسة الألمانية تشجع الطالب على أن يعصر عقله بيديه ويأتي بجديد ..

وشكاوى هؤلاء الطلبة أو وجهات نظرهم تصبح صراخا في الهواء . اذا لم يهتم المسئولون بما يبحى في هذه النشرات من وجهات نظر سليمة ومعقولة .. ولا بد من عمل شيء .. وأول شيء يجب عمله هو : إنقاذ هذه النشرة بما فيها من أصوات وآراء واجتهادات ، من الدفن في سلال المهملات !

أعمدة من الضوضاء

أفسدتنا الحياة فى المدن . ولذلك سارعت بأن أمضى يوما فى الريف .
ذهبت ، كل شىء فى مكانه من ألوف السنين . ستظل النباتات خضراء وتظل
الشمس تحمقها بالفيتامينات والماء يقوم بدور الأسانسير ينقل خيرات التربة من
الجدور إلى الأوراق . وتظل الآفات الزراعية تأكل الزراعة وتريد أن تأكل
الفلاح ، وفى الدفاع عن النفس يستमित الفلاح والتاجر والسمسار والدودة
والعملات الصعبة .

ولكن السماء صافية . زرقاء لها ذلك اللون الذى نقرأ عنه ولا نراه من تحت
السحب التى تطلقها مئات الألوف من الموتورات الصاخبة فى القاهرة . والهدوء
شامل . والهواء تمرغ بين النباتات والحيوانات والقنوات ولكنه رغم ذلك
منعش !

والناس بالعشرات .. عددهم قليل . متباعدون . يتحركون بلا صوت أو
لهم أصوات لا تتحرك .. فلا أحد يسمع أحدا . وكل واحد فى حاله وحاله
تحت قدميه .. ولذلك انكفأ عليه ..

ومضت ساعات لا أعرف كيف ..

وجاء أصدقاء مثقفون وتناقشنا فى قضاياها وأحسست أنهم يرددون أصداء

المدينة التي كرهت صوتها وصلداها . وأحسست أنه لا مفر من أن أعاود الحياة في المدينة وأنا في قلب الريف .. وأن الراديو والصحف تلاحق الجميع في كل مكان .. وأنه لا أمل في أن يكون الإنسان بعيدا عن المدينة ..

وبصراحة تعبت من الساعات التي أقنتها في الريف . فأنا مثل بحار اعتاد هياج البحر واهتزاز السفينة . وفوجئ بأنه ألقى على الشاطئ ، فلا موج ولا رياح ولا اهتزاز ولا دوار بحر .

أو مثل طيار أرغم على الهبوط الاضطرارى . فوقف على الأرض دون أن تملأ أذنيه أصوات المحركات ودون أن يرى سحابا أو يهبط إلى مطب هوائى ! أو كائن قرموط سمك عاش في بحر من الماء الذى يغلى بجنون .. وفجأة جف ماء البحر وانخفضت درجة حرارته وانسابت مياهه صافية ناعمة حريرية .. وانزعجت ..

لقد اعتدت أن أتمدن بأذنى على الأصوات ، وبأنفى على الغاز المحترق وأتوكأ بعينى على جدران البيوت والسيارات والتعثر فى الناس .. ولكن فجأة أعلنت حالة الطوارئ ، وهذا وسكن واختفى كل شيء .. فأحسست أننى مطرود من الحياة المجنونة إلى إحدى المصححات العقلية !

فقد تذكرت عبارات بليغة قالها المرحوم كامل الشاوى . يقول إنه ذهب إلى إحدى المقاهى الصاخبة ولم يكذب يدخل من الباب حتى تطلع إليه الجميع . وهدأت الأصوات وخفت أن تقع العماره - كأنها أقيمت على أعمدة من الضوضاء !

يحدث كثيرا

فجأة اكتشفت أن الكلام الذى أقوله بايخ .. وانه كان من الأفضل أن أسكت منذ ساعة على الأقل . واكتشفت أيضا أن الأصدقاء الجدد الذين أتحدث إليهم على درجة عالية من الصبر والكرم . فقد كان الموضوع الذى نتحدث فيه عن تربية الطفل ، وضرورة ذلك ، وعن عيوب الخناقات بين الأب والأم على مسمع من الأطفال ، وأن هذه الخناقات إذا كانت تؤدي إلى تمزيق ملابس الآباء فإنها تمزق نفوس الأطفال وتشتت عواطفهم . وانتقلت بعد ذلك على أثر سعال شديد من أحد الموجودين إلى الكلام عن مضار التدخين ، وانه ليس صحيحا أن الذى يلنخن يحرق السجائر ، وإنما يحرق صدره وينفث عمره نفسا نفسا .

ولما لاحظت أن واحدا من الأصدقاء قد وضع يده على خده لم أفهم هذه الحركة بوضوح . ولم أتصور أنه يريد أن ينام ولم أعرف أن سبب النوم أن الحديث مل . أو أنه صريح . لدرجة تجعل النوم هو أنسب عمل يقوم به . وجاء الكلام عن النوم طبعاً ، وعن عيوب النوم المتقطع أو القصير المركز .

وجاءت لحظة الاستكشاف أى اللحظة التى تضاء فيها الغرفة أو يتضح فيها الموقف كله ، فإذا الجميع ليس لهم أولاد ، وإذا هم لا يلنخنون وإذا هم

يعانون من الأرق . ومعنى ذلك أنني كنت أتحدث لمن لا يحبون أن يسمعوا حرفا واحدا مما قلت وإذا بي أكشف أن ضحكاتهم لم تكن لسعادتهم ، وإنما هي فرصة يفتحون فيها أفواههم ، ويتشاءون ويضحكون في وقت واحد !

وتذكرت استاذنا العظيم أرسطو ، أعظم فلاسفة الاغريق ، فقد كان يقول أن عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل . وتزوج أرسطو مرتين . ولم يفكر مرة واحدة في أن يفتح فم واحدة منها ويحصى أسنانها وكان أرسطو يقول أيضا إن الطفل يولد في صحة جيدة اذا حملته أمه عندما تكون الرياح شمالية غربية على الساحل ، ولم يلاحظ أرسطو إن كانت زوجته تفتحان النافذة لتأكدنا من اتجاه الرياح قبل ان تذهب الى الفراش !

ان الفيلسوف العظيم كان يقول ، ولكنه لم يفكر كثيرا في أن يفتح عينيه على أصغر الأشياء . ويبدو - والله أعلم - أن الإنسان عندما يفتح فمه . يطبق عينيه واذنيه . لحسن حفظه .. وسوء حفظ الناس !



هذا الشباب المدفون

ماذا جرى لشباب العالم ؟

وما الذى يريدون أن يصنعوه بشباب العالم ؟ إن هناك أناساً فى غاية الذكاء والسفالة أيضاً . فهم قد عرفوا قلق الشبان . وأدركوا ذلك بوضوح . وراحوا يتأملون الموقف . ويحسبون . ووجدوا أنه من الممكن استغلال الموقف بسرعة . ليكونوا أصحاب ملايين بسرعة أيضاً . وتكونت شركات لبيع الحب . لإنعاش الشباب .. وتنبيه الأعصاب النائمة . وجعل الحياة أكثر احتمالاً .. ونزع الشوك من الورد . وتزوير شهادات الميلاد وتحويل القبلة الزمنية التى نعيش فيها إلى قبلة لا تنفجر .. أو إلى قبلة تنفجر بالموسيقى ..

فى الدانمرك سوف يقام مهرجان دولى للجنس .. أو للحب بصورة حية .. حب على الطبيعة . يرى فيه الشبان كل ما يعلمون أو يحلمون أن يعلموا . وسوف يقوم باستعراض الحب والجنس ، بطرق مختلفة ، شبان أكثر شجاعة . أو محترفون ..

وعلى حدود الدانمرك توجد مدينة ألمانية تصدر منتجات الحب والجمال . وتتولى هذه المنتجات سيدة فى الخمسين من عمرها واسمها : بيآته أو هسه . كانت بائعة متجولة فى شبابها . ولكن عندما بلغت الأربعين أحسّت أن الحياة

تصنى حسابها معها .. ولذلك قررت أن تفتح لها حسابا جديدا .. ولغيرها أيضا . والتف حولها عدد من الأطباء والتجار ووضعوا أيديهم على مرض العصر : الخوف .. الخوف من المستقبل . الخوف من المرض ومن الموت . ومن الشيخوخة . والخوف أن يحدث ما يقطع القبله .. ويفسخ الحزن .. وألا يكون طفلا !

وقد أصدرت السيدة أوهسه كتابا صغيرا اسمه « الحياة الحب والحب الحياة » وليس هذا العنوان مسروقا من قصيدة شوقى التى غناها محمد عبد الوهاب منذ أربعين عاما والتى مطلعها :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا
مالقليينا عن الحب غنى

ولإنما هى حقيقة قديمة عرفها الشعراء من أيام امرئ القيس حتى أمير الشعراء .. وفى هذا الكتاب تقول تاجرة الجنس وفاجرة الحب أيضا : « نحن نعيش فى عصر الشيوخ . هذا صحيح . ولذلك يجب أن نترك لهم دنياهم : السياسية والاقتصادية والحرب . أما نحن فلم يبق لنا إلا الحب ! » .
آه .. هنا هو المعنى الشرير : أن يترك الشاب بلاده وقضاياه وأن يدفن نفسه تحت غطاء فى حزن فى عرق .. حتى الموت ! .

أى كلام ولكن بفلسوس

مجرد أن يتصور الناس أنك سائح أجنبي ، فإنهم ينظرون إليك على أنك
إنسان عييط . وانك لا تعرف ما يعرفون خصوصا اذا كان يتحدثون اليك عن
بلادهم .

فعندما ذهبت إلى مدينة دارون في استراليا ، أشاروا إلى صخرة عالية وقالوا
لى : هنا جلس المكتشف الانجليزى كوك منذ ٢٠٠ سنة !

وعندما ذهبت الى كويا أشاروا الى كوم تراب على الشاطئ وقالوا هل تعرف
هذه الشجرة الصغيرة انها من نسل الشجرة التى جلس تحتها كولبوس عندما هبط
الى كويا لأول مرة منذ ٤٨٠ سنة !

وعندما ذهبت الى جزيرة سيلان أخذوني إلى أحد الجبال . وقالوا : أنظر
إلى هذه البحيرة . الا تلاحظ أنها على شكل قدم فى رجل كبيرة !
ولم ألاحظ ذلك . ولكنى قلت : تمام .

قالوا : هنا نزل أبونا آدم عليه السلام من الجنة . وعندما لمست قدمه
الأرض ، غاصت تحت قدميه . وبعملية حساية بسيطة يكون حجم أينا مئات
أضعاف برج القاهرة مادامت القدم الواحدة طولها ٥٠٠ مترا ..

وعندما ذهبت الى مدينة تبينجن في المانيا قالوا لنا : هنا كان يعيش
الفيلسوف العظيم هيجل !

والعالم احتفل أخيرا بمرور ٢٠٠ سنة على ميلاده ، لقد ولد في نفس السنة
التي ولد فيها الموسيقار بيتهوفن .

ونظرنا إلى الغرفة لقد كانت صغيرة ضيقة ولها نافذة تطل على نهر صغير أمام
حديقة اسمها ؟ حديقة التأوهات .

وقالوا لنا : بسبب هذا الضيق كانت نظرتة واسعة . وبسبب هذه القضبان
الحديدية الموجودة في النافذة كان تفكيره منطقيا جعل التاريخ كله يمشى على
قواعد مثل قضبان السكك الحديدية !

مع أن الفيلسوف لم يقم في هذه الغرفة سوى سنة .. ولا يمكن أن يكون
الضيق والقضبان هما سبب هذه العبقرية !

وعندما ذهبت إلى مدينة جنوة في ايطاليا ، جلست على سفح أحد التلال
المطلّة على مقبرة المدينة . والمقبرة تحفة فنية ، فكل القبور تماثيل منحوتة من
الرخام - هذا هو شرط الدفن في هذه المقبرة . قالوا لي : انظر وراءك !

نظرت ورأى ، قالوا لي : اقرأ العبارة المكتوبة على الجدار .. قرأت إنها
عبارة للشاعر الايطالى دانتي .. قالوا : انه كتب هذه العبارة في هذا المكان .

وكان لابد أن أهر رأسى وأقول : أنا عيط اذا صدقت شيئا من ذلك ..
ونحن جميعا بلهاء .. اذا لم تفعل في بلادنا ما هو أعجب من ذلك .. فنحن
نعيش في بلاد العجائب !

كلنا ذلك المهدود !

اسأل أى إنسان وأنت تسمع منه مثل هذا الرد : أبدا .. عندما أصل إلى البيت أتناول غذائى ، وأرمى نفسى على السرير ، وأقوم بعد ذلك . ولا أدرى لماذا أحس أن جسمى كله مكسر .. وأخذ الشاى ، وأنظر من النافذة ، أشم بعض الهواء .. وأستمع إلى الراديو أو التلفزيون وبسرعة جدا يضىء منتصف الليل ، وأناام حتى الصباح ..

وإذا لاحظت هو أنك اندهشت لهذا الذى عمله ، فإنه يقول لك : وأحيانا أذهب لزيارة بعض الأقارب ، أو أفاجأ بهم . ومرة أو مرتين فى الشهر أذهب إلى السينما ..

وإذا كان عنده أولاد يقول لك : والآن موسم الامتحانات وأنت تعرف تلامذة هذه الأيام !

وتنتقل المناقشة إلى عيوب الراديو والتلفزيون والأفلام والدروس الخصوصية ، والمقارنة بين أيام زمان وهذه الأيام ، وكيف كان كل أب متقدما وأنه كان الأول باستمرار وأن أولاد هذه الأيام ترتيبهم الأخيرة دائما !!

ومن الطبيعى أنه يحدثك عن أمراضه .. وعن الدواء والعلاج والدكاترة وإن الأدوية مغشوشة .. وإن الصيدليات تسرق «العبوة» من زجاجات وعلب

الأدوية وفي استطاعتك أن تجرب ذلك بنفسك فتجد أن الزجاجات كلها ناقصة .. لماذا ؟ هذه قصة أخرى !

ومهما تنوعت الموضوعات وتشعبت فأنت أمام واحد لا يختلف عنك كثيرا في أن العمل يهد حيلك ، الذهاب والمواصلات واللطعة في الانتظار وفي الوقوف ، والذهاب إلى العمل ، والجلوس بلا عمل . أو العمل الذى تقوم به وحدك ، وغيرك لا يؤدي أى عمل ولا مكافأة لمن يعمل . والمكافأة كلها لمن يعمل أراجوزاً لرئيسه فى أى عمل . والكثمة وابتلاع هذه الأوضاع الفاسدة فى كل مكان . كلها نار ودخان تحتبس فى نفسك وعقلك وقلبك . ويضاف إليها هموم أخرى فى البيت ، وفى الطريق إلى البيت ، وهموم بعدد الدين فى بيتك وفى البيوت المجاورة .

مصيبة كبرى فى هذا العصر : أن الإنسان يرهق نفسه فى العمل من أجل الضروريات .. وبعد ذلك لا تبقى عنده قدرة على أى شىء آخر !
ربما كانت القدرة الوحيدة الباقية هى اليأس من نفسه .. ومن الناس !



وأنت سمسار

أحيانا !

حضرت أخيرا بيع سيارة . وكان البائع والمشتري والسمسار موجودين معا . وهو موقف فريد . وفي مثل هذه المواقف من النادر أن يتكلم السمسار . لأنه قد أكد للبائع والمشتري أن كلا منهما قد ضحك على الآخر . ومن المؤكد أن السمسار هو الذى ضحك على الاثنين .

ولكن السمسار هو الذى تكلم ، وهذا غريب جدا .

قال للمشتري : احمد ربنا يا سعادة اليه أن السيارة في حالة جيدة جدا . الموتور ٧٠ في المائة والكاوتش ٨٠ في المائة السيارة لقطة .

وتضايق البائع فقال : يا أخى اذا كانت هذه هي حالة السيارة فإن الثمن الذى تقاضيته يعتبر قليلا جدا . اننى خسرت فيها مائة جنيه على الأقل .

وهنا رد عليه السمسار : يا سعادة اليه .. احمد ربنا .. السيارة بتكح .. والكاوتش ملحوس - أى ناعم - والشاكرمان شخشيخة . والفيتيس لا بد من تغييره !

وازرعج المشتري وهو يقول : الله .. ايه الحكاية أنت تضحك علينا اذن .. ما معنى الكلام الذى تقوله الآن والذى قلته قبل لحظات .. لا أفهم أن يكون الموتور في حالة جيدة وأن يكح في نفس الوقت !

قال السمسار : يا به .. هى الكحة دى معناها أن الإنسان سيموت فأنا كالحصان وطول الليل والنهار أكح من أعماقى . وإذا كنت قد وصفت السيارة بأنها تكح ، فلأنتى أنا شخصيا فى حالة مماثلة . وأنا أكبر منكم فى السن ومع ذلك فى صحة أحسن ! وأحب أقول لك يا سعادة اليه إن صاحب السيارة لا يركبها الا مسافات قصيرة جدا من المكتب إلى البيت وبالعكس ثم أنه يسافر معظم شهور السنة إلى الخارج ويترك السيارة فى البيت . وليس عنده أولاد . انه هو وزوجته فقط ..

وهنا نهض صاحب السيارة يقول : أنت ضحككت على .. أنت خدعتنى ان الثمن الذى قبضته ضئيل جدا .

أما الذى اشترى السيارة فقد قرر أن يعدل عن شراء السيارة وطالب بفلوسه . ولكن السمسار تدخل يؤكد للجميع أن البيع قد تم . وانهم قد وقعوا عقد البيع . وانه ليس له شأن . وان المحاكم قد خلقت لمثل هذه المنازعات ! لا أعتقد أن السماسرة فقط هم وحدهم الذين يفعلون ذلك .. أكثر الناس .. فكلنا سماسرة فى الوقت المناسب !

بلا وعى كل ما نعمله

نظرية جديدة : معظم الناس يمشون فى الشوارع وهم نيام .. أو كأنهم نيام !

فمثلا : إذا وقف شاب فى الشباك ورأى فتاة تعبر الشارع . من الممكن أن يكمل هذا الحادث البسيط على النحو الآتى : الفتاة الجميلة الرشيقة تعبر الشارع . الهواء يرفع ثوبها قليلا ويضغطة حولها . ساقاها جميلتان .. خصرها مخنوق . صدرها بارز . إحدى السيارات توقعها على الأرض . ولا تقتلها . الشاب ينزل بسرعة يشق طريقه بين الناس . الناس يفسحون له الطريق . هو ينحنى عليها . يحملها تفتح الفتاة عينيها . يرى الامتنان اللامع فيضمها أكثر يحملها إلى البيت لأنه أقرب من أى مستشفى . ينصرف الناس . تفيق الفتاة من صدمتها . وبسرعة يولد الحب فى قلبين فى جسمين .. ويتم الزواج عندما يلق باب غرفته . ويفيق الشاب من الحلم .. إنه حلم يقظة ! .

ويحدث شئ آخر : الشاب ينظر من النافذة . مرهق . فنحن فى أيام الامتحانات . يتخيل نفسه قد عبر الشارع . الأتوبيس قد داسه . مات . والجنائز فى الشارع . يرفع غطاء النعش ليرى من هم أصدقاؤه الذين ساروا فى جنازته . انه حريص على أن يعرف الصديق والعدو . وعلى أن يرى مدى حزن أبيه

عليه .. فهو يعتقد أن أباه يجب أخاه الأكبر أكثر منه . وأن أمه تحب أخته أكثر منه .. ويفيق على صوت فرملة صارخة في الشارع !

ان هذا الشاب يشكو من العلوم الصعبة - ومن ضيق الوقت وحرارة الجو . والضوضاء التي تحدثها أجهزة وآلات العمال أثناء حفر نفق الكوبرى الجديد . وهى لا تعمل بهذا النشاط الا فى ليالى الامتحان - منتهى الوعى بمتابعب ومشاعر الناس !

وليس الإنسان فى حاجة إلى أن يقف فى الشباك يحلم . وانما يحدث أن يمشى الإنسان وهو يحلم . ويجلس وهو يحلم .. اننا مأخوذون من أنفسنا .. مسحوبون من أوهامنا ومخاوفنا ورغباتنا . نحاول أن نحققها . محاولة التحقيق تجعلنا نفتتح عيوننا ولا نرى فكأننا نيام وكأن الدنيا كلها سرير .. وكأننا ننام بالطول . ولسنا سعداء دائما لدرجة أن الأبواب والفرامل هى التى تعيدنا الى الحياة .. وانما يحدث كثيرا أن توقفنا فرامل حقيقية وأن تفتح فى رؤوسنا الأبواب والنوافذ .. وان ننتقل من الشارع إلى سرير حقيقى فى أحد المستشفيات لأننا نيام .. أولأننا نمشى ونجلس ونروح ونجئ ونتحدث ونحن نيام .. لأن الحياة نوم متقطع أما الموت فهو النوم العميق - كلنا كذلك !

قليل جداً كل ما نعرفه

عجيب جداً أمر مخلوقات الله من الطيور والأسماك وغيرها هناك بعض الطيور لسبب لا نعرفه تنتحر.. ففي أمريكا اللاتينية نوع من الأشجار لها بذور . هذه البذور اذا دخلت معدة عصفور فإن بذورها تتحول إلى مادة مشتعلة ويموت العصفور . وهذا العصفور لكي يموت بسرعة فإنه يتلع مادة تساعد على الاحتراق . وهذا الانتحار العام يتم مرة واحدة كل سنة !

وفي السويد يتجمع مئات الألوف من الفئران كل سنة وتلقى بنفسها في الماء .. ولا يوجد أى سبب علمي معروف لظاهرة هذا الانتحار الجماعي وهذه الفئران تهلك المزروعات وهي في طريقها إلى الموت !

وهناك نوع من الأسماك ناعم الملمس كأنه «بلوطة» يدخل جسم أسماك أخرى عن طريق الفم . ولا يكاد يستقر في داخلها حتى يتحول إلى وحش مفترس ينهش جسم هذه الفريسة من الداخل . يمتص دمها ويمضغ لحمها ويتركها جوفاء تماماً .. قبراً دائماً !

من بحيرات مصر عبر البحر الأبيض المتوسط مارة بجبل طارق . ثم إلى منتصف المحيط الأطلسي وتلتقي مع ثعابين أخرى من أوروبا وأمريكا وفي هذه المنطقة تتكاثر الثعابين .. وبعد ذلك تعود كل فئة إلى المياه التي جاءت منها ..

دون أن تخطئ الطريق .. ودون أن يعرف العلم الحديث كيف عرفت طريقها
ذهاباً وإياباً !

هناك صداقة غريبة بين بعض الأسماك وبعض الطيور .. فهنا طيور تغني
للأسماك على سطح الماء . وتلتف حولها الأسماك وتتكاثر في وقت معين من
السنة .. وتتلقى هذه الطيور المكافأة التي تنتظرها بأن تظهر جثث بعض الأسماك
التي ماتت بعد عمليات تلقيح البيض .. وتلتقطها الطيور أجراً باهظاً على ما
قدمت من رقص وغناء !

ومثل هذه الأسماك المتوحشة كثير من رغبات الإنسان .. التي تستولى عليه
من الداخل فتقضي عليه أيضاً : حقه .. طمعه .. انتقامه .. إن الإنسان
حوض أسماك متوحشة تفتسه من الداخل ، فيفتس هو أيضاً غيره من
الناس .. انه ينتقم لما يحدث في داخله ! .

هناك ثعابين البحر .. انها تخرج ..

وغير ذلك مما يعلمه الله ، ويجهله الانسان .. ويجهله أكثر الناس علماً !



عندك حل لهذه الشوارع

هذه بلاد التراب والضوضاء .. أما الضوضاء فيمكن التحكم فيها .. ففي القاهرة شوارع تستخدم فيها أجهزة التنبيه . ويمكن اسكات هذه الأصوات يوما أو يومين .. ومن المؤكد اننا سوف نضطر قريبا الى منع استخدام أجهزة التنبيه كما يحدث في كل عواصم العالم .

أما التراب فهو مشكلة . فلا حيلة لنا في وجود الصحراء وفي أن الرياح تهب قرية من الأرض في بعض فصول السنة وفي أن جبل المقطم ما يزال عارياً من الأشجار . وفي بعض البيوت ما تزال مصنوعة من الطين . وان هذا الطين يتحول مرة أخرى الى تراب تحت أشعة الشمس ثم انه في استطاعة الناس الذين يجلسون فوق الأسطح أن ينفخوا عندما ينظرون الى هيلتون وشيراتون . فيهب التراب على بقية أحياء القاهرة . وعلى المدى الطويل سيختفى هذا الطين الذي يعيش فيه الناس :

ولكن ستظل الشوارع في القاهرة . وفي الجزيرة أقذر . ولا بد أن نبحث عن حل . وكل الحلول ممكنة . وكل النتائج مضمونة إلى حد كبير ..

ومنذ أيام أصدرت حكومة اليونان قراراً يرغب طلبة المدارس على تنظيف الشوارع .. نوع من التعبئة الصحية . ونوع من القاء المسؤولية على الأطفال

الصغار . ونوع من إرغام الآباء على عدم إلقاء القاذورات في الشوارع . رفقا
بأبنائهم . وقد احتج بعض الآباء خوفاً على أبنائهم من التلوث أو من المرض
ولكن التلاميذ الصغار ظلوا يكتسبون الشوارع .

ويكنى أن نلقى نظرة على شارع سليمان باشا وشارع واحد في القاهرة ..
لنعرف ما الذى تصنعه هذه الألوف من الشبان .. لا شئ يصنعونه غير الذهاب
والإياب والتزاحم « واللطعة » على الأبواب ومعاكسة السيدات انها طاقات
مبددة ضائعة . لا أحد يتولى تشغيلها أو الاستفادة منها لا في المدينة ولا في
الريف .. ولا حتى في الأحياء التى يسكنونها لا في السلم ولا في الحرب .. لا في
محو الأمية في الريف . ولا في نظافة المدينة .

ان الكتاب الذى ألفه « بيرم التونسى » من أربعين عاما عن « السيد ومراته
في باريس » وكيف أنها كانت تلقى الزبالة أمام عتبة الباب وكيف تنفض
السجاجيد من الشبايك فوق رؤوس المارة هذا الكتاب لا يزال جديداً !
فالنظافة من الإيمان .. الإيمان بأهمية الصحة والجمال والسياحة والوطن !



أخطاء صغيرة ولكن مميتة ..

أنت إنسان مهمل بعض الوقت أو كل الوقت . وكما أن الدقة ظاهرة إنسانية عامة ، فالإهمال عام ومنذ أقدم العصور وسقوط البيوت واحترق الطائرات وفشل سفن الفضاء ، كلها تؤكد أن شخصاً ما في لحظة ما قد أهمل في شيء ما وكانت النتيجة التي نعرفها !

هذه الملاحظة آمن بها كاتب أمريكي طريف اسمه د . لورانس بيتر فأصدر كتاباً مفيداً ساخراً اسمه « نظرية بيتر أو لماذا تلخبط كل شيء في هذه الدنيا ؟ » . وهو يشمل حوادث عالمية مشهورة للإهمال . ثم ينصح القارئ كيف يتجنب من إهماله ومن إهمال الآخرين لكي ينجح هو على الأقل . وقد استجاب لدعوته هذه أكثر من عشرة ملايين قارئ - أي عشرة ملايين اشترى كل واحد نسخة من هذا الكتاب !

في سنة ١٦٨٢ شكك المفكر الإنجليزي ماركول من فساد الأسطول البريطاني . وقال : انه نموذج للفساد والفضي والاستخفاف . والجهل فلا ضبط ولا ربط . ولا قيادة . ورجال البحرية البريطانية نموذج للاستهتار ولا أرى كيف يصف الإنجليزي أنفسهم بأنهم سادة البحار !

وفي سنة ١٨١٠ قبل أن يسافر ولنجتون الذي هزم نابليون في البرتغال

استعرض ضباطه ثم قال : آه لو عرف البرتغاليون أى نوع من الرجال هؤلاء الذين اعتمد عليهم لطاروا من السعادة .. اهم حثالة الرجال وزبالة الجيوش !

وفى الحرب الأهلية الأمريكية أعلن الجنرال ريتشارد تايلور قبل حرب «السبعة أيام» أن جنوده لا يعرفون من المدن الأمريكية أكثر مما يعرفونه من أوساط افريقيا .. جهلاء ولدوا فى هذه البلاد وزرعوا فى أرضها وكأنهم أشجار لا ترى الا الشمس والسحاب ولا تعرف أبعد من ظلها على الأرض !

وفى الحرب العالمية الثانية اكتشف العلماء الانجليز فى سنة ١٩٤٠ أن القنابل التى يستخدمونها أقل فاعلية من قنابل الألمان . ثم عرفوا السبب : ان القنابل الانجليزية كانت فى حاجة إلى مزيد من مركبات مسحوق الألومنيوم فقط . ورغم اكتشافهم لهذه الحقيقة البسيطة الرخيصة الثمن فإنهم لم يطبقوها إلا سنة ١٩٤٣ !

وعشرات من الألوف من الأمثلة على هذا الإهمال ، وهذا القصور والعجز عند كل الناس فى كل التاريخ .. ولكن لابد من علاج لهذا المرض . لابد من حل لهذه العقدة .

أحد هذه العلاجات : أن نعمل عندما تكون لنا رغبة ويقظة وشهية أما الذى يعمل وهو تعبأن فهو أقرب الناس الى الخطأ وسوء التقدير .. وهو واحد من الملايين الذين تسببوا وسوف يتسببون فى كل كوارث البشرية .

ولكن كيف !

أذنى التهبث وأشياء أخرى

بعد ما حدث لى فى الأيام الأخيرة من متاعب فى أذنى وحلقى ورأسى .
فإننى أعتذر للملايين الهنود الذين كنت أراهم فى بلادهم وأضحك وراء منديل
يخرج من جيبى بسرعة . فقد رأيت الكثيرين فى الهند يضعون شيئا يشبه الكمامة
على أنوفهم . وكنت أسأل . ويقولون إنهم جماعة من المؤمنين لا يريدون أن
يقتلوا الجراثيم بالهواء الذى يخرج من أنوفهم وكان آخرون يقولون : إنهم يريدون
أن يحتفظوا لأنوفهم بدرجة حرارة واحدة فلا يصابوا بركام أو التهاب .. وكان
آخرون يقولون : بل إن هذه الكمامة عبارة عن مصفاة للتراب حتى لا يدخل
الأنف !

ولكن المنظر كان يبعث على الضحك !

وفى اليابان من المؤلف جدا أن تجد الحلاق قد لف كمامة حول أنفه . حتى
لا يتنفس فى وجه الزبون .. وإذا عرفت أنهم فى اليابان يفطرون بالسّمك - كما
نفطر القول بالبصل فى مصر - لعرفت أن هذا العمل الذى يقوم به الحلاق
اليابانى إنسانى إلى أبعد الحدود . وهذا ما لا يعرفه الحلاق المصرى - وإذا كنت
فى شك فى ذلك فأرجو أن تتحقق ذلك فى صالون مؤسسة أخبار اليوم ! .

وفى اليابان لا يضعون الكمامة على الأنف فقط وإنما على الفم أيضا وبذلك

تنعم بهدوء تام - فلا تشم ولا تسمع . وتدفع ثمن هذا الهدوء طبعاً . أما الثمن فهو سوء الفهم الذى يحدث بينك وبين الحلاق الذى لا يتنفس ولا يفتح فيه . فتطلب منه أن « يخفف » شعرك فإذا به يلمع جلد رأسك .. وأنا أعتقد أنها غلطة أهون بكثير جداً من رائحة السمك النئ والبصل الأخضر فى الصباح !

وفى الأسبوع الماضى وجدت أنه من الضرورى أن أكون هندياً يابانياً ليلاً ونهاراً . وأن أحمى أنفى من الهواء الذى يلهب حلقى . ويتقلل التهاب من الحلق إلى الأذن الوسطى .. أو الأذن الداخلية فإذا التهب الأذن انكسرت رقبتي - ليس هذا تعبيراً شعبياً وإنما هو تعبير علمى دقيق جداً .. فالتهاب الأذن الوسطى يؤدى إلى اختلال الرأس والجسم كله .. ويصبح الوضع المناسب للإنسان هو وضع المحكوم عليه بالإعدام شتقاً قبل صدور الحكم بدقائق . مع فارق واحد . هو أن المحكوم عليه بالإعدام يتوهم الإفراج عنه . ولا يئس عادة . أما أنا فلا أتوقع حكم الإعدام وإنما أظل كذلك أنتظر دون أمل فى الراحة ؟ .

والأمل الوحيد هو أن اضع الكمامة على أنفى . والقطن فى أذنى . استمع إلى نصائح الأطباء بمنهى الدقة ! .

كل ممنوع ...

عقدة !

أمام كلمة « ممنوع » تشعر عادة بالاستخفاف - وهى عادة مصرية .. وسببها أننا لا نأخذ الأمور بصورة جادة . وإنما نحاول أن ندور حولها بحثاً عن قفشة أو نكتة . وهذه النكتة عبارة عن لغم أو قبلة زمنية ننسف بها كلمة ممنوع . ولكن بعد ذلك نعتاد على احترام الممنوع . ولكن دائماً « بعد ذلك » .

فعندما أصدر السيد محافظ القاهرة قراراً بمنع التدخين فى دور السينما . كان هذا القرار نكتة . وتضايق منه الناس . حتى الذين لا يدخنون ضاقوا به . مع أن هذا القرار من أجل أن يشم الذين لا يدخنون هواء نظيفاً . وأن التدخين « نزوة » . وأن أصحاب التزوات يجب أن يحترموا غيرهم من الذين لا نزوات لهم .. والتدخين ممنوع فى كل المسارح ودور السينما فى العالم كله . وفى القطارات والتراموايات فى العالم كله توجد عربات خاصة للمدخنين وممنوع التدخين فى الأتوبيسات منعاً باتاً فى العالم كله أيضاً . والتدخين فى المصاعد ممنوع أيضاً . المؤسسة الوحيدة التى تمنع التدخين فى المصاعد هى جريدة الأهرام - حتى الآن !

ثم عاد التدخين أخيراً الى كل المسارح والملاهى ودور السينما .. وكما يقول المثل : رجع أبوك عند « أخوك » والمثل الآخر : عادتكَ والا اشتريتها .. لا

والنبي عاذق .. والمثل الثالث : وكأننا يا بدر لارحنا ولا جينا ! والمثل الرابع :
نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غالب .. ودليل الكلب ما يتعدل لو عقلت فيه
قلب !

وقبل أن أصل بالأمثال الى ذكر حيوانات أخرى أقول ان منع التدخين قد
أسعد الكثيرين .. وعودة التدخين قد ضايق الكثيرين ..

فالتدخين ضار هذه حقيقة علمية .. والمدخنون يعلمون ذلك .

اذن فهم قد قرروا الانتحار ويريدون منا أن نشهد على ذلك .

ونحن الذين لا ندخن نريد أن نحميهم من أنفسهم ولو بعض الوقت .

لعلنا نفلح في أن يعدلوا عن هذا القرار كل الوقت ..

ونحن نحرص أيضا على أن نصصح بعض المعلومات العامة للمدخنين .

فليست دور السينما والمسارح هي « برج القاهرة » ذلك المكان الشاهق الذي
اختاره المتشحرون ليعتلوا رأيهم في هذه الحياة ! .

وليس من الصعب أن تظهر كلمة « ممنوع » بنفس السرعة التي اختفت

بها .. ولن يستخف بها أحد .. لاننا قد استمتعنا جميعا بصفاء المسارح

والسينات من سحب الدخان الملبدة بعض الوقت مع الأسف ! .

مالا تفعله

الكلاب !

فجأة اكتشفت ان فى بيتنا قطاً سيامياً ليس هذا هو المهم . ولكن المهم أن هذا القط قد قرر دون علم منا أن يعيش حياة خاصة . هذه الحياة هى رواسب الوف السنين . فقد عاش أجداده فى هدوء تام . عاشوا مدللين . ومنعمين أيضا . وتوارثوا أسلوبا فى الحياة لا نعرفه . فهذا القط لا يأكل أى طعام . ولا يشرب فى أى وقت . ولا ينام على هوانا ! فالذى يأكله فى الصباح لا يأكله مرة أخرى فى الغداء . فاللبن الذى تحبه الققط ، لا يمسسه هو والبيض والسّمك . ولا توجد وسيلة لإقناعه بأن يأكل هذا أو ذاك . فمن ضمن أساليب الإقناع أن نضع له الطعام ولا نقدم له غيره . فاذا جاع أكله فالجوع كافر بأى قاعدة أو أسلوب متوارث . ولكن هذا النوع من الققط قد ورث أسلوباً آخر هو الثبات على الرأى حتى الموت !

ولانه قط ، فهو يتصرف كأى قط آخر .. يطارد الحشرات والطيور . ويترك أشهى الطعام ليجرى وراء صرصار أو ورقة شجر أو سلك التليفون . وإذا نحن اندهشنا لذلك كانت دهشتنا فى غير محلها . لانه قط ، ولان أجداده كانوا من الثور المتوحشين الصيادين .. ولأنه أصبح أليفا منذ عهد قريب .. ولكن الغريزة فى مكانها . وأسلمحتها هى عيناه وأذناه وأظافره .

ولانه قط فلا بد من أن يقوم بالرياضة اليومية المفضلة وهي أن « يتمتع »
ويشد رجله وجسمه . ولا يتمكن من ذلك الا إذا غرس أظافره في المقاعد
والستائر .. ولما كان هذا يحدث يوميا ، فان عمليات التدمير والتقطيع تقع كل
يوم وبانتظام وبإصرار .. فاذا قصصنا له أظافره لجأ الى أساليب أخرى في ممارسة
هذه الرياضة الصباحية .

فاذا مرض ، كان لابد له من علاج وهذا العلاج عند طبيب بيطرى .
وللقطط ككل الكائنات الحية من انسان ودواء : حبوب ومشروبات وحقن .

ولكن لماذا كل هذا ! لماذا له كل هذه الحقوق علينا ؟ ولابد أن هذه أسئلة
يوجهها أيضا كل أب لأطفاله . لماذا لهم كل هذه الحقوق وعلينا كل هذه
الواجبات .. والجواب الوحيد هو : أننا نحن الذين أتينا بهذا القط . وفي ذلك
تعهد غير مكتوب بأن نعى به مقابل أن يعيش بيننا ، وليس من الإنسانية ولا
من الرحمة ، أن نلقى به في الطريق ، بالقط أو بالأولاد أيضا . وكثيرا ما سمع
الآباء من أبنائهم : وهل نحن الذين طلبنا اليكم أن تأتوا بنا ؟ والسؤال وجيه
وسليم . ولكن الآباء يضيقون به .. لا لأنه صحيح ، ولكن لان طريقة الأبناء
في توجيه هذا السؤال فيها الكثير من الاستفزاز والعقوق ..

وهذا ما لا يفعله القط والكلب في أى بيت ا .

مدين إلى الأبد ...

أبعث بتحقيق الحارة الصادقة إلى موظف لا أعرفه في وزارة خارجية مملكة لاوس . لأنه نموذج للموظف النشيط الذى لا ينسى مليا لبلاده عند مواطن أو سائح أجنبي !

اسم هذا الموظف لا يهم . ولكن الذى يهم هو أن اعترف بما حدث . فقد طلبت في سنة ١٩٥٩ تأشيرة دخول الى مملكة لاوس - عدد سكانها مليونان ونصف مليون ومساحتها ٩٠ ألف كيلو متر مربع وبها مليون فدان أرز . وأهلها يزرعون الأفيون على الجبال .. ويتكلمون الفرنسية ولغة أخرى اسمها : اللاو .. ويقال ان صوت المرأة هناك هو أجمل صوت في آسيا عندما تقول : نعم .. أو .. لا - وقد أردت أن أتحقق من كل هذه المعلومات وغيرها . وطلبت أن أسافر . وتقدمت إلى سفارة لاوس في نيودلهي . وبعتت السفارة بريقة إلى حكومتها في فانتيان . وانتظرت اسبوعا . ولم يأت الرد . وسافرت بعد ذلك إلى سنغافورة وحاولت أن أعرف أن كان في الإمكان أن أسافر إلى هناك . وقيل لى : نعم .. ولا . ولم يكن الصوت الذى قال جميلا .. فقد كان صوت رجل ناعم البشرة : لا لحية ولا شارب ولا شعر في رأسه أيضا . وله صدر بارز . ومن المؤكد أنه رجل فهو يرتدى حذاء غليظاً ..

وعدلت عن التفكير في السفر إلى لاوس .. وبعد شهور عديدة رجعت إلى مصر. ورحت أقلب في الخطابات التي جاءت في غيابي .. ووجدت من بينها خطاباً من سفارة لاوس تطالبني بجنهين ونصف جنيه قيمة البرقية التي بعثت بها السفارة لتسأل إن كان مسموحاً لي بالدخول .. وجاءت البرقية تقول : لا دخول ! .

وفي نفس الموعد من كل سنة ألقى نفس الخطاب . ويبدأ عادة بهذه العبارة : السيد فلان المواطن المصري صاحب جواز سفر رقم . والبالغ من العمر . والذكر .. والصحفي .. يؤسفنا أن الحكومة المركزية رفضت بكل احترام دخولكم البلاد .. الخ .

ثم تجيء بعد ذلك العبارة المهمة جداً في الخطاب «سبق أن طلبنا اليكم بتاريخ مارس ١٩٦٠ و ١٩٦١ ومارس سنة ١٩٧٠ أن تدفعوا ما هو حق شرعي للشعب وقدره .. ونحن اذ يؤسفنا أن ننبهكم إلى ذلك يتضاعف أسفنا لأنكم لم تدفعوا المبلغ بأي شكل ترونه مناسباً » .

والمطلوب مني هو أن أدفع مليماً واحداً لكل ألف مواطن من لاوس ! صحيح أن المبلغ تافه . ولكنه حق لشعب لاوس . ولا يسعني هنا إلا أن أعلن واعترف بأنني مدين بهذا المبلغ .. ومستعد أن أدفعه لأي مندوب للحكومة إذا جاء إلى القاهرة . أو إذا شاء أن نلتقي في نيودلهي وأدعوه إلى غداء على حسابي . وأرجو أن يمهلي عشر دقائق لكي أسجل إعجابي بهذا الموظف الذي لا يغفل ولا ينام عن حق شعبه .

وهذا إقرار مني بذلك !

إلى ..

جنة زائفة

لكى نحكم على ظاهرة بأنها سيئة أو جيدة يجب أن تفهمها ، ويكون الفهم مثل حيثيات الحكم فى أية قضية .. وبعد ذلك نجى المرافعة : أى المناقشة العلنية للخطأ والصواب . والمرافعة نوع من التفسير والتبرير والتنوير حتى إذا جاء حكم القاضى بعد ذلك كان على أساس من الفهم العام لوجهات نظر كثيرة ..

ونحن جميعا قضاة ومحامون ومتهمون وأبرياء ومجرمون . إننا نحن المحكمة بكل أركانها .. من القاضى حتى منادى المحكمة . أما القضية المعروضة فهى لماذا هذا الاسراف فى التدخين . وفى الجنس وفى تعاطى المخدرات فى العالم كله ؟ لماذا إيمان شديد وجنس عنيف وحشيش وتحقن وهلوسة فى معظم عواصم الدنيا ؟

لابد أن تكون هناك أسباب عامة واحدة . هذه الأسباب هى أن العالم كله فى حالة حرب . أو فى حالة خوف من وقوع حرب شاملة . ولذلك فالاستعداد للحرب أو لمنع وقوع الحرب على أشده فى الغرب والشرق . والذين ليسوا فى حالة حرب يستتكرون الحرب . ويلعنون الدول التى تدفع الانسان الى الموت . وفى مواجهة الخوف من الموت ما الذى يفعله الإنسان ؟ .

انه يواجه الموت . إذا استطاع : قاتلا أو قتيلا ، بأن يتمسك بالحياة ولذلك فنسبة الزواج ترتفع فى ظروف الحرب . فالإنسان خوفا من الموت ،

يريد أن يخطف الحياة قبل أن يخطفه الموت من الحياة ، وكان الشاعر الروسي
فتشنيكو يتحدثنا عن أنهم يوقظونه وهو طفل صغير ليرقص ويغنى للجنود
المسافرين الى الجبهة ، فقد كان الجنود يتزوجون قبل سفرهم بساعات ..

والإقبال على الحياة بالإسراف في كل ما هو ضروري لذيد وبصورة
عصبية ، والجنس أعمق وأعنف هذه الصور . فالمجالات عارية والأفلام
والأغاني والاستغراق في الجنس هو نوع من سد الأذن والعين عن الخطر الذي
هو الموت . فالجنس أسلوب من أساليب النسيان . أو الهرب من مواجهة موقف
أليم ..

وكذلك المخدرات . انها وسيلة لخلق «جنة زائفة» يعيش فيها الانسان ساعة
أو يوما أو عمرا بعيدا عن الحرب وويلات الحرب والخوف منها ، فالمخدرات
نوع من «السلام المزيف» في مواجهة الحرب الحقيقية !

وأما الاتجاه إلى الدين .. فهو نوع من الهرب إلى الله .. كطفل يتعلق
بملايس أبيه ، ويرمى نفسه على صدر أمه لعله يجد الراحة ، ويجد الملجأ
الحصين .. ثم إننا كالأطفال أيضا . نلقى بهمومنا على السماء ونطلب اليها أن
تحل مشاكلنا نحن البشر ..

انه - إذن - الخوف الذي يلقي بنا ويطوحنا لعلنا ننسى .. ننسى أن هناك
مشكلة . وأن للمشكلة حلا .

ونحن في حاجة إلى الفهم في جميع الأحوال حتى لا نتهم أنفسنا دائما !

عندك أىّ علاج؟

فجأة ضاق صدرى . أو أنه ضيق منذ وقت طويل ولم أشعر به إلا أخيراً . ضاق وتصلب . وأحسست أنى «مزنوق» بين بابين حديدين . وأن هذين البابين سيسحقان قلبى . أو يسحقان وجودى كله .. وإنى لا أستبعد أن أقع من طولى تحت ضغط داخلى لا أعرف مصدره .

فهل استسلم ؟ مؤكداً .. لا !

وكثيراً ما أحسست أن فى داخلى نوعاً من العصيان المذنب أملاً صدرى بالهواء . ولكن صدرى لا يفتح .. وإذا ملأت صدرى بالهواء وانفتح أحس كأن قلبى لا يدق .. وإذا حركت ذراعى ورجلى وافتعلت الغضب . راح قلبى يدق فى عقلى فيصيبى الصداع نهائياً . والأرق ليلاً والقرف دائماً .

وأنساءل ويقول هواة الطب : يا أخى لا داعى لأن تتعشى بالليل ! كأننى معدة . وكأن الحياة كلها أحماض ملهية . وكأن حياقى هى إرهاب للمعدة وإحراق لجدرانها وتعظيم لأعصابها .. ولى أيضاً .. وهى نصيحة مريحة لأننا تبعث على الضحك !

ويقول هواة الطب النفسى : يا أخى لا داعى للسهر . لا داعى للقوة والشأى .. لا داعى لأن تنام جالساً . وتتقلب نائماً .. على مهلك لن يضيع

شيء . لن يفوتك شيء . وإذا فاتك شيء .. فلن تخرب الدنيا .. دنياك أو دنيا الناس .. لن يأخذ أحد من شيء شيئاً !

والذى ينصحنى بالنوم لا يعرف إننى أنام قبل منتصف الليل بساعات . وأصبحو قبل الفجر بساعات أيضاً .. وهذا يكفى . ولكن ليس هو النوم ولا قلة النوم ..

وأراحنى من نصحنى بأن أعرض نفسى على أضرحة الأولياء . قالها جاداً وصدقته . وذهبت وفتحت قلبى عند كل باب .. بدأت بالسيدة زينب دعوت وتمشيت ولففت وتحركت شفتاى وملأت صدرى فامتلاً . وهزرت . صدرى فحفق ونقص وزنى عشرات الكيلوجرامات . وبهذه الحفة الجسمية والنفسية ذهبت إلى مسجد الحسين . وانفتح قلبى ودق وارتفع . ونقص وزنى واستقر رأسى على كتفى وعلى المخذة نمت .. نمت ..

وجلست إلى مكتبى أسأل : ما الذى حدث ؟ لماذا أصبح الثقيل خفيفاً . والحائق مرئياً ؟ ماذا جرى لرأسى .. لمعدنى .. لنومنى .. لأكلتى ؟ .. كيف حدث ما حدث ؟ وكيف لا يحدث ما قد حدث !

إذن لابد أن أعيد كل ما فعلت .. ولكن ما الذى أعيده ! إن كل شيء يتكرر .. وبصورة مؤلمة .. والالم هو وحده الذى يصلبنى عن أى شيء آخر وهو الذى يجعلنى عاجزاً عن طلب الراحة من أى أحد وفى أى مكان .

لا شيء يضيع

القارئ ليس هو الذى يفك الصفحات الملتصقة ثم يفك الخط . وليس هو الذى يقول أنا قرأت ألف كتاب . ولكن القارئ هو الذى يجد متعة فى القراءة . وهو الذى لا يستطيع أن يتوقف عن القراءة .

والذى يذكر الكثير مما قرأ . وهو الذى يفهم . وليس الذى يقرأ بلا فهم .. وأول شرط من شروط القراءة الجيدة أن تجد متعة إذا قرأت . وإذا فرغت من قراءة كتاب وإذا اتجهت إلى كتاب آخر .

وهناك كتب كثيرة ممتعة . وكتب أخرى ليست كذلك . ولكن كل كتاب فيه شئ من العلم والفائدة . والقارئ الواعى هو الذى يختار ما يعجبه وما يمتعه .

وأنا أعتبر نفسى من القراء . ولكنى أقرأ موضوعات مختلفة . ومن الأفضل أن أكون كذلك حتى لا أمل وحتى لا يغلبنى الملل وينقلنى الى التعب . والتعب يجعلنى أقلب الصفحات ولا أفهم . ولذلك أقرأ فى الأدب ، فاذا تعبت من الأدب قرأت فى الرحلات . وإذا مللت الرحلات اتجهت الى الطب ومن الطب إلى الفن . ومن الفن إلى الجنس ومن الجنس إلى النباتات والحشرات والحيوان وسفن الفضاء .. والأزياء والمغامرات .. وأى شئ آخر مثل كتب الشطرنج وأهم المباريات الدولية وكيف لعبها أبطالها . وآتى بالكتاب وبرقعة الشطرنج

وأضع الشطرنج كما يصف الكتاب وأفكر وأتفرج وأتابع النهاية المحتومة : وهى
قتل الملك !

. ومن القراءة الكثيرة ومن تنوع القراءة يعرف الانسان «مزاياه» وتصبح له
عادات خاصة . ويصبح له أصدقاء من المؤلفين . وعلى الرغم من أن كل كتاب
له شخصية مستقلة تماما ككل بيت فى كل مدينة ، فان البيوت معا تتكون منها
المدينة .. وكذلك المكتبة الخاصة . فهى أسرة جميلة ولا شك .. تفيد دائما ..
وتساهم بك ومعك فى تنوير حياتك وحياة من لهم صلة بك .. وحياة كل
الناس ..

ويجب ألا تسأل نفسك أبدا : ما فائدة هذه القصة .. ما فائدة هذا
الكتاب .. إن هذا يضيع وقته ؟ ! !

فلا شئ يضيع . كل ما تقرأه يفيدك . وكل ما تقرأه يبق فى أعماقك أنت لا
تعرف أين يبق .. ولا كيف . ولا متى يظهر بعد ذلك .. ولكنه سوف يفعل .
سوف يظهر .. إننى كثيرا ما أتذكر حوادث وقصصا قرأتها من ثلاثين عاما . أين
كانت : انها هناك ! لماذا جاءت ؟ لأنها وجدت الوقت المناسب لكى تكون
مفيدة .. اقرأ .. اقرأ .. ما تشتريه وما يشتريه غيرك إذا استطعت .. ولكن لا بد
أن تقرأ ..

إن أول عبارة فى التوراة تقول : فى البدء كانت الكلمة ..
وأول كلمة نزلت من القرآن : اقرأ .. والانسان حيوان قارئ .. أى حيوان
عاقل أو من الضرورى أن يكون كذلك !

قلعة .. من نوع آخر

اختلف العلماء في الانفلونزا ..

قال لى أحد العلماء أن أحسن شئ للوقاية من هذا الوباء هو ألا يتعرض الانسان لدرجات الحرارة المتفاوتة .. لا يتقل من الحر إلى البرد .. ولا العكس .. ومعنى ذلك ألا يدخل الإنسان مكتبه . وإذا دخله الا يخرج منه .. وأفضل الا يخرج من بيته . ولكن كيف ؟

وقال لى عالم آخر : ان عصير الليمون أحسن من فيتامين «ج» وانه أحسن . ومن الأفضل أن يضع الانسان الليمون على الشاى وعلى الطعام . وأن يشرب العصير بارداً .. وساخناً أحسن . وكل الأدوية الى تى من الانفلونزا أو تعالجها مشتقة من الليمون .. وأن الذين يتناولون الفيتامينات ليست لديهم هذه الكميات الرخيصة من الليمون البلدى !

أما تعاطى الحقن للوقاية - كما أفعل أنا - فهو مقلب يشربه المصابون بالخوف من البرد . لأن هذه الحقن تحمى الحائضين بعض الوقت . فاذا أصيبوا بالانفلونزا فإن هذه الحقن لا تنفع بعد ذلك مهما كان عددها ومهما كان اسم الشركة الى تنتجها ..

ومن رأى بعض العلماء أن الانسان إذا أحس بأعراض الانفلونزا فيجب أن

يبادر بتعاطي هذه الحقن . أى يجب أن يقاومها بعد أن تكون قد تسالت الى جسمه . ولكن علماء آخرين يقولون إن الانفلونزا إذا دخلت فلن تخرج قبل خمسة أيام .. وفي هذه الحالة لا قيمة للحصن !

ولكن ما رأى العلماء فى أننى منذ قرأت عن الانفلونزا وأنا أشعر بأعراضها يوميا . وأخذ هذه الحقن يوميا واتوقع من ونز الحقن فى ذراعى .. ولا بد أن مثلى كثيرون من الناس !

إننى أتذكر الآن قصة الملك كونراد أحد ملوك ألمانيا عندما حاصر إحدى القلاع . وقاومت هذه القلعة طويلا . وأصر الملك على الاستيلاء عليها ولكن عندما علم أن بها نساء كثيرات سمح لهن بالخروج بشرط أن يحملن كل ما يردن من متاع وأن يمشين على أقدامهن . وخرجت النساء . وفوجئ الملك بأن النساء حملن أطفالهن .. ورجلهن أيضاً !

وأعجب الملك كونراد بالنساء .. ورفع الحصار عن القلعة !

وقد حملت نصف ملابسى وكل أنواع الفيتامينات والحقن ونقط الأنف ونقط الحلق .. وأخرج من البيت ومن المكتب على مراحل .. وفى انتظار قرار رفع الحصار الذى تصدره صاحبة الجلالة « انفلونزا » !

لا تقتل هذا الرجل

لم أكن في حاجة إلى مزيد من وجع القلب عندما جاءني والد حزين يقول لي : ابني كان يحبك كثيرا . وأخوه الذي قابلك في بغداد منذ شهر ..

- كان يحبني كثيرا ؟ وأين هو الآن ؟

- أين هو الآن ؟ من أجل ذلك جئت أحكي لك أين هو الآن .. وأين أنا الآن ..

في يوم من الأيام كانت هذه الأسرة سعيدة . الابن الأكبر حصل على بكالوريوس التجارة . الابن الذي يليه حصل على الثانوية العامة .. والذي يليه نجح في الاعدادية . أسرة حسدت نفسها . ولا بد أن يدق جرس التليفون . لابد من شيء يفسد هذه السعادة . وكان المتكلم صديقا للأسرة يعاتب الأب : كيف يرى ابنك الأكبر زوجتي في الاتوبيس ولا يقف لها . الا ترى أن هذا سوء أدب .. أو جليظة لا تليق ..

وكان رد الأب : لقد سمعت من ابني قصة أخرى .. فقد صعدت الاتوبيس سيدة كبيرة . ولأنه متعب لم يشأ أن ينهض لها . ولما جاءت زوجتك وهي شابة خشي أن يفسر الناس ذلك على أنه احترام الشابة الحلوة ولم يحترم

السيدة التى فى سن أمه .. أو خشى أن يقول الناس انه يعاكسها أو يريد ذلك ..

وقبل أن يضع الأب سماعة التليفون قال : سوف يحى ابنى ويعتذر لك ولزوجتك .

وقبل أن يضع الرجل الآخر سماعة التليفون سمع الابن يقول : إبنى لن اعتذر لرجل حمار مثل هذا ..

وعاد التليفون ىرن .. ودارت مناقشة حادة .. انتهت بأن هجم الأب على ابنه وضربه . لماذا ؟ ضربه والسلام . وتدخلت الأم . ووافق الجميع على أن يذهب الابن ويعتذر . وذهب الابن . وانفتح الباب وانهاالت الأيدى على وجه الشاب والشتائم كذلك .. ولم يتمكن الشاب من أن يعتذر . وبعدها بساعات مات هذا الشاب بسبب انفجار فى محه !

ومطلوب منى أن أبعث برسالة للابن الثانى أقول فيها : أبوك منكوب وهو لم يقتل أخاك وإنما هى أعمار . وإذا كنت حزينا على أخيك فما بالك بأبيك الذى هو حزين عليه . وحزين أيضا عليك لأنك تتصور بل تؤمن بأن أباك هو القاتل .

إن هذا التصور يقتل أباك .. فترحم على أخيك القتل وارحم أباك ولا تجعله قتيلا .. أنت قاتله ! .

إليه يعنى !

مهما كانت الظروف . فسوف يكون هناك أناس يعملون . ويجب أن يعملوا . ويجب أن يكون عملهم دقيقاً محلياً .. ويجب أن تكون أقدامهم ثابتة على أرض العمل . وأيديهم ثابتة على أدوات العمل . فهذا الثبات في العمل والإصرار على العمل . تؤدي خدمة مؤكدة إلى بلدنا . في كل الظروف . وكل ما أصابنا في المعركة يجب ألا يكون مبرراً للإهمال والتقصير واللامبالاة . فالذين يعملون في الحقل وفي المصنع وعلى المكتب . مطالبون جميعاً بأن يستغرقوا في عملهم . وما تبقى لديهم من وقت بعد ذلك يجب أن يسرعوا ليعادوا العمل . ويجب أن نعطيهم فرصة للراحة المؤقتة . فالذي لا يسرع لا يقدر على إتقان عمله . والراحة من العمل هي آخر الحقوق التي اكتسبها العامل . ويجب ألا يفقد هذا الحق .. في فقدان حق الراحة . ضياع لقدرته وضياع لإنتاجه أيضاً ..

ومهما كان العمل الذي تؤديه فهو مهم لك . وللمجموع . إذا كنت تدق مسباراً في نافذة . وإذا كنت تصنع نافذة وإذا كنت تطلق نافذة كل هذا مهم جداً للبيت الذي تعمل فيه . فكل عمل مهما كان هينا . هو بالنسبة لكل العاملين . والمواطنين شيء هام . والإهمال مهم أيضاً . فالإهمال كالمرض يعدي .

وكالمرض يستشري . وعدوى الإهمال خطيرة للروح العامة . وهي تشبه الصدأ للحديد والدودة للقطن . والعفن للفاكهة و « الميوعة » للفكر ..

إن الإهمال واللامبالاة و « الإيه يعى » : هي أخطر ما يواجهنا الآن .. وإذا كنت تحتاج إلى مبيدات حشرية للقضاء على الآفات . فإن العمل المركز الآن أعظم مبيد لضباب الفكر والعمل معا .



المدرس ماذا يستطيع

لابد أن تكون هذه مشكلة المدرسين والنظار : ما الذى يخيف التلميذ الصغير؟ ما الذى يصنعه المدرس اذا خالف التلميذ الأوامر وجاء متأخرا أو أهمل فى دروسه أو غش فى الامتحان؟

إذا كان هذا هو الخطأ فما هى العقوبة؟ هل طرد التلميذ من المدرسة عقوبة؟ هل هى عقوبة له أو لوالديه؟ هل استدعاء والديه فى كل مرة ممكن؟ هل خصم الدرجات من الطالب عقوبة!

إن المدرس يجب أن يكون محترما .. وأن يكون من ضمن الاحترام عنصر الخوف .. أى أن يكون مخيفا مهيبا مهابا ، لا خائفا من الطالب ووالد الطالب والناظر والمفتش والمراقب والوكيل والوزير .. والا فلن يتمكن المدرس من أداء واجبه وهو : أن يعلم التلميذ معنى النظام والطاعة والخلق الكريم واحترام العلم والمعلم . بذلك يكون مواطنا صالحا مفيدا .. قادرا على أن يكون مدرسا وطيبا وأبا وزوجا .

ولكن المدرس غير قادر على أن يكون مخيفا للتلميذ الصغير انه لا يستطيع أن يعاقبه .. لا يستطيع أن يضربه مثلا .. والسؤال : هل من الضرورى ضرب التلميذ الصغير؟ والجواب : ان كل أم تضرب طفلها ولا يهتمها أحد بالقسوة

والوحشية وانعدام الانسانية .. بل إن كل الأمهات والآباء في عالم الانسان والحيوان يستخدمون اليد والرجل والمنتقار في تعليم الصغير حتى يكبر..

بعض المشتغلين بالتربية في مصر والخارج يرون ضرورة الضرب ..

وبعض المشتغلين بالتربية يرون أن الضرب ضرورة ولكن بشرط أن يكون منصوباً عليه في القانون ، وإنما يتغاضى عنه الناظر والمفتش .. والوزير .

ولقد عرفت عندما كنت في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة أن هناك مدارس للتدريب المهني قد أعادت الضرب . فالمدرس يضرب التلميذ أمام والديه . ودون إذن من والديه . فبعد الحرب تحال الشباب في ألمانيا واتجهوا الى الرقص ومضغ اللبان .. وبناء الشعوب لا يكون إلا بالقوة وبالعلم . والعلم صعب والانسان يكره الصعب ولذلك يجب أن نرغمه بالقوة على التغلب على الصعب . أى نعلمه بالقوة كيف يكون قويا .. ربما كان الضرب الجسمي ليس هو الشيء الموجه ولكن الإهانة أمام زملائه الصغار هي التي توجهه أكثر .. وأكثر؟

وأن هذا الموقف يحتاج الى شجاعة . وإلى مواجهة صريحة لقضية خطيرة : الاستخفاف والتهاون والاستهتار وهز الكتفين وإخراج اللسان للمدرس ولكل من يعلم الانسان شيئا جديدا .. وإذا أصبحت المدرسة ملعباً أو ملهى فكل مكان آخر هو كباريه .. وكل قيمة .. لا قيمة لها ؟

مالا تعرفه عن بلادنا

ما الذى يراه السائح فى مصر؟
يرى كثيراً جداً ولا نعرف منه إلا القليل ..

فتاة عمرها ٢٤ سنة جاءت من لندن إلى القاهرة .. ونشرت قصصها فى صحيفة «التيمس» تقول إنها جاءت وحدها إلى مصر . واندعش الناس لذلك . ولكنها لم تشعر بأى حرج . كانت تمشى فى شوارع القاهرة فلا يضايقها أحد . فهى ترتدى المبنى جيب ومثلها كثيرات . فقط أصحاب المحلات هم الذين يضايقونها وخصوصا إذا سارت فى الاحياء الشعبية !

وقد لاحظت الفتاة أن عددا كبيرا من المصريين يرتدون ملابس من محلات «ماركس واسبنسر» فى لندن وتساءلت إن كانوا يتقاضون مكافأة مالية على هذا الإعلان المجانى ..

ولكن عندما ذهبت الفتاة إلى أسوان كانت العيون تأكل ساقها . وقد استدعاها أحد المواطنين الى أن تصعد فوق الفندق لنرى أسوان بشكل أوضح وعرفت انه يريد أن يعرضها للهواء .. ويقوم الهواء بما تعجز يده عن فعله . وارتفع الفستان والتصق . وتقول انه حاول برفق أن يقنعها بأن تصعد أحد . السلام لنرى خزان المياه .. ولكن الفتاة اكتفت بما فعله الهواء !

وشهدت الفتاة حفلة راقصة . وكانت الراقصة ترتدى فستانا كاملا وأحست الفتاة أن الفستان الطويل مثير مثل الفستان القصير .. وأن الاهتزاز والإلتواء والحركات المليئة بالوعود هى التى تثير أكثر وأكثر .

وقالت فتاة فرنسية جاءت إلى مصر وحدها . إنها لم تشعر بأنها غريبة عن مصر . فأكثر الناس يتكلمون الفرنسية . وأنها عندما ذهبت الى نادى الجزيرة أحست أنها فى باريس أو فى جنوب فرنسا . وانها اندهشت جدا عندما كان الناس يحددونها بالعربية . ولكن عندما يعرفون أنها فرنسية يحددونها بالفرنسية معتدلين .

ولم تشعر بخرج الا مرة واحدة عندما احتاجت إلى أن تريح ساقها فوضعت ساقا على ساق على أحد المقاعد وانشغلت بالقراءة . فجاء أحد الجرسونات ونهبا برفق الى أن تغطى !

وقالت سائحة إسبانية جاءت بمفردها إلى القاهرة أن القاهرة مدينة جميلة فى الليل . وانها لم تجد أية مضايقات من الشبان فى أى مكان ذهبت اليه . ولكنها فوجئت فى آخر أيام زيارتها لمصر أن أحد المرافقين المصريين يعرض عليها الزواج . وقبل أن تسأله عن الذى يعرفه عنها . قال لها إنه راقبها جيدا . وأعجب بها لأنها لا تدخن ولا تشرب ولا ترقص وتنام مبكراً .. وضحكت الاسبانية من كل قلبها . فقد كانت مريضة .. وجاءت الى مصر للاستشفاء فقط !

لا ينتحرون لأنهم ينسون

لابد أن تكون هناك أسباب كثيرة لضيقك وأحيانا لثورتك لأى سبب تافه
فى مكان عملك أو فى البيت .. وفى البيت أكثر ! .

ومن بين هذه الأسباب أن الحياة فى المدينة نوع من العذاب . فكل شئ
ضيق . وكل شئ مزدحم .. الشارع والمواصلات . الشارع نفسه عبارة عن غرفة
طويلة مزدحمة يتقارب فيها الناس . ولولا حظت كيف تسير على قدميك حتى
مكان عملك لوجدت أنك تمشى فى طريق واحد لا تغيره . وانك فى معظم
الأحيان لا ترى معالم هذا الطريق ولولا المطبات والبالوعة المكشوفة لاستطعت
أن تمشى فى الشارع مغمض العينين .. فاذا ذهبت الى مكان عملك فأنت تعرف
الطريق : باب وسلم وباب وغرفة ومكتب الى جانب النافذة . والغرفة مليئة
بالمقاعد وبالناس . لا تستطيع أن تتخلص من المقاعد ولا من الناس .. كأنك
تزوجتهم جميعا فأنت تلعنهم . وهم بنفس القدر يلعنونك .. ولا بد أن هناك
أسبابا تافهة جدا تجعلك تتشاجر معهم من حين الى حين ..

والمواصلات نفسها أضيق من هذه الغرفة . ولولا أنه ليس عندك وقت
للاستمتاع بالوجوه المتغيرة ، لأحسست بأن الاتوبيس أرحم من زملائك فى
المكتب أو المصنع . ولكن السرعة والضيق والحرص على أن تصل الى البيت ولو

على قدم واحدة كل هذا جعلك لا ترى هذه الوجوه . ولا تشعر بأنها ممتعة
لاختلافها عن زملائك في المكتب !

فاذا حاولت أن تستريح من هذه الغرف المقفلة الأبواب والنوافذ فانك
تذهب إلى مكان آخر مزدحم : السيماء والمسرح والمطعم والنادى ! .

يضاف إلى هذه الجدران الحجرية أو الحديدية جدران أخرى : القواعد
واللوائح والقوانين والأصول . وما هو واجب وما هو ممنوع بالنسبة لعملك ..
لرئيسك المباشر ورئيس رئيسك .

فاذا عدت إلى بيتك انضربت هذه المشاكل في ثلاثة أو أربعة على الأقل
ويصبح المجهود الذى تبذله فى البيت أضعاف الذى تبذله فى العمل . لانك
مطالب فى البيت أن تجد حلا لكل مشاكل العمل والراحة من العمل والراحة
فى البيت ومن البيت .. والراحة منك أيضا !

ثم ان الانتحار البطيء تعذيب لمن يتمنى لك الموت السريع ! .



الحشاشون كانوا أسبق

الدنيا انقلبت لأن الشبان الامريكان — الهيبيز قد قتلوا الممثلة شاروت تيت في بيتها ولم تكن هذه جريمتهم الوحيدة فقد ارتكبوا عدة جرائم أخرى . والناس لم يتهموا الشبان بأنهم مجرمون .. وإنما اتهموا هذا الأسلوب الشاذ في حياتهم بأنه هو المسئول عن هذه الجريمة وغيرها !

وهذا ظلم للشبان . فليسوا هم أول من ارتكب جريمة في أمريكا أو في العالم .. فالامريكان يرتكبون جرائم أبشع من ذلك دون أن يكونوا من طائفة الهيبيز .. ودون أن يكون ذلك تحت تأثير الحشيش أو الافيون أو عقار الهلوسة إنهم ارتكبوا جرائم في النهار وبمثل وتخطيط ! .

وقد عرفنا في الشرق الاوسط مثل هذه الجرائم التي ارتكبتها الهيبيز وكان ذلك في القرن الحادى عشر والثانى عشر : الحشاشون في ايران ولبنان وسوريا ومصر يزعمه الحسن بن الصباح . وعرفنا اخلاص الألوف لهذا الرجل ، وكيف أن هناك شخصا آخر اسمه : شيخ الجبل وهو الذى يتحكم فيهم . ويأمرهم بارتكاب الجرائم ضد الساسة وضد التجار والمواطنين الطيبين .. وكيف أن «شيخ الجبل» أو شيخ القبيلة يكافئ هؤلاء الحشاشين بأن يدخلهم في إحدى القلاع ويقدم لهم الحشيش ويحدثهم عن الجنة .. ويرون أشباح الجنة ..

ويخرجون للناس يؤكدون أنهم ذهبوا الى الجنة ، وان الجنة مفتوحة لكل من
ينفذ تعاليم شيخ الجبل .. وكل تعليقاته : اغتيالات وتفجير الدماء في بطون
و رؤوس الناس ؟

إن الهيبيز أحسن وأشرف لأن هؤلاء الشبان يعانون أزمات عنيفة وقلقا
محترما : انهم ساططون على المجتمع الامريكى .. ساططون على الوحشية . وعلى
المجتمع الصناعى الميكانيكى الذى لا يخدم الانسانية . ولا يخدم الشباب .
ولذلك قرروا الانسحاب منه . والانزاع والانتواء .. وتعطيل قواهم الشابة .
وهذا التعطيل نوع من التخريب لهذه الالة الوحشية التى تصنع الدمار الحديث
وتطبقه على ملايين الابرياء فى كل مكان من العالم .. فتدوس الزنوج .. وتنشره
على ملايين الجياع من البيض والسود .. ثم تدفن هذا كله فى افلام الدعاية
الانيقة الملونة والاعلانات الفخمة ..

ولا توجد فى الدنيا جريمة أبشع وأحط من هذا العملاق الصناعى المفترس
لكل ما هو انسانى وكل ما هو أخلاقى _ فاذا احتج هؤلاء الشبان وصرخوا
ومزقوا غيرهم . ومزقوا انفسهم أكثر وأعنف ، فهم معذورون .. وسخطهم
كرهم ، وغضبهم نبيل !

أشياء جديدة هذا الشهر

رمضان جعل من مدينة القاهرة مدينة أخرى .. لم نكن نعرفها قبل رمضان .. أين كانت هذه الألوان .. وهذه الاطعمة وهذه الأصوات .. وأين كان هؤلاء المؤمنون الذين يتزاحمون على مسجد الحسين ظهراً وعصراً؟ ومحرضون على أن يشتروا الخبز الساخن من حى الحسين .. والفجل والفلول والطعمية من حى الحسين .. وأين كانت محلات الطرشى هذه .. وهذه الكميات الهائلة من البخور واللبان .. وهذه الجبال من المصاحف الصغيرة والصغيرة جداً والمصحف الكبير على صفحة واحدة؟ وهذه المسارح وهذه المعارض الكبيرة لبيع الكتب بأسعار مخفضة .. وهذا العدد الهائل من الذين يقرأون .. وما الذى يقرأون أيضاً .. إن الاقبال على شراء الكتب الدينية هائل . وإقبال الشبان على قراءة القرآن وكتب التفسير والاحاديث الدينية وقصص السيرة النبوية كل هذا يبعث على الدهشة .. ثم يدهشهم بعد ذلك ..

سألت أحد الناشرين فى أول يوم من رمضان : كم مصحفاً بعت حتى الآن : ١٥٠ مصحفاً كبيراً ومائة مصحف صغير !

أما فى الليل فالأنوار باهرة . والعطور ساحرة . والزحام الهادئ حول المساجد واليهما وفيها . واناس فى سيارات كبيرة . واناس يدفعون أمامهم عربات صغيرة .

وأناس كأنهم جاءوا وأتوا من العصر الفاطمي ليشاركوا في الاحتفال بألفية القاهرة .. أيام كان عدد سكان هذه الأرض التي أقيمت عليها القاهرة لا تزيد على مائة ألف نسمة - الآن وفي رمضان أكثر من ستة ملايين نسمة - وأناس كأنهم جاءوا من القمر .. ملابسههم بيضاء لامعة .. وأحذيتهم عالية .. ووجوههم مغسولة . وقد أحاطوا أنفسهم بملابس مقفلة ملتصقة وبلا جيوب .. وأنشقاء من ليبيا ومن السودان ومن الأردن ومن الخليج يشربون قمر الدين السوري ، بأكلون اللوز التركي ، والجوز الإسباني . الزبيب القبرصي ، ويستمعون إلى الأناشيد والتواشيح الأندلسية .

وبين لحظة وأخرى يقترب منهم رجل يمسك بمبخرة وقد التفت حوله مسبحة وطالت لحيته ولعت عيناه كأنه شهر رمضان : عم رمضان ويستجير بالله قائلا
حى .. حى ..

ويدور السائحون بين الناس في سعادة واضحة ، تماماً كما كنا نفعل في الاعياد الدينية في اليابان في مدينة كيوتو .. أو في مدينة الفاتيكان .. أو في مدينة أسيزي التي ولد فيها القديس فرانسيسكو .. وكان كل واحد منا يحمل حيواناً صغيراً على صدره : قطه .. كلباً .. عصفورا .. فقد كان القديس يحب الحيوانات يحب كل مخلوقات الله ..

لابد أن الزائر الأجنبي سعيد بما يراه في القاهرة ، فلا هو رأى ذلك في بلاده . ولا نحن رأينا ذلك قبل رمضان !

هذه الحياة

لا تساوى

فى لحظات قليلة جدا من الحياة يسأل الانسان نفسه : صحيح .. ما معنى هذه الحياة . ما معنى ما حدث لنا : أن نولد ونتعذب ونموت : لم نفهم شيئا . لا عرفنا لماذا جئنا ولا عرفنا لماذا ذهبنا . ولن نعرف ذلك . اذن ما معنى أن يستمر الانسان فى لعبة ليست لها أهداف ولا فوائد ولا متعة .. ما معنى أن نحشر أنفسنا فى قطار ليست له محطات . ليست له وجهة .

ولذلك يقفز من القطار ومن الطائرة ومن البرج إناس يتعجلون المخطئة أو يقيمون لأنفسهم محطات فى خيالهم أو فى شعورهم ثم ينزلون عندها ويموتون . والموت بهذه الصورة انتحار . والانتحار معناه : انه إذا كانت هذه هى الحياة . وهذا هو معناها فانى لا أريدها .. فأنا أرفض أن أذهب لمشاهدة فيلم وتمضى ساعة دون أن أفهم شيئا .. فالخروج من "السينما هو الشئ المعقول الوحيد ! .

والمنتحرون أشجع من غيرهم وليس صحيحا انهم جناء .. أو هاربون لان الذى لم يهرب ماذا عرف ؟ والشجعان الى أى شئ وصلوا . النتيجة واحدة : لا معنى لشئ . ولا حكمة لشئ . وإنما هذه هى حياة وأنت حر فى أن تعيش أو لا تعيش ..

والحياة ليس لها معنى ولا حكمة وإنما نحن الذين نختار لها المعنى الذى يريحنا .

والحكمة التي تقنعنا . ولا بد أنه هو الأمل الذي يحدونا ويحعلنا نتصور أن الأحسن
سيجيئ بعد قليل . وقد يكون هذا القليل هو العمر كله . ولا يجيئ الأحسن .
وأكثر الناس ينسون أنهم سيموتون . ويريدون أن ينسوا . فإذا تذكرنا الموت في
كل لحظة فسدت حياتنا .

ولم ينقلنا التفكير في الموت من الموت نفسه . بل إن التفكير في الموت أقسى
من الموت نفسه .. لأن التفكير فيه شعور به . في حين أن الموت هو فقدان
التفكير والشعور ..

ويبدو أننا لا نعرف معنى الحياة ..

فمثلا اذا جاء طفل صغير في السابعة من عمره وقال : ما معنى هذه الحياة .
ما معنى حياتي أنا . وما شكلها وما هدفها .. ولم يهتد الطفل الى معنى وقرر أن
يتنحر . فأننا نقول عنه انه صغير جاهل . انه لا يعرف أنه سيكون شابا . ثم
يكون رجلا . وشيخا . وبعد ذلك يموت .. انه استعجل النهاية .

ولكن لو سألنا نحن الكبار : وما معنى حياتنا نحن .. وحياة البشرية كلها
من أولها لآخرها .. لكان الجواب : إننا مثل هذا الطفل أيضا .. فنحن ما نزال
في طفولة البشرية . فمن يدرى كيف يكون شباب البشرية وكيف تكون
رجولتها .. ثم كيف تكون نهايتها .. أننا لا نعرف !

في لحظات قليلة يحس الإنسان بعمق وهدوء : إن هذه الحياة أصبحت لا
تساوى .. أو هي بالفعل لا تساوى .. ولكننا ننسى أنها سوف تساوى شيئا لا
نعرفه الآن !

مدينة ..

بلا حدائق

عندنا أماكن للفرجة وليست عندنا أماكن للفسحة . فحديقة حيوانات
الجيزة فرجة . ولكن ليس من السهل أن يبقى فيها الإنسان يوماً يتنفس هواء
يقتسمه مع حيوانات الحديقة بروائحها الكريهة . ولا يستطيع الإنسان أن يذهب
إليها كثيراً . فعندما تذهب إليها أول مرة فنحن نريد أن نعرف .. فإذا عرفنا
انتهت الزيارة .. لأنها زيارة علمية ..

وربما كانت حديقة الأسماك كذلك .. وإن كانت الأسماك التي نريد أن
نعرفها ليست شيئاً كثيراً ولا صعباً .. ولذلك من المألوف أن يذهب الناس إلى
الحديقة ولا يرون الأسماك .. أما حديقة الأورمان فهي أحياناً مفتوحة ومعظم
الأحيان مغلقة . لأنها حديقة حيوانات أخرى ، والحيوانات الغريبة هي
الأشجار النادرة . فهي متاحف للتاريخ الطبيعي – أى تاريخ الأشجار
والحيوانات والأسماك ! .

ولكن لا توجد في القاهرة حديقة واحدة .. أو متزه صغير يجلس فيه الناس
لأنهم يريدون أن يجلسوا .. فقط دون أن يعلموا « شيئاً » عن شيء .. يستريحون
فقط لشم الهواء في الصيف أو للاسترخاء في شمس الشتاء ..

ولم نفكر في أن نفتح حديقة .. أو نزرعها .. لا في قلب القاهرة أو على

أطرافها .. لا في حلوان أو المعادى أو مدينة نصر أو القناطر الخيرية - حتى
حديقة القناطر الخيرية في طريقها الى الدبول . وحتى الشوارع التي كانت تغطيها
الأشجار ، نزعنا الأشجار ووسعنا الطريق - أى عرضناه للشمس الكثيرة
والظلال القليلة .. شارع النيل في الجزيرة وشارع الجزيرة في الزمالك مثلا .
ولذلك تحول شارع الكورنيش الى ممشى بلا حديقة .. وتزاحم عليه أبناء
شبرا وروض الفرج ذهابا وإيابا وجلوسا وتكدسا - بلا راحة !

ولا يمكن أن نصف « رقعة » الأعشاب في ميدان التحرير في القاهرة بأنها
حديقة .. وإنما هى طشت غسيل .. يجلس فيه الناس وتتساقط عليهم مياه
النافورة التي تعمل في الشتاء وتتوقف في الصيف مكثفة بنافورات أخرى من
العرق في أجساد الناس !

ولذلك يمكن أن يقال ان من أهم معالم القاهرة انها مدينة بلا حدائق .
لذلك ازدحمت المواصلات لأن الناس يفضلون الجلوس والنوم في
الأتوبيس والمترو .. لانه لا توجد أماكن أخرى ! .



الضحك فى وجه الموت

نوع من الهرب يريح الأعصاب ويجعلنا قادرين على الاستمرار بعد ذلك .
فى أيام الامتحان يجد الانسان متعة فى النوم وفى الذهاب الى السينما والمشى
فى الشوارع . مع أنه فى حاجة الى كل دقيقة .. وسبب ذلك : التعب فهو
الذى يجعلنا نهرب من مواجهة هذه المواقف المؤلمة : والنوم هو جنة الهاربين !
ونحن نستغرب كيف أن بعض الناس يحلوهم اللعب والمرح فى المقابر مع أن
المرح لا يليق بجلال الموت . ولكن الموت ليس له جلال عند الذين يسكنون فى
المقابر . ولا عند الذين اعتادوا على سماعه وعلى توقعه . ولذلك يواجه الناس
هذا الموقف المفزع بالانشغال عنه .. بأى شئ آخر . هذا الانشغال هو الذى
ينقلنا من الهم والغم . فما دام الموت لكل الناس فلماذا نخاف منه .. أو لماذا نخزن
على الذين راحوا . ما دمنا سنروح أيضا !

وأيام صلب المسيح جلس الرومان يشربون ويلعبون دون أن تهزم صور
المصلوبين حولهم .. دون أن يهزم الموت .. أو دون أن توجعهم صرخات
المصلوبين .. فهؤلاء الجنود أيضا عليهم أن يواصلوا حياتهم .. ولا داعى لأن
يختصروا من حياتهم ويضيفوا الى حياة الآخرين ! .

ورواد الفضاء فى رحلاتهم الشاقة الانتحارية يداعبون رجال المراقبة .

ويداعبون أنفسهم .. وهذا ضرورى لكى يخف توترهم العصبى ولكى يشعروا أنهم ليسوا وحدهم فى الفضاء . وكثيرا ما طلبوا الى رواد الفضاء أن يقوموا بألعاب وحيل لكى يتفرج عليها أطفال العالم .. والهدف طبعاً هو أن يواجهوا الموت بالضحك أى بالحرص على الحياة والأحياء !

ومن عادات الانجليز فى لندن اذا ما أصبح الضباب كثيفاً لا يرى الناس فيه بعضهم البعض أن تطلب ادارة المرور الى كل الناس أن يغنوا .. أو يمسكوا فى أيديهم راديوهات .. صغيرة .. المهم أن يصدر عنهم أى صوت حتى لا يصطدم بهم أحد من الناس .. أو من السيارات !

ففى مواجهة الخطر والألم والتعب يجب أن يفعل الانسان شيئاً مرحاً أو مضحكاً حتى لا يسقط من التعب أو الخوف .. وفى مواجهة الموت يزداد حرص الناس على التمسك بالحياة .. بحياتهم هم . فالموت ليس مرضاً معدياً . وإن كان يئى بلا مرض وبلا موعد وبلا تفرقة فى السن والدين واللون والطبقة . وكلما اقترب الانسان من المرض ، كان أحرص على الصحة . وكلما اقترب الى الموت كان أكثر تمسكاً بالحياة .. انها لحكمة بليغة : أن تستمر الحياة ضاحكة فى قلب الحزن . وان تعيش متدفقة بين الموقى !

أن نعيش وغيرنا يعيش

عندك تفسير لهذه التصرفات التي يرتكبها الأطفال وأحياناً الكبار؟

الطفل الذى يمر الى جوار شجرة ويتوقف فجأة . ثم يمد يده ويقطع غصنا منها .. ثم يلقي به فى الأرض .. والطفل الذى يرى قطعة تأكل .. أو كلباً .. ثم ينحنى على الأرض ويمسك طوبة ويصبيه فى رأسه .. والطفل الذى يرى سيارة واقفة أمام بيت .. ثم يخرج من جيبه مسباراً - أعد لهذا الغرض - ويمر بهذا المسبار على السيارة من أولها لآخرها .. أو العريشى الذى ينهال ضرباً على حماره أو حصانه بلا مناسبة .. أو اذا كانت هناك مناسبة فهى أن الحمار قد أزهقه العمل من الصباح الى المساء . وهو لذلك - أى الحمار - يستحق من يساعده ويدفعه الى الأمام ليكمل المشوار ..

والذى يبعث على الدهشة حقيقة أن بلادنا على الرغم من أنها زراعية فإن الناس لا يعاملون الأشجار والأزهار برفق أو بحنان أو بحب .

كأننا آفات زراعية وهذه الأشجار فريستنا .. كأننا أكوام من الرمال لا نكاد نرى نباتاً حتى نحاول أن نغطيه .. أن نخفيه .. وبذلك تزداد المساحة الصحراوية ..

وعلى المستوى الرسمى أيضا .. إننا نتحمس لتوسيع شارع النيل فى الجيزة
وشوارع الجبلالية فى الزمالك . لا لأن الشوارع ضيقة فقط . ولكن لان قطع
الأشجار متعة ولذة عميقة عندنا .. صغاراً وكباراً !

وقد كانت فى القاهرة حداثق صغيرة وكبيرة .. هذه الحداثق تحولت إلى
عمارات . وإن مثل هذا التصرف يعتبر جريمة بشعة فى أى بلد أوروبى لأنهم
يهدمون البيوت ويجعلون أرضها حديقة شكلها جميل .. وهى ضرورية لراحة
الناس .. لأن الناس يجب أن يستريحوا ..

وبدلاً من أن نبنى البيوت والمؤسسات فى صحراء مصر الجديدة فإننا نبنيها
فوق الأرض المزروعة .. لعدة أسباب .. أولاً ان هذا سهل . وثانياً لأننا نحب
أن نكون فى وسط البلد .. ولأننا ثالثاً نحب أن يرى الناس المؤسسات واللافتات
المكتوبة عليها .. ورابعاً لأننا نجد متعة فى القضاء على حياة النباتات !

لماذا : السبب هو اننا لا نحب الحياة . ولا نقيم وزناً أو ثمناً للحياة
نفسها .. اننا نشأنا فى حضارة تقدر الموت والموتى .. ونبنى للموت أعظم آثار
الدنيا : أهرام الجيزة .. وهى أشهر مقابر فى التاريخ !

ولأننا لم نتعلم فى بيوتنا ومدارسنا هذه الحكمة الصغيرة جداً المفيدة جداً :
أن نعيش ونجعل غيرنا يعيش .. ولو كان هذا الغير هو النبات أو الحيوان !

بيوتنا

أتوبيسات مميتة

الذى حدث فى الاتوبيس يحدث فى أى مكان آخر..

زحام شديد . الأيدى تتعلق بالأيدى .. والأقدام تدوس الأقدام وتتقارب الأجسام ويلتصق الرجال بالنساء . ولا ينطق أحد بشئ . فالزحام هو المشلول عن كل هذه الكلمات النائية والحركات النائية أيضا . وعن الساعات التى تختفى والمحافظ . وعن السرقة بالاكراه . فالاتوبيس مزدحم والشوارع أيضا . وليس أسهل من أن يسرق النشال ويهرب .. أو ينفخ المسروقات فى جيب نشال آخر؟ لا أنسى الفزع الذى غمرنى يوم وقفت فى الزحام على باب الاتوبيس .. وأحسست بشئ فى جيبى .. ولم أستطع أن أمد يدى لمس جيبى ولكن وقع فى جيبى شئ .. وبعد محطة اتوبيس نزلت الى الشارع وكأن فى جيبى قبلة زمنية .. واقتربت من أول مقهى وجلست .. ومددت يدى إلى جيبى لأجد ساعة ضخمة ذات جنزير غليظ . لابد أنها سرقت من أحد القرويين وألقى بها النشال فى جيب زميل له تخلصا منها . ويبدو أن الجيوب كانت متقاربة . وحركة الاختفاء كانت سريعة فلم يميز بين جيب زميله وجيبى ! ..

وعندما ذهب الى قسم الشرطة أعيدها ، تحملت سخرية الشاويش لفهاة شأن الساعة . ولكن أمام اصرارى وضع وجهه فى الورق وكتب وتمت أقوالى

ومضيت وخرجت وأكاد أرى لسانه يطلع ويدخل من فمه .

ويحدث في الاتوبيس أكثر من ذلك .. وفي أماكن تراحم الناس في دور السينما والملاعب والمولد . وفي البيوت أيضا . فهناك أسر تتكدس في شقق صغيرة . الشقة الواحدة بها عشرون وثلاثون شخصا .. من بينهم عشرة على الأقل يعملون وقبل أن يعملوا يجب أن يذهبوا الى دورة المياه بالدور . ويجب أن يتم كل شيء بسرعة لأنه لا يوجد وقت . وهذا الزحام يتكرر في عشرات الألوف من البيوت . وتتوتر الأعصاب . وتمتد الأيدي والأرجل . ويصحو بقية السكان وتتعالى الأصوات والصرخات وتفلت كلمة وحركة وتتطاير السكاكين . ولا بد أن يذهب واحد أو أكثر الى قسم الشرطة . ولا بد من عمل المحاضر . ولا بد من العناية هؤلاء المواطنين عشرات المواطنين .. ألوف المواطنين .

والسبب هو الزحام الشديد في كل مكان .. فالناس يضغطون على الناس .. فينفجر الناس بالغضب . ويتحول الغضب الى دم . وأمام الغضب يعتدى اناس على اناس . ويهرب أناس من أناس .. ويلتوى أناس .. كما يلتوى الحديد في النار .. وكما يلتوى الماء حول الصخور ..

واذا كانت عندنا عشرات الاتوبيسات ذات العجلات ، فهناك مئات الألوف من البيوت والشوارع كأنها اتوبيسات بلا عجلات ..

عجلاتها في الداخل تدوس السكان وتطحنهم دون أن تتحرك من مكانها !

اجعلوها صغيرة وكثيرة !

لا داعى لأن أذكر الأطعمة التي وضعت امامنا قبل مدفع الافطار . فكلها معروفة . ولكن كان عددنا خمسة .. والطعام الذى أمامنا يكفى لعشرة . والأسباب معروفة طبعاً . وبلهفة امتدت أيدينا وشربنا وأكلنا وشربنا أكثر . وبسرعة شبعنا . وواضح من تراجع كل منا فى مقعده أن كرشه يحول بينه وبين تراييزة السفرة . ولذلك اعتدنا جميعاً فى مقاعدنا . مع الميل قليلاً الى الوراى وحل علينا جميعاً شئ من الهدوء والبلادة . كأننا لم نذق طعاماً ، أو كأننا حرمانا من الطعام . ولا بد أنه دار فى رءوسنا هذا السؤال : ما هذا العبط ؟ لماذا لا نأكل على مهل ، لماذا نلهث من الجرى بالأيدي والعيون بين الأطباق والأكواب .. كأننا تصورنا أن هذه الأطعمة أشياء ممنوعة فأخفيناها فى بطوننا ؟

ولا بد أن الحالة النفسية والمعوية لم تمكننا من مناقشة هذه الأسئلة والإجابة عنها . فهناك أعمال أخرى أمامنا لابد أن نفرغ منها وبسرعة أيضاً . لابد أن نتقل الى كراسى أخرى بسرعة . وأن نعطى للمعدة الوضع المناسب لكى تتمدد وتهضم - إذا استطاعت - على راحتها . وأحسن الاوضاع هو النوم على الجنب . وهذا يفسر لنا صور « ألف ليلة وليلة » التى تجدد فيها الملك جالسا على جانب .. نائما تقريبا لأن هذا هو الوضع المناسب لراحة المعدة والمصران الغليظ . بعد

أكلة ضخمة دسمة كالإفطار في رمضان ، وبعد اتخاذ الوضع المناسب يحمى
الحلو .. وبعد الحلو يحمى الشاي . ضرورى الشاي . ولكن أين يذهب هذا كله ؟
أين يستقر فى الجسم ؟ لقد أصبحت أومن بما كان يقال لنا فى الريف من أن الماء
ينزل فى الساقين والقدمين .. ولا بد أن السوائل تفعل ذلك لأن المعدة لا يمكن أن
تتسع لهذا كله ؟

ويحمى بعد ذلك دور الاذاعة والتلفزيون .. تلك البرامج المرحية . وأهمية
المرح فى رمضان أنها فرصة للضحك . والضحك يهز الجسم . ويهز المعدة
ويقلب الطرشى على الكثافة على الفول على الأرز على الشاي .

ولو نظرنا إلى المائدة قبل أن نهض لوجدنا معظم الطعام على كل مائدة
فالصائم يجب أن يفطر فى جو أطباق كثيرة وألوان كثيرة وزحمة وكلها مشهية ..
أو تفتح الشهية . وهذا طبعى . ولذلك أتقدم باقتراح من عندى . وهو أن
نجعل الأطباق أصغر وأن نطهوا نصف الكمية ونضعها فى أطباق كثيرة . تماما كما
يفعل أهل سوريا ولبنان عندما يقدمون العشاء والإفطار .. عشرات الأطباق
الصغيرة فى كل واحد منها ملعقة زبدة وملعقة لبن وحبتان من الزيتون .. أو كما
يفعل أهل اليابان . يقدمون عشرات الأطباق التى يمكن تفريغها فى سلطانية
طرشى واحدة .

وبذلك يتحقق لنا الجو .. والاقتصاد أيضا ! .

اللغة علينا

كنت أدخن وتوقفت . ويسألني الذين لا يعرفون كيف يتوقفون فأقول
حاولت أن أجعل التدخين عادة فلم أفلح . ويكون السؤال : ولماذا عادة ؟
احمد ربنا !

الحمد لله . ولكن كنت أريد أن أجعله عادة . منظر السيجارة والاهتمام بها
واشغالها ووضعها في الفم . وسحب الهواء وإطلاقه من الفم أو من الأنف .. كما
يفعل معظم الممثلين المبتدئين ، منظر جميل لمن يراه .. ومعنى ذلك أن الفرجة
على الدخان ينطلق مدللاً ناعماً مائعاً مليصاً من الفم الى مافوق الرأس .
اذن فمن الأفضل أن أتفرج على المدخنين لا أن أدخن مثلهم ! .

ولاحظت عند بدايتي للتدخين أن السجائر ذات الفلتر أجمل شكلاً
وأطول .. ودخنت .. ولم أستطع .. وحاولت أن أدخن على فترات متباعدة
لأجد للسجائر طعماً . ولم أجد الطعم . وحاولت أن أشعل سيجارة من
سيجارة .. ولم تترك السجائر الا أثراً في أصابعي وفي حلقى وفي أسناني .. ولكن
لا طعم لها .. وانتقلت من السجائر المصرية إلى الأمريكية الى الفرنسية ثم الى
العراقية والأردنية . ويدو أنني في حركة التنقلات هذه فقدت القدرة على
التذوق .. وكنت أندesh كلما رأيت انساناً يتلهف على السيجارة . ويسحب

الهواء من خلالها وبملا صدره وتتراخي أعصابه وعضلاته . وأسأل هل صحيح ما يحدث لكم من السجائر فيؤكدون أن السجائر نعمة . وانهم يفضلون السجائر على الطعام والشراب وأشياء أخرى كثيرة .. وكنت أندهش ..

وتوقفت عن الاستمرار في المباراة التي ليست لها أية أهداف ولا نتائج فلا أنا عارف كيف أدخل .. ولا أنا إذا دخلت استطعت .

وعندما ذهبت الى كوبا رأيت الزعيم كاسترو يدخل بصورة غريبة . فهو شاب وفي غاية الحيوية . ويدخن بجملة ولهفة واحترام للسيجار . وكان كاسترو يدعونا الى أن ندخن . وكان يعلمنا طريقة مسك السيجار بأن نضع طرفه في فمنا القهوة . ثم نكسر الطرف المبطل بأسناننا ونتمتع بالحياة بعد ذلك . وحملت معي من كوبا عشرات من علب السيجار .. ودخلت .. واهدت الأصدقاء واستمتعوا . ولم أجد أية متعة !

وتلقيت أخيراً هدية من كوبا .. وفرحت . ومددت يدي . واسترخيت في مقعدي . ووضعت كل احساساتي في في . وأشعلت عودكبيرت .. وأدنيته من السيجار وتساعد الدخان .. وتسلل بعمق الى صدري . وانتظرت النتيجة على مهل . وتوقعت أن أسمع تصفيقاً في داخلي وأصواتاً سعيدة تقول : الحرارة وصلت . الكهرباء جاءت .. عادت المياه !

ولكن لا صوت ولا حس ولا خبر .

وانما سعال شديد يمزق صدري .

ودموع من عيني وما يشبه الاغماء ..

ولعنات : لا أعرف إن كنت أنا الذي ألعن السجائر . أو هي التي تلعنني !

هاجروا تصحوا جميعا ..

كل مواطن يفكر فى الهجرة يتصور أن هناك مشاكل كثيرة ستواجهه فى البلاد الجديدة . وأنه سوف يقضى على هذه الصعوبات . وهذا هو الأمل وقد نجح من قبله كثيرون . وإذا فشل رغم كل شيء ، فإنه سيعود إلى مصر . وهذه العودة شاقة على نفسه . ولذلك يجب أن نهون عليه هذا الموقف . فليس كل من يحاول ينجح . وليس كل من ينجح سيكون مليونيراً .. فمن الممكن أن يكون المهاجر مجتهداً فى مصر ، ولا يواتيه الحظ فى البلاد الجديدة . ومن الممكن أن يكون مقهوراً فى بلده ، ويجد فرصاً أحسن وظروفاً أيسر ، فيكون له النجاح الباهر هناك ، هنا ممكن .

وقد نجح ألوف المصريين فى الخارج .. وفشل عشرات ، وحاولوا العودة وعاد منهم كثيرون . وقد عاد كذلك من أمريكا وأوروبا مئات الألوف من الأوروبيين من الايطاليين واليونانيين والأسبان . وفى القرن ١٩ رجع إلى أوروبا أكثر من ثلاثة ملايين نسمة كانوا يعيشون فى أمريكا .. لأن الحياة لم تعجبهم .. وعاد إلى اليابان كثيرون من أبنائها بعد الحرب العالمية الأولى .. وعاد إلى الصين والهند أيضاً .

فالمهاجر إنسان يبحث عن جو أحسن ، اقتصاديا وسياسيا وشخصيا . فإذا لم يجد ما يريد عاد إلى وطنه .

ونحن بلا تقاليد فى الهجرة ، ولا تاريخ . فنحن لم نعرف الهجرة إلا أخيراً
جداً . وليست عندنا كتب أو خطط ولا معلومات كافية عن البلاد التى يهاجر
إليها المصريون ولا عن مدى حاجة هذه البلاد إلينا . ثم إن الدولة نفسها لم
تساعد المواطنين بوضوح فى إرشاد أقدامهم إلى الأرض الغربية .. وإنما نحن نجد
دائماً مهاجرين يمشون على إقدامهم وعلى أيديهم وعلى بطونهم وعلى
مستوليتهم ؟ !

ولا شك أن الظروف الدولية المضطربة ، وحالة الحرب المرهقة ، كانت
عقبة تسد موارد الرزق أمام المهاجرين ، وخصوصاً فى أمريكا . وقد لجأ كثيرون
منهم إلى السفارة المصرية يريدون العودة ولجأ آخرون إلى الجامعة العربية وكان
لابد أن تبحث الدولة عن حل . ولذلك تقرر وقف النظر فى طلبات الهجرة أكثر
من مرة ؟

ولأن هذا القرار لم يعلن . فإنه قد اصطدم بالمهاجرين فى آخر مراحل
إجراءات الهجرة : أى بعد أن استقالوا وصرفت لهم المكافآت المالية التى
أنفقوها عن آخرها فى الاستثمارات والتأسيات والدمغات والصور
والتأشيرات .. وكان الأوفق - طبعاً - أن يتقدم المهاجر إلى وزارة الداخلية
يستأذن فى الخروج . فإذ وافقت عاد إلى أول الطريق ليستعجل الاجراءات ..

شئ واحد يجب أن يكون واضحاً لدى كل المواطنين الراغبين فى الهجرة أن
الدولة تريد أن تنظم الهجرة لا أن تمنعها . لأن هذا مستحيل . فلا توجد طريقة
لمواجهة هذه الزيادة الهائلة فى عدد المواليد وعدد المتعلمين مع ضيق الأرض
الزراعية وضيق النفوس بسبب الضغط السكانى إلا العمل فى الخارج أو
الهجرة ؟ .

طعامك فى النور

والموسيقى

ان كانت صحتك تهتك فلا داعى لان تأكل فى الظلام . ولا أن تأكل بسرعة . ولا أن تأكل دون أن تتكلم .. ومن الأفضل أن تهز رجليك . ومن حين إلى حين اضرب بطنك بيدك . وان وجدت مناسبة للضحك فاضحك حتى لو كنت تأكل وحدك - آخر ما وصل اليه الطب النفسى لتنظيم الجهاز الهضمى وتهذئة أعصابك بعد ذلك .

وكما هى العادة جرّب الأطباء هذه النظرية على الكلاب والقطط والفئران .. والذى ينفع للكلاب ينفع معنا . فلاحظوا أن الكلاب لا تأكل فى الظلام .. وأن بعض الكلاب إذا حبست فى مكان محكم لا ينفذ اليه الضوء حتى ضوء النجوم . تتوقف عن الأكل وتصاب بالإمساك بعد ذلك .

ولوحظ أن حيوانات الغابة تسحب فريستها من الأعشاب والأوكار الى الهواء الطلق . ثم تترك الفريسة بعض الوقت وتعود اليها - القطط تفعل ذلك مع أنها لا تأكل فريسة اصطادتها ، وإنما هى الغريزة التى هى صورة باقية لتاريخ هذه الحيوانات أيام كانت مفترسة من عشرات الألوف من السنين . وأهمية ما تفعله القطط هى أنها تأكل على فترات متباعدة . والكلام أثناء الطعام يحقق هذا الغرض .. والبهجة النفسية بالضحك تسهل الهضم والمضغ قبل ذلك .

وبعض العلماء يفسرون دموع الخاسب بأنها دموع الفرح .

ولما وضعوا الكلاب في الضوء والموسيقى - تماماً كما يحدث لنا في المطاعم والكباريات - وجدوها في أحسن حالاتها النفسية . وأنها تناولت طعامها بهدوء وبكثرة . وإنما لم تصب بامساك . لكن لم تنس هذه الحيوانات تاريخها فكانت تلعب بالطعام وتهجم عليه . وتخفيه ثم تعود تبحث عنه . وتخرجه كأنه فريسة هربت منها ..

ويرى العلماء - وخصوصاً الدكتور البرت مانهايم أحد علماء ألمانيا - أن الحل السعيد عند الإنسان والحيوان هو أن يتناول طعامه في مكان أقرب إلى الكهف منه إلى البيت .. بشرط أن يكون كهفاً مضيئاً موسيقياً ..

والإنسان ليس أول من اخترع الكباريات .. لقد سبقه إليها « ذئب البراري » الذي عندما يصطاد فريسته يختار مكاناً شاعرياً : في ظل شجرة عند نهرو في مواجهة شمس الأصيل وهو يدق بطنه في قطعة من الحجر ويهر الشجرة لتحدث صوتاً موسيقياً ! .

وإن كنت ما تزال تهتم بشئ . فاهتم بصحتك أولاً . وإن كانت صحتك بهمك فحرب طريقة ذئب البراري ؟

مرضى أنا .. وأنت .. وهو

لن تصدقنى لأنك لا تحب الحقيقة . فأنت مريض وأنا أيضا . ولا يوجد إنسان واحد سليم الجسم والعقل فى أى مكان . وكل ما تريده الأمراض هو أن نعطيها فرصة . ولا شك أن الإرهاق والقلق أو الخوف والجوع هى جميعا فرصة متاحة لكل الأمراض لكى تظهر فى الوقت المناسب والمكان المناسب .

والذى لا يعمل أكثر تعرضا للمرض من الذى يعمل . ومعظم الناس يعملون ، ومعظم الناس مرضى ، وقد يكون العمل اليدوى أسهل من العمل العقلى - هذا رأى الجالسين على المكاتب - ولكن الإرهاق واحد سواء جسيماً أو عقلياً .

والمصابون بالجنون من الذين يعملون يعقوبهم أكثر من الذين يعملون بأيديهم ..

ومشكلتنا ليست العمل . وإنما أننا لا نعرف أن نفصل بين ساعات ومكان العمل وساعات ومكان الراحة . فنحن نحمل مكاتبنا ومقاعدنا والموظفين على رموسنا إلى البيت .. وعلى المائدة وتحت اللحاف . وبذلك يتحول البيت إلى مقبرة ندفن فيها المكتب وكل الموظفين .. والمرأة العاملة تنقل إلى مكان العمل هموم البيت والأولاد والزوج .. فإذا عادت إلى البيت حملت معها هموم المكتب

الذى تراكمت فيه هموم البيت أيضا !

فإذا قرر أن يحيل نفسه إلى المعاش ليستريح تعب أكثر مما يتصور . لأن الاحالة الى المعاش مثل قطار منطلق فيتوقف فجأة ويخرج على الشريط الحديدي وتتقلب القاطرة والركاب .. فالاحالة إلى المعاش عطل مفاجئ .. هبوط اضطرارى لطائرة .. دش بارد على زجاج ملتهب .. لمسة من عزرائيل ؟

حتى عزرائيل نفسه لا يريح .. فقبل الموت بساعة يصاب الانسان بما يسمى «صحوة الموت» وهذه الصحوة معناها : صفاء الرؤية وجلاء السمع وشفافية كل الحواس لأول وآخر مرة . ولا نستطيع أن نستمتع بهذه الساعة النادرة .. تماما كما لا يمكن أن يستمتع بمنظر القمر من يسقط بمظلة في قلب البحر؟ وقد استطاع بعض الرجال الشجعان أن يقولوا في الدقائق الأخيرة من هذه الساعة كلمات باقية . ونصحبونا بأشياء كثيرة .. ولكن من المؤكد أن عباراتهم كلها ذات معنى واحد : إذا كانت الحياة مرضا . فالموت أعظم طبيب .

إذن ما هي الحكمة في أن نولد من أبوين مريضين ، وأن نستأنف الحياة بأن نعيش مرضى ؟

إن هذه الحكمة سوف نعرفها فيما وراء .. هذا العالم ! .

حياتى .. شظايا وبقايا

أحيانا أشعر أننى قلب كبير .. وأن هذا القلب يتسع لكل الناس .. الذى يساوى والذى لا يساوى .. وأكثر الناس لا يساوون .. وعندما يمتلئ قلبي بالناس انزعه من صدرى وأخطف رجلى إلى داخل قلبي فلا أجده لى مكاناً بين الناس . لقد ضاق قلبي منى . وأضيق ولا أجده نفسى ولا أجده قلبي .. وإنما أجده ورشة للسيارات من كل نوع .. وأجد أن من ضمن أهداف هذه السيارة تشطيم هذا القلب ونقل انقاضه الى أى مكان آخر .

والمصيبة أن قلبي اذا امتلأ أوجعنى .. وإذا خلا أوجعنى .. وإذا لم يكن هناك قلب . لم أكن هناك .. ولا حياة .. ومن الصعب أن يكون القلب كالفندق .. يدخله الناس من باب ويخرجون من باب آخر .. ويصبح الناس « ترانزيت » ليلة أو ليلتين ويختفون ويظهر غيرهم .. أن كورنارد هيلتون صاحب الفنادق لم يفlech أن يكون كذلك .. لقد ضاق قلبه بعشرة من أخوته . فلما ظهرت عشرة آخرون ومئات الموظفين تشطيم قلبه .. ولما حاول اصلاحه وفتحه على الآخر لكل الناس نصحه الأطباء باقفال الباب والنافذة والشيشر والعينين .. أى يجب أن يبدو ميتا بعض الوقت ليعش بعد ذلك ؟

وأحيانا أحس كأننى كالمعدة .. أهضم الظلوط .. وبسرعة يتحول الظلوط إلى

عجبن والعجبن الى سائل منعش .. وأبحث عن ظلط آخر .. وكنت أرى أن
الشباب هو المعدة القوية التي لا تقول : لا .. للناس أو للطعام أو للشراب ..
وأحيانا أحس أن معدتي محترقة .. فهي لا تريد الا المسلوق .. وترفض
الساخن والبارد .. والسكر والشطة .. والملح والقهوة .. وعندما تصبح المعدة
هكذا موجوعة مقروحة .. تصبح الحياة كلها كالمعدة ترفض الصداقة وترفض
العداوة . ترفض الحماسة وترفض البلادة .. لا تطيق النوم ولا تقدر على
اليقظة ..

وأحيانا أحس انني قلبت جلدي .. قلبت رأسي .. قلبت بشرتي .. وأنني في
داخلي . جوه . جوه . جواي . وأن الدنيا ابتعدت عني . وانني مثل جنين
أعادوه إلى بطن أمه .. له جسم جنين وله عقل رجل نادم . على ماذا ؟ على
أشياء كثيرة لا أول لها ولا آخر .. أشياء لا يكفي حصرها في تسعة أشهر الحمل
وتسع سنوات الحضانة ..

وأحيانا أحس أن دقائق قلبي هي دقائق ساعة في داخل قنبلة زمنية وأنه لن
يمضي وقت طويل حتى أصبح شظايا .. شظايا .. بقاياي .. والله أرحم !



إنها قماش فى يديك

هذه طبيعة الإنسان - عبارة نقولها تعليقاً على مواقف متناقضة . ومع ذلك نقولها .

فإذا حقد أخ على أخيه قلنا : طبيعة الإنسان هكذا .. فأول جريمة ارتكها إنسان ضد إنسان كانت بين الأخوين قابيل وهابيل .. كما أن يوسف عليه السلام ألقاه إخوته فى البئر؟

وإذا ضحى الصديق من أجل الصديق قلنا : إنها طبيعة الإنسان ، لأن الإنسان مهما كان شريراً فى جانب من نفسه يكن الخير ، كالشمس وراء السحاب . ويجب أن نعطى للخير فرصة .. والدنيا بخير؟

وإذا خان الصديق أعز أصدقائه قلنا : إنها طبيعة الإنسان . فالإنسان ذئب لأخيه الإنسان . وقدما قالوا ، اللهم احمنى من أصدقائى أما أعدائى فأنا كفيل بهم .. وقالوا أيضاً : احذر عدوك مرة ، واحذر صديقك ألف مرة . وإذا أحببت المرأة وأخلصت قلنا : إنها طبيعة المرأة أن تحبنا أكثر من نفسها . والمرأة هى التى تعرف الحب ، لأن المرأة لا تحب إلا شخصاً واحداً فى وقت واحد . أما الرجل فصاحب قلبين وبالن؟

وإذا لعبت المرأة بقلوبنا وعقولنا وانصرفت عنا إلى غيرنا قلنا : إنها طبيعة
المرأة لا أمان لها ولا أمان معها .. وهى كالقلب . دموية .. وهى كالقلب تحقق
للها والرجال ؟

فما هذه الطبيعة الإنسانية ؟

لا يوجد شيء اسمه الطبيعة الإنسانية .. فكل إنسان يمكن أن يتغير إذا
تغيرت ظروفه وتغيرت الأرض التى يقف عليها والمقعد الذى يجلس عليه أو تحتة
أو أمامه .. ضع أشجع إنسان فى النار يصرخ كالطفل ، احبس أنفاسه يسقط
كالكلب .

فلا أحد خير بطبعه .. ولا شرير بطبعه .. ولا شجاع ولا جبان . ولا كرم
ولا بخيل . وإنما الإنسان يصير كريما وشجاعا وخيرا .

والطبيعة الإنسانية نحن الذين نصنعها . فتعلم الطفل الصغير ألا يكذب ..
ونعلم الكبير ألا يكون صريحا ، وإنما أن يلف ويدور ، لأن الناس لا يحبون
الصراحة .. ونعلم الصغير أن يكون شجاعاً ونقول للكبير لا تكن متهوراً . ونقول
للصغير لا تكن بخيلا . ونقول للكبير لا تكن مسرفاً .

فالتبيعة الإنسانية قماش نلونه ونقصه ونفصله حسب المناسبات !

كل شيء عرفناه أخيراً

لم نكن نعرف ونحن تلامذة في الجامعة أن الوقت من ذهب
لأننا لم نكن نعرف الذهب . وبعد ذلك عرفنا أننا أضعنا وقتاً طويلاً في
اللعب وأضعنا وقتاً أطول في الانتظار « الأبيض » أى الذى لا معنى له ولا أول
له ولا آخر . فكم جلسنا على الحشيش ساعات ننظر في الأرض . وكان أحسن
لو نظرنا في كتاب ؟

وكم شعرنا ونحن تلامذة أن العلم الذى حصلناه هو كل العلم . وان الذى
يقوله الاساتذة - معظم الاساتذة - كلام صغير . وجاءت الأيام تؤكد أن الذى
نعرفه قليل . وان الذى لا نعرفه لا أول له ولا آخر . وان العمر لا يكفى لان
نعرف القليل . وأتانا في حاجة الى مئات الأعمار لكي نعرف شيئاً ما . فالحقيقة
واسعة لا شئ أروع من البحث . ولا أجمل من الاقتراب من الحقيقة . ولا أحد
أنفع لنفسه وأهله ووطنه من طالب جاد . فهو مواطن مضيئ . وكل من يضيئ ،
يجب أن يكون في المقدمة وسوف يكون في المقدمة ؟

وكم تصورنا أن دخول الجامعة معناه -هياة السلم . مع أن السلم طويل . ومع
أننا لا نعرف الا بعض درجاته . ودخول الجامعة معناه الاقتراب من السلم .
ومعناه أن من حققنا أن نصعد . ولكن الصعود له شروط . هذه الشروط أن
نكون قادرين على ذلك . وأن نقاوم جاذبية السقوط . وأن نقاوم فقدان التوازن
وأن نخشى وأن نهأسك . فالزحام أمام السلم وعليه هائل : عشرات الألوف من
الطلبة الراغبين في النجاح .

وفي الجامعة دفعنا الخوف من الاسئلة الى أن نهرب من مواجهة الامتحان بالنوم الكثير. وبالهرب بعيداً عن الكتب : الى الشارع والحديقة والسينا الى الهرب في الحب . وحب زميلة . وكل حالات الحب في الجامعة نوع من الهرب . وليس أسهل من الحب من طرف واحد . وليس أسهل من الزواج بعد حب خاطف . وليس أصعب من هو القادر على أن يصنع الزواج ويحمي الحب ..

وكم كان آباؤنا يتمنون أن نذهب الى الجامعة في ملابس أجمل وبفلوس أكثر وعلى مقاعد مريحة في التزام أو في الاوتوبيس .. ولكن آباءنا فعلوا ما يستطيعون فلهم الشكر وعظيم الاحترام على ما قدموا لنا . إن آباءنا لم يعطونا الا القليل جداً . ولكن هذا القليل كان كل ما يملكون . فهم في غابة الكرم . ويستحقون الامتان الدائم . يرحم الله من مات منهم .. ويطيل عمر من عاش .

وكم كانت أمنا جميعا - مصر - تتمنى أن تفسح الطريق وتضمن المستقبل وتيسر اللقمة وتريح البال وتوفر الكتاب والدواء او الضياء . ولقد قدمت لنا الكثير في أقصى الظروف . وسوف تقدم ما هو أكثر اذا ساعدناها . ولا شيء يساعدنا ويسعدنا مثل الاقبال على العمل والدرس . لانه إقبال على المستقبل بالعقل والقلب . ولا شيء يبني المستقبل مثل القلم والمسطرة والمشرط والفأس . والجامعة هي بداية الطريق الى مصر العزيزة الغالية التي سوف تتحرر بنا . بأيدينا وعقولنا . بأيدي الناضجة والعقول الشابة .

ولا أقول كم أتمنى أن أرى ذلك اليوم لاننا سوف نراه جميعا ياذن الله وإرادة من الشعب .

لا تتهم أحداً أنت فقط

كنت إذا نظرت إلى القمر فى السماء أدوخ .. وأدوب .. وأتحول إلى بخار وأتمنى لو أن قوة سحرية جمعتنى فى زجاجة ثم وضعت الزجاجة فى فوهة مدفع إلى هناك ، وتكسرت الزجاجة على سطح القمر وخرجت منها .. ويكنى أن أخرج فقط دون أن أفعل أى شىء .. أى المهم ألا أكون هنا ، وأن أكون هناك . أما الآن فتمضى أيام وليالى وشهور ولا أرى هذا القمر .. وإذا رأيته فلأننى أنسى أن أنظر إليه . أو إذا فكرت فلأننى أقول : إنه حقيقة علمية أنه يظهر فى هذا المكان من السماء صغيراً .. ثم يكبر ويعود بعد ذلك صغيراً .

والذى أراه فى القمر الآن .. أراه أيضاً فى كل وجه .. بل لأننى أحياناً لا أرى الوجوه بوضوح .. كأن رؤيتها لا تفيد .. لأننى أحياناً أستعين بالصوت على معرفة أصحاب الوجوه .. لأننى أفتح عيني ولا أرى .. وإذا رأيت فلأننى أرى وجوها كالقمر .. أى كما أرى القمر على أنها حقائق اجتماعية فقط .

ومثل القمر . الشوارع والاطباق والصحف والكتب والاسطوانات والأمواج والأشجار .. ووجهى أيضاً .

فكل شىء عبء والتخلص منه هدف .
فنجان القهوة أراه فأضعه فى فى دون أن أتذوق له طعماً .. كأننى ألتخص

ممه !

كل طعام . كل شراب . كل كلام ، كل وجه . كل صوت : عبء على
الحواس الخمس . وهذه الحواس لا تستريح بابتلاعه أملا في أن أقوم بمهمة
خطيرة جدا .. ولكنها في نفس الوقت مهمة آلية .. هي أن أخفي هذا الفئجان
في بطني كأنه معالم جريمة .. فإذا احتسيت الفئجان بحثت عن غيره .. لأنني أقوم
بعملية نقل ماء الحنفية ونقل اللبن والسكر إلى داخلي - انتهت المهمة اليومية .
وتسترت على الجريمة الوهمية !

حتى التخلص من هذه الأعباء وهم أيضا . لأنها أعباء لا تنتهى إلا كأننا
نريد أن نموت .. نأكل ونشرب كأننا موقى قبل أن نموت . كأننا نسهل مهمة
الموت بعد ذلك ؟

فما الذى أصاب الأشياء حولنا .. ما الذى أصاب القمر والشجر والثمر
والزهر والأعشاب والوجوه ؟ لا شىء أصاب شيئا ؟
ولإنما الأشياء هي التى أصابتنا « بطحنتنا » دوختنا .. فلم نعد قادرين على
تذوق شىء .

والشاعر صادق عندما قال :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
فلا تنهم قرأ ولا ثمراً .. ولكن اتهم العين المفتوحة ولا ترى . والفم المفتوح
ولا يتذوق .. والقلب الذى يدق في صحراء .. والعقل الذى يمسك سحابة
انظر إلى نفسك في المرآة وقل : اننى أتهم هذا الوجه !

فوق طاقة أى مدرس

عشرات الألوف من المواطنين يعملون أشق وأقسى مهنة في العالم :
التدريس .

وقد جربت التدريس عندما كنت أحاضر في الفلسفة وفي تاريخ الحضارة
بكلية الآداب . لا أقول انى كنت أشكو من هذه المهنة . فقد كانت المحاضرات
قليلة . ولم يكن عدد الطلبة كثيرا وكنت هاويا أعلم أنى سوف أترك هذه المهنة
بعد قليل . فلم تكن مهنتى الوحيدة . بل أنى كنت أوزع ساعاتى بين الدراسة
والصحافة . كنت أضع قدما هنا وقدا هناك وعينا هنا والأخرى هناك . ولكى
كنت أضع المهنتين فى قلبى - وجع قلب ؟ وعندما تركت التدريس فى
الجامعة . كنت أحس أنى أترك العمل فى كلية لأتفرغ للتدريس فى جامعة
الصحافة أى الى تضم مئات من الألوف من القراء .

وكثيرا ما وصف الأنبياء بأهم معلمون .. ووصف الزعماء بأهم أساتذة
الشعوب .. وكما يحدث للأنبياء يحدث للمعلمين أيضا .. فكما أن كل نبي فى
وطنه مهان . كذلك كل مدرس فى مدرسته وفى كليته مهان أيضا .. وهوان
المدرسين هو الإرهاق المستمر .. والتعب الذى لا ينتهى بالخروج من المدرسة أو
من الكلية .. وانما يستأنف المدرس عمله فى البيت فى القراءة والتصحيح ..

وعليه بعد ذلك أن يكون زوجا وأباً أو ابناً باراً بوالديه .. أو يكون مواطناً عادياً من حقه أن يأكل ويشرب ويلبس .. ويستريح من التعب .. ليصبح قادراً على استئناف العمل . وكما يعمل المدرس كرئيس الطلبة الى البيت يحمل هموم البيت الى المدرسة ويظل طول عمره يحمل هموماً من هنا ومن هناك . ويظل طول عمره يمتص الخبر والطباشير .. ويمتصه الخبر والطباشير وأمام الطلبة الصغار لا يدرون أى عذاب يعانيه . وأى مصير ينتظره . أى عمل جليل يقوم به من أجل مستقبل هذه الأجيال !

ولا يوجد مدرس لا يتمنى أن يكون ظريفاً لطيفاً محبوباً يضحك طول النهار .. ولكنه لا يستطيع . لا يستطيع أن يضحك وهو يشرح نظرية علمية . لا يستطيع أن ينكت على قوانين الأجسام الطافية . ولا على حساب المثلثات . لا يستطيع مدرس أن يسكت على الإهمال والكذب والغش .. لا يستطيع مدرس أن ينسى أنه أب وأنه مشرع .. وأنه حامى الفضيلة والنظام .. ولا يستطيع أن يمنع نفسه من الثورة ضد الاستخفاف به وبقداسة العلم وبخطورة رسالته .. ولذلك كان المدرس قاسياً وكانت القسوة مكروهة من الطالب الذى يرى فى المدرس صورة من أبيه ويرى فى أبيه صدى للمدرس .. ويرى المدرسة امتداداً للبيت ويرى البيت انكماشاً للمدرسة !

ولا يستطيع المدرس أن يحقق كل شئ .. وإن كان يتمنى . ونحن من ورائه نتمنى .. ولذلك يجب أن يعاونه الأب والصحف والاذاعة والتلفزيون فى تربية الجيل الجديد .. وإن شاركوا المدرس فى التوجيه والتخويف والضبط والربط .. لقد ارتضى المدرس - مئات الألوف - أن يقوم بدور الإنسان الخفيف الكريه . وهى تضحية كبرى من أجل العلم والأخلاق والوطن !

الأيدي الفارغة مليئة بالدم

ظهر شيء من العنف في سلوك بعض الشبان .. فاعتدى شاب على مهندس ..

واعتدى شبان على عروس .. واعتدى شاب على زوجة أبيه ..
وكلها ألوان من العنف الجنسي ؟

وفي الشوارع يعاكس الشبان الفتيات بصورة مؤلمة .. فقد شاهدت شابا يشد شعر فتاة . ثم يقرصها .. الخ .. وسمعت عن قصة أختين كانتا تمشيان في شوارع مصر الجديدة فهجم عليهما أحد الشبان .. وامتدت يده إلى الصغرى : إلى شعرها وصدرها .. وقاومت . وحاولت الأخت الكبرى أن تمنعه فضربها وساعده في ذلك زميل له .. وفي الشارع وعلى مشهد من الناس هرب الشبان وتهامس الناس وتغامزوا وبكت الأختان .. وعادت حركة المرور في الشارع إلى ماكانت عليه ..

أما المعاكسة والمتابعة والمطاردة ثم الرصاص الذي يطلق من أفواه الشبان فهذا في كل مكان . وليس من الضروري أن تكون الفتاة أو السيدة تمشي وحدها .. وإنما من الممكن أن يكون معها زوجها أو أخوها .. أو الاثنان معا . قد سمعت من صديق أنه كان يمشي في شارع سليمان مع زوجته وابنته في طريقهم

إلى السينما .. وفوجئ الجميع بشاب يقول مالا يقال ويصف ويتمنى ويحلم بأن السيدة التى يراها بين أحضانہ .. وان .. وان .. واندھش الصديق . واقترب من الشاب ليوقفه .. أو ليسكته وفعلا وقف الشاب ولكن متحفزا ومعه ثلاثة أربعة خمسة آخرون وليس على مرأى من الجميع رجل بوليس واحد .

أما فى المواصلات فقصة أخرى .. أو مأساة أخرى يفرضها ضيق المكان واقتراب الأجسام فى الزحام والخوف من الفضيحة : أسوأ أنواع الاستغلال والجنون !

وفى بلاد العالم كلها أنواع من العنف ..

ولكن فى بلاد العالم أيضا أساليب مختلفة لامتناع هذا العنف المكبوت عند الشباب . فليست المشكلة هى مشكلة العيون الفارغة لأن العيون ستبقى فارغة . وآخر شيء يقفله الإنسان عند الموت عيناه .. فهو فارغ العين حتى الموت !

ولكنها مشكلة الأيدي الفارغة .. الأيدي التى لا تمسك فأسا ولا قلما ولا مسطرة ولا حفنة من تراب فى طريق عام أو صحراء .. إن هذه العيوب والأيدي الفارغة ليس لها إلا علاج واحد :

الحياة الاجتماعية كلها !

لا داعى لهذه الساعة

اقترحت مند وقت طويل أن نتزع عقرب الثواني من ساعتنا لاننا لسنا دقيقين إلى هذه الدرجة .. واقترحت بعد ذلك أن نتزع عقرب الدقائق أيضا .. فنحن لا نعرف الا الساعات .. بل اننا لا نعرف الساعة الواحدة .. وفي حياتنا العادية نقول مثلا : سوف انتظرك ساعتين أو ثلاثا .. ونقول : أرجوك أن تمر على في السابعة أو في الثامنة فسوف تجلنى في الساعة التاسعة وسوف أنتظرك حتى العاشرة والربع ..

والذى يفكر في مثل هذه العبارات وغيرها يجد أن الزمن لا معنى له عندنا .. كأننا لا نشعر به .. فنحن أحفاد هؤلاء الفراعنة الذين لا يحسبون أعمار آثارهم بالسنين ولكن بعشرات القرون

وقد حدث أن اتفق ثلاثة من الاصدقاء على أن نلتقى .. واخبرنا الساعة الواحدة .. أحدنا يمر على صديق في مكتبه .. ثم يأتى الى حيث نجلس في نصف ساعة على الأقل .. وفي الساعة الواحدة لم يحضر أحد .. وظللنا جالسين حتى الثانية .. ثم مضنا .. والتقينا في اليوم التالى .. ودار الحديث كالعادة .. وانصرفنا .

والذى ادهشى أن أحدا منا لم يسأل الصديق لماذا لم يحضر في مواعده ولا هو

اعتذر . ولا نحن سألناه .. ومعنى ذلك أننا اتفقنا على موعد . ونحن غير جادين
فى الاتفاق .. وغير مقتنعين بمحرصه على الموعد . أو حرصنا على الموعد .. ومن
الغريب أننا كل يوم نتفق .. وكل يوم لا أحد يحى فى مواعده .. ويبدو أن
ضرورة الاتفاق على شىء ما : مجرد عادة . عدم إحزام هذا الاتفاق عادة
أيضا .. وعدم مناقشة احترام الاتفاق عادة ثالثة .. فلماذا يحمل الناس ساعات
فى أيديهم ؟ إنها شىء للزينة .. أو أنها مبرر لأن نسخر من أى انسان ينى بوعده
فيجى فى مواعده !

ولذلك أعود فأقترح نزع عقرب الساعات أيضا .. أما الساعة نفسها فأقترح
أن تبنى فى مكانها لاننا اعتدنا أن نراها هناك !



سلاسل من نوع آخر..

رأيت في مدينة صنعاء باليمن منظرا عجيبا .. رأيت أحد رجال المرور يقف في مفترق الطرق ويشير بيديه إلى السيارات أن تتحرك : وأن تتوقف كأى عسكري مرور .. ولكنى لاحظت أن السلاسل في قدميه .. ولما سألت قيل إن هذا العسكري سجين ، وأنه محكوم عليه بالسجن مع الأشغال .. فهو سجين وفي نفس الوقت يشتغل ..

وأعتقد أن هذا هو أفسى أنواع السجون .. فهو سجين أمام كل الناس ، مربوط بالسلاسل ، مفضوح ، عبرة لكل الناس ، وهو في نفس الوقت يؤدي عملا نافعا ..

وهناك كثير من الأعمال النافعة في الدنيا .. في السجن وخارج السجن ولكن الذى لا أنساه هو هذه السلاسل في قدميه .. إنه منظر بشع . فقط لأننا نراها ، ولكن الحقيقة أنه لا يوجد عمل ليست به سلاسل من حديد ، أو سلاسل من نار . أى عمل .. مثلا عمال المناجم .. عمال رصف الطرق .. الطيارون .. البحارة .. كل عمل به قيود . وله أصول ، وله أعباء ثقيلة .. أثقل وأفسى من صناعة الكتابة !

ولكن هذه الأعباء ليست منظورة كالسلاسل ، ولكنها أقوى وأفسى من

السلاسل ، بل إن الإنسان إذا جلس في مكانه دون أن يعمل شيئاً ، فإنه مشدود بسلاسل الجاذبية الأرضية سلاسل الجاذبية عنيفة إذا حاول الارتفاع عن الأرض شبراً أو متراً أو مائة ميل . ولذلك كانت الصواريخ التي تحمل الأقمار الصناعية أعلى من العمارات لأنها في حاجة إلى قوة ترفعها عن الأرض وتخلصها من سلاسل الجاذبية الأرضية .

وكما تعب الإنسان أحس بهذه السلاسل أكثر . وأصبح من الضروري أن يبحث عن طريق للخلاص منها . ولذلك يذهب الناس إلى الشاطئ مرة كل سنة أى بعد رحلة من التعب تستغرق عشرة أشهر أو أحد عشر شهراً .. وهناك على الشاطئ تجرى محاولة جديدة ، وهى تحويل سلاسل الحديد إلى سلاسل من طين أو عجين .. ثم نذيتها في الماء ..

وقد يمضى الإنسان الصيف كله وهو يحول الحديد إلى عجين .. وقد ينجح أو لا ينجح . فإذا نجح ، كان كالصاروخ الذى أفلت من الجاذبية الأرضية ، وراح يدور في منطقة انعدام الوزن .. أو التعب ..

وأكثر المصيفين مثل رواد الفضاء يقطعون رحلة طويلة وشاقة جداً من أجل لحظات على سطح القمر ، ثم يعودون إلى الأرض .. إلى الحياة العادية بكل ما فيها من سلاسل من حديد ومن حجر .. ويظلون يدورون حول أنفسهم كعسكري المرور حتى بداية الصيف الجديد ..

هذا شىء لا معقول

اخطأت في الحساب ..

ولست هذه أول مرة .. لقد أخطأت كثيرا .. ومن الغريب أن كل هذه
الاطعاه سببها أنى اعتمدت على المنطق والعقل .. منطقى أنا وعقلى أنا .. فقد
شجعت أحد الأصدقاء على أن يشترى سيارة فيات قديمة . وتردد هو ولكى
دفعته . وكانت حجى أن صاحب السيارة يعمل سائقا لأحد سفراء إيطاليا
ومعنى ذلك أنه لا يركب سيارته هو الا قليلا . فهذه السيارة إذن لا تتحرك الا
نادرا . وربما يوم الأحد من كل أسبوع .

ولما كانت السيارة ايطالية والسائق ايطاليا فهو يعرف عيوبها ومزاياها أكثر
من غيره . واذا ظهر فى السيارة أى خلل فهو قادر على أن يصلحه . ولا بد أنه
يستفيد من المزايا الدبلوماسية فى الحصول على قطع الغيار وفى اصلاح السيارة ..

ثم إن مظهر السيارة نفسه جميل .. وعداد السيارة يدل على أنها مشت .
حوالى خمسين ألف كيلو فى أربع سنوات .. أى بمعدل ألف كيلو فى الشهر وفى
شوارع مرصوفة ..

ثم ان الرجل نفسه طيب جدا لدرجة أنه يقبل المساومات .. وقد قبلها .

ونزل سعر البيع أكثر من مرة والرجل راض تمام الرضا؟

وكل هذا يؤكد أنى على خطأ عميق .

فسائق السفير ليس صاحبها . وإنما هى سيارة السفير نفسه . وهو يتركها
لزوجته وثلاثة من أبنائه الشبان .

ثم ان عداد السيارة نفسه قد تغير أكثر من مرة .. وعلى ذلك فهذه السيارة
قد سارت أضعاف ما يشير اليها العداد .. أما أن السائق رجل طيب ومتساهل
فلانه يعلم كل هذه الحقائق .. ويعلم أن هذه السيارة أسوأ بكثير جداً مما تصور
الشارى .

ولذلك لا يكفي أن اعتذر لصاحبي عن هذه السيارة .. ولكن اعتذر للذين
يثقون بالمنطق وبالعقل .. وليس كالعقل مغفلاً وكالمنطق مضللاً !



إنه اختلاف فى الرأى

شاركت فى الاحتفال بعيد ميلاد طه حسين الثمانين فى إذاعة الشعب . وقال
لى المذيع : إن الدكتور طه حسين سأل عنك .. وقال إنه يتوقع أن تشتمه !
وتضايقت جداً . من هذا التوقع المؤلم من أستاذنا العظيم طه حسين ..
وجاءنى مذيع آخر يطلب منى أن أذيع كلمة عن «الأيام» لطه حسين التى
كانت تذاع كل يوم . وقلت كلمة حق فى هذا العمل الفنى الجميل . وفاجأنى
المذيع - هو أيضاً - بقوله ولكنك قلت عبارات منصفة ، إن الدكتور طه حسين
لم يكن يتوقع ذلك !

وعندما اقترح يوسف السباعى أن نذهب معا لتهنئة طه حسين بعيد ميلاده
وافقت واتجهنا إليه معا .. وكان طه حسين جالساً فى مقعده هادئاً .. ومددنا
أيدينا وصافحنا وهنأنا .. وبصوته الجميل رد التهنئة . ولم ألحظ شيئاً على وجهه
أو على صوته ولم أجد فى يده تردداً . أو رفضاً . وقد بدأنا الحديث معا .. وكان
الحديث خيطاً مقطوعاً .. أو كالمقطوع وحاول كل منا أن يربط طرفى
الحديث .. أو يعقده . وأحسست أننى «مقص» الجلسة . وأننى الذى قطعت
الحديث بمجرد دخولى . ولكن طه حسين كان أسبق منى فقال : لم أكن أتوقع
أن أراك . ومادمت قد جئت فأنا أشكرك . وسعيد بك . فأنت خاضعتنى منذ
قلت عن كتاب «عبقريه عمر» للعقاد أنها غير مفهومة !

وأنقذنى طه حسين من الصمت والحرج .. وأحسست أن خيط الحديث قد اتصلت أطرافه . وأن هذا الخيط من الاتساع والمثانة بحيث أستطيع أن أقف عليه وأقطع المسافة التى بينى وبينه . فقلت فى ثقة من يقف على كوبرى مثل كوبرى الجامعة : يا سيدى العزيز لئنى اختلفت معك فى رأى .. اختلفت معك ولم أختلف عليك - إنه مجرد رأى .

ولكن طه حسين العميد العنيد قد واجه هذا الإصرار من جانبي بإصرار أشد من جانبه هو فقال : إننى أصر على أننى كنت أفهم عمر قبل أن أقرأ ما كتب العقاد . فلما قرأت العقاد لم أفهم عمر !

وطه حسين أستاذنا قديما وحديثا . وهذا هو درس من دروس التمسك بالرأى والإصرار عليه . وانتهزت هذه الفرصة لأؤكد له أيضا أننى تلميذه . بل تلميذ تلامذته . وتمسكت برأى . ولم أضح بهذا الرأى أو هذا الموقف من أجل المناسبة السعيدة : عيد ميلاده الثمانين !

وفى آخر لحظة من الجلسة الممتعة مع طه حسين مددت يدي إلى الرجل أبحث فيها عن كلمة وداع واعتذار فى نفس الوقت . وكان طه حسين أسرع وأبرع . قلت له : سأراك إن شاء الله فى العام القادم فى صحة وراحة بال ! وقال طه حسين بل يسعدنى أن أراك قبل ذلك بكثير !

وأحسست أن خيط الكلام قد تحول إلى شريان تجرى فيه دماء جديدة وروح جديدة . إن طه حسين إذا كان يتمسك برأيه فهو لا يتخلى عن صاحب الرأى الذى يخالفه . أو كما قال شوقي الذى لا يحبه طه حسين : اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية !

لست وحدك بل كل الناس

أعجبتني هذه القصة للرسام الاعمى جيمس ثربر ..

يقال : ان احد العلماء ذهب الى السويد يدرس حياة الفئران لانه يعتقد ان الفئران هي التي سوف تراث الانسان على الارض . وان الفئران كانت ضمن الحيوانات التي ركبت سفينة نوح . وانه لم يكن في حسابه أن يضعها في السفينة . وإنما هي التي قفزت الى السفينة وقررت أن تذهب الى حيث الانسان . أما هذا القرار الذي اتخذته الفئران فليس سببه معروفا بوضوح الآن .

وجلس العالم الكبير على إحدى الصخور وفوجئ بأن أحد الفئران قد اقترب منه .. وان الفأر يتكلم فاندesh العالم ودار بينهما مثل هذا الحوار :

العالم : وأنت أيضا تتكلم ؟

الفأر : هذا جهل منكم أيضا . فأنتم تظنون أن الانسان هو الحيوان الوحيد الذي ينطق .

العالم : معك حق . فقد كنت أظن ذلك

الفأر : أنا أعلم أنك تظن ذلك . وهذا واضح من دهشتك لرؤيتي . أقصد لسماعى .. فأنت لم تندesh لرؤيتي ..

العالم : أنا لم أندعش لرؤيتك . لأننى تخصصت فى دراسة الفئران . وأنا أعرف آباءك وأجدادك .

الفأر : فإذا وجدت فى تاريخ أجدادى ؟

العالم : إن الفئران أحسن حالا من الانسان .

الفأر : الانسان حيوان « سافل » هذا إذا أردنا أن ندرج الصفات التى تبدأ بحرف السين .. فهو سافل .. سارق .. سفاح ..

العالم : معك حق ..

الفأر : أما إذا أردنا أن نسجل الصفات التى تبدأ بحرف الميم : منحط .. منافق .. مصاص دماء ..

العالم : أنت إذن تعرف الانسان جيدا ..

الفأر : لقد امضيت عمري كله أدرس الانسان وأتابعه من مكان إلى مكان ومن طعام إلى طعام .. وعرفت من أجدادى أن بعض الذين ركبوا السفينة مع نوح كان فى نيتهم أن يلقوا بأجدادى فى الماء .. ولكنهم نسوا .. فقط نسوا ..

العالم : انت ذكرتني بشئ هام .. أريد أن أعرفه منك . فأنا درست حياة الفئران . وعرفت متاعبها ومشاكلها . وكيف تنمو . وكيف تحب . وكيف تكره .

الفأر : بمناسبة الحب والكراهية أريد أن أعرف ..

العالم : لا تقاطعنى حتى أكمل كلامى ..

الفأر : اننى فقط لا أريد أن أنسى هذا الموضوع الهام ..

العالم : لا تقاطعني ..

الفأر : أنا لا أقاطعك .. وإنما أردت أن أثبك حتى ترفع رجلك اليسرى
التي كادت تسحق إحدى الحنافيس وأنت منهمك في الكلام عن أجدادي ..
العالم : معك حق .. فقد كدت أقتلها فعلا .. والآن أريد أن أسألك عن
شيء لم أفهمه في حياة الفئران .. لماذا تنتحر الفئران بالملايين كل سنة .. فتلقى
بنفسها في المحيط .. لماذا ؟

الفأر : سؤال وجيه فعلا .. ولماذا لا تفعلون أنتم أيضا نفس الشيء .
ونهب العالم وألقى بنفسه في البحر ..

وصاح الفأر وراءه : لست أنت وحدك .. وإنما كل الجنس البشري !



هم سعداء فلماذا نحن !

احتفل الفرنسيون بمرور قرنين على ميلاد امبراطورهم نابليون .. فنابليون شخصية هامة فى تاريخ فرنسا وفى تاريخ أوروبا كلها .. وهو عبقرى فى الحرب والحب والسياسة ؟

وجاء أحفاده إلى القاهرة ، وهم سعداء بذلك . ومعهم حق .. ولكننا لا يمكن أن نكون سعداء بهم أو بجدتهم العظيم . فهو رجل جاء إلى بلادنا وداس مساجدها بأحذيته وأرجل خيوله . جاء غازيا ، محتلا مستعمرا . فاتحنا الطريق إلى الهند ليقضى على نفوذ بريطانيا فى الشرق الأوسط والأقصى .. ونحن لا تهمننا حربه مع بريطانيا ، ولكن يهمننا أنه من أجل القضاء على بريطانيا احتل أرضنا وناسها !

وقال أحفاده إنه كان يحب مصر . ونحن أيضا نحب مصر .. هو يحبها محتلة ، ونحن نحبها مستقلة .. ونابليون كان يحب الهند . ونحن أيضا .. نحن نحبها مستقلة . وهو يحبها محتلة .

وحقى الفرنسيون ليست عندهم أسباب كثيرة لحب نابليون .. فهو عظيم ولكنه فى نفس الوقت شرير .. فنابليون إيطالى وليس فرنسيا . ولم يكن فرنسيا ولا محبا لفرنسا ، بل إنه كان يحتقر الفرنسيين .. هناك حوادث واعترافات واضحة تدل على ذلك .

ثم إن نابليون هذا الرجل طاغية ومستبد . وكانت القوة هي مبدؤة الوحيد ولم يكن عنده أى مبدأ أخلاقى أو دىى . بل كان سافلا ومنحلا . وعلاقاته النسائية والاجتماعية والعائلية أكبر دليل على ذلك . وفى التاريخ مئات القصص والمآسى الفاضحة الدامية التى تؤكد انحطاط نابليون ..

وكان نابليون يحب الفلوس أكثر من أى شئ آخر . وعلى الرغم من سلطاته الهائلة فقد كان يطلب الفلوس من العشيقات ويطلب الهدايا الفخمة من رجاله . وكان يطالب اخوته الملوك والامراء بمزيد من الفلوس !

ولم يكن نابليون يهتم الا بالانتصار على خصومه واعدائه . وتوسيع حدود فرنسا . وتوسيع همومها وكوارثها .. وكان نابليون متغطرساً مغروراً . وقد اعترف وهو فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة أنه نبيل وأسرته كلها نبلاء . ويجب أن يعاملهم الناس على أنهم أرقى من الملوك البلهاء الذين حكموا فرنسا ! لقد قابلت سعادة أحفاد نابليون بزيارة مصر بسعادة أخرى : انهم ذهبوا . وأنه هو أيضا قد ذهب . وسوف يذهب كل من يحتل أرض مصر ويدل شعبها !



لا تعودوا هذا قدرنا ..

كان في نبي أن أكتب مقالا طويلا أجعل عنوانه : عد الى والدك وإخوتك إنهم في غابة الحزن على فراقك . عد فقد تحققت مطالبك !

وكننت سأتوجه بهذا النداء إلى كل من الاستاذين الدكتور عبد الرحمن بدوى الموجود في جامعة ليبيا .. والدكتور زكى نجيب محمود الموجود في جامعة الكويت .. وكلاهما فيلسوف له تلامذة محبون .

وقسم الفلسفة في آداب عين شمس من غير الدكتور بدوى ينقصه الكثير : الشخصية والاستاذ والعالم الواسع الأفق . والاثارة الفكرية . ومصباح علاء الدين وخاتم سليمان . فالدكتور بدوى هو أستاذ أكثر الذين يكتبون في الأدب والفلسفة في الصحف والمجلات المصرية والعربية أيضا . وهو أول من هز أركاننا وأشعل فيها النار وأطلقنا على اليمين واليسار على الوجود والماركسية .. وشجعنا أن نتمرد عليه أيضا . ولكننا نحترمه أشد الاحترام في جميع الأحوال ! .

والدكتور زكى نجيب محمود قد ترك وراءه فراغا من العقل وفي العقل ومن الوضوح والقدرة على الرؤية وسحب معه أجهزة إزالة الضباب في طرق الفكر . وجرد قسم الفلسفة وتلامذته من شجاعة المناقشة . وغريزة الرفض . وأخذ معه صورة سقراط الذى يسأل ويتساءل ويناقش ويهز الرءوس ، كما تفعل في

الساعات السويسرية فتمتليء بمجرد الاهتزاز ..

إن الأستاذين خسارة فادحة على المشتغلين بالفلسفة في مصر .. وهما في نفس الوقت مكسب عظيم لزملائنا في ليبيا والكويت .. ولو كنت طالبا للفلسفة لذهبت إلى حيث يوجد هذان الرجلان . ولو كنت أستطيع لجمعتهم في مكان واحد . وأنرت بهما الفكر ومناهج البحث ..

ولكنه قدرنا جميعا . فن المقدر المختوم علينا - نحن المصريين - أننا أحسن ولا أستطيع أن أعدهما بأكثر مما ينعمان به من احترام العربية - ٨٠ في المائة من المعارين إلى الخارج مدرسون ! ومن الأنانية والظلم أيضا أن أطلب عودة هذين الرجلين ، دون وعد بشيء أحسن ولا أستطيع أن أعدهما بأكثر مما ينعمان به من احترام وتكريم .. وما ننعم به نحن أيضا من الفخر والزهو .. فهما ليسا إلا اثنين فقط من أعز ثرواتنا الفكرية !

كيف نعرف لغتنا

اللغة العربية مشكلة عندنا !

لا لأننا اكتشفناها أخيراً ، ولكن لأننا اكتشفنا أننا لا نتحدثها .. ولا نحن مشغولون بذلك .. وواضح جداً أننا نستخف بتدريسها والتكلم بها ..

وإذا كانت لغة الصحف لم تعد لغة عربية فصحي ، فإنها على كل حال لغة عربية سهلة تجمع بين العامية والفصحى .. أو هي لغة الكلام بين المتعلمين أو المثقفين .. وهي قادرة على نقل المعنى المطلوب في أضيق مساحة ، وأقصر وقت ، وأرخص ثمن ..

وقد اكتشفنا أننا لا نتكلم اللغة الفصحى ، ولا نحسن نطق حروفها ولا نطق كلماتها أيضاً ، وبعضنا يتباهى بأنه لا يعرف اللغة العربية ، وإن كان يجيد الفرنسية أو الانجليزية ، في حين أن الفرنسيين والانجليز لا يتباهون بجهلهم بلغتهم أو حتى باللغات الأخرى !

والصحف مليئة بالأخطاء النحوية والاملائية ، والأخطاء المطبعية التي يظن بعض الناس بحسن نية أنها مقصودة !

وهذا عيب في الصحف ، ولا شك وفي الاذاعة - وهي أكثر انتشاراً من

الصحف - اخطاء لغوية ونحوية .. ولا بد أن تكون هناك اخطاء إملائية أو مطبعية أيضا .. والا فكيف نجد أن الذين يقرأون من ورقة أمام الميكروفون يحطون في نطق الكلمات العربية والاجنبية . وفي كثير من البرامج الثقافية والمتخصصة كلام باللغة العامية . وبعض العاميين من الاذاعيين يتصورون انهم إذا تحدثوا الى الشعب فن الشعبية أن يتكلموا بالعامية .. مع أن اللغة العربية السهلة هي الأقرب الى فهم الجميع . ثم ان في هذا الاسلوب سوء ظن وسوء نية أيضا .. لأن معناه ان الشعب لا يفهم حتى اللغة العربية السهلة ..

فما العمل ؟

يجب أن نتمسك باللغة العربية السهلة : بتدريسها وممارستها . وعلى الذين يتحدثون في الاذاعة . والتلفزيون أن يحرصوا على اللغة العربية .. لان اللغة العامية هي أحد عوامل التفرقة بين العرب .. فاللغة العربية واحدة . واللهجات العامية بالعشرات .. فإذا أردنا الوحدة . فاللغة إحدى الوسائل .. وإذا أردنا إذابة الفوارق بين الناس أو بين الطبقات . فاللغة هي أصدق وأجمل الوسائل أيضا ..

والادباء أول من يفعل ذلك - أو من الواجب أن يفعلوا ذلك .. فهم نماذج . أو من الواجب أن يكونوا كذلك .. ويجب ألا ينجعل إنسان من أنه يتكلم العربية أو يدعو إليها . وإنما الذي ينجعل هو الذي يتعالى على هذه التجربة النبيلة وعلى الناس .

لا عاقل .. طول الوقت

يقال إن الحاكم الاغريقي سولون كان حكيماً أيضاً . وكان قادراً على التحكم في أعصابه .. وكان يقال لو شبت النار في ملبسه فانه يفكر أولاً من أين جاءت النار . ولماذا .. وإذا فكر أن يتزع ملبسه فانه يتلفت وراءه ليرى إن كان هناك أحد من المارة .. كل ذلك قبل أن يحاول إطفاء النار .

ولكن الانسان لا يكون عاقلاً في كل وقت .. مهما كان عقله ومهما كانت حكمته ..

ولذلك يقال أيضاً إن سولون هذا سمع سيدة تقول : انه يضرب زوجته ولما رآته هربت . فطاردها - دون تفكير . ودخل وراءها البيت دون تفكير . وفوجئ بعدد من خصومه . وتوجه اليها بالكلام دون أن يفسر لخصومه كيف دخل البيت وكيف استباح لنفسه ذلك . وقال سولون إنني لا أضرب زوجي .. ولكن لو كنت زوجي لضربتك ؟

انه لم يتحمل هذه الإهانة من هذه المرأة . فلم يمك نفسه عن الغضب ولا تروى . وإنما الغضب حول عقله إلى عصفور . والعصفور طار .

ويقال إن سولون هذا ذهب لمقابلة الفيلسوف اليوناني طاليس . وسأله

سولون : يا أخى ولماذا لم تتزوج وتتجب أطفالا لعلهم يكونون فلاسفة مثلك ..

ولكن الفيلسوف أخى رأسه ولم يرد ..

وفى الليل جاء رجل من أثينا .. وسأله سولون عن أخبار أثينا فقال الرجل :
لا شيء .. لقد اشتركت فى تشييع جنازة شاب يقال إنه ابن أحد الحكام ..

وقال سولون : ألا تعرف اسم هذا الشاب ؟

- لا . لا أعرف .

- ولا اسم أبيه ؟

- لا أعرف ..

فقال سولون : حاول .. هل أبوه اسمه سولون ؟

وأجاب الرجل .. نعم .. اسمه سولون .

وقام الفيلسوف طاليس يخفف من وقع الخبر ويقول له : ليس صحيحاً فأنا
الذى طلبت إليه أن يقول ذلك ..

وسأله سولون : ولماذا ؟

ورد الفيلسوف : إنما أردت أن أقول لك اننى لا أحب أن يكون لى أولاد
أحزن على فراقهم .. وأموت لموتهم ؟

فليس كل إنسان سولون .. ولا كل سولون عاقلا .. فى كل الظروف ا

كلمة لكل الناس

انعقد في لندن المؤتمر الدولي السادس لأطباء القلب الذى يضم ثلاثة آلاف طبيب من أربع وسبعين دولة . تضاعف هذا المؤتمر الكبير أمام شبح أكبر اسمه ، الموت بالسكتة القلبية : إحدى ظواهر العصر الحديث . وليس كل الموتى من الشيوخ ، وإنما معظمهم من الشباب .. وهذا المرض ؟ رجلى فقط . فالنساء لا يمتن لا بالقلب ولا بالسكتة القلبية – لماذا ؟ إنها رحمة الله أن يموت الرجل بالقلب وتموت المرأة بالعقل !

وأنا أنتهز هذه الفرصة لأخفى رأسى احتراماً لكلمة الافتتاح التى ألقاها رئيس المؤتمر الدكتور جون ماك مايكل . هذه الكلمة وجهها للأطباء وأنا دون إذن قد أوجهها لكل من يؤدى عملاً جاداً . ويعز عليه أن يعمل فى صمت ، فى الظلام . أن التافهين وحدهم هم الذين يعيشون ويموتون فى نور كاميرات الصحف والسينما ويكندسون الألوف فى الحفاء ! . فليس أشهر الأطباء أحسن الأطباء . وإنما هناك علماء آمنوا برسالة العلم ، فانطوا على أبحاثهم وعلى أنفسهم وعلى فقرهم ، يبحثون عن الحقيقة .

والحقيقة والفلس والشهرة لا تلتقى إلا نادراً !

يقول الدكتور ماك مايكل : الطب ، يأسادة ، لا يزدهر إلا فى جو

جامعى . لأن البحث العلمى يجب أن يكون متواصلا . مستمراً لا تقطعه
زحمة الناس أو أضواء الشهرة . ولا يمكن أن يحقق الطب أية معجزة علاجية
الا بعد دراسات صابرة مثابرة . والطب ليس له مكان واحد . فلا علاقة
للعبقريّة العلمية بالجغرافيا . وإنما البحث العلمى ينمو ويضئ فى ظل كبار
الباحثين والعباقة فأياها يوجد عبقرى تدور حوله الكواكب الصابرة من
الباحثين . وهناك عباقة فى الظل . فى كل مكان .. لقد انتهى زمن الاطباء
الهاوة . وسوف يبنى دائما زمن العلماء الباحثين المثقفين . نحن الآن نعيش فى
عصر الزمالة العلمية . عصر المشاركة فى البحث . عصر الرهبان والزهاد الذين
عكفوا على أجهزتهم فى معاملهم - فى هدوء وفى صمت .. هدوء البذور فى
التربة . وصمت الأشعة الكونية .. إن الشبان من الاطباء اليوم يرون أن علاج
الناس أنفع من هذه البحوث الطويلة التى لا تعود على الناس بفائدة مباشرة .
هذا رأى . ولكنه ليس سليما تماما فما تعلمه الاطباء ليس الا تطبيقا آخر لما
اهتدى اليه العلماء والباحثون .. والطب لا يكون شافيا الا اذا كان الطبيب
يفهم هذا الخلل الوظيفى فى جسم المريض .. وهذا الفهم يحنى اليه من العلماء
الباحثين .. ان هؤلاء الشبان مدفوعون بالرحمة والشفقة على المرضى .
وبالكسب أيضا . ولكن الرحمة ليست علاجاً وإنما العلاج قائم على العلاج قائم
على العلم والمعرفة !

انتهت كلمات رئيس مؤتمر أطباء القلب فى لندن . وكلماته تشخيص وعلاج .
انه يتحدث الى أطباء القلب . ولكنه فى الحقيقة يتحدث الى كل العلماء
وبالباثين .. انه يؤكد لهم انهم السادة فى الظلام .. انهم مصدر النور رغم أنهم
يعيشون بعيدا عن النور .. والأهم لا تتقدم إذا جلس كل أبنائها تحت المصابيح
فى الشوارع .. وإنما تتقدم لأن عدداً من أبنائها .

أخطاء

لكن لاشعورية

اعطى نفسه للعلم .. ولان عددا من أبنائها قد استشهد من أجل الحقيقة ..
ومن أجل أن يعيش الآخرون !

في سنة ١٩٥٤ كتبت مقالا جاء فيه : أن الثعبان من الطيور ! واتخذها
استاذنا العقاد نكتة في جلساته وفي أحاديثه التليفونية . ولا أعرف ما الذى
جعلنى أكتب ذلك . فمن المؤكد أننى أعرف أن الثعبان من الحيوانات الزاحفة
على بطنها : فلا جناحان ولا ساقان ولا يدان !

وفي سنة ١٩٥٦ - ودون شعور واضح - كتبت أن الثعبان من الحيوانات
مصاصة الدماء ونهى صديق كبير إلى هذه الغلطة . ولا أعرف أيضا ما الذى
جعلنى أقع فى هذه الغلطة . وربما كان الثعبان هو الحيوان الوحيد الذى يبتلع
فراشه دون أن يحتاج إلى بذل مجهود فى طحنها وتذويبها وإنما يترك ذلك كله
لعمليات كيميائية فى داخله !

ولم يفت الاستاذ العقاد أن يجعل من هذه الغلطة نكتة أيضا وأهدانى كتابا
عن الزواحف . وكتبا عن الثعابين - فى العالم ٢٧٠٠ نوع من الثعابين !
وبعدها بعشر سنوات وقعت فى غلطة تعتبر إهانة للثعابين . فقد نقلت عن
المستشار الهنساوى من كتابه عن « التباين » أن الثعبان حيوان نباتى ولذلك

طال عمره .. والثعبان ليس نباتيا . ولو كان العقاد حيا لأغرق الدنيا ضحكا على هذه الغلطة للمرة الثالثة . ولكن قارئاً موظفاً في حديقة حيوانات الحيزة قد نهني بعنف . واقترح أن يكون لى قفص في الحديقة إلى جواره - ومعه حق . فليست هذه هي الغلطة الأولى .

ورحت أقلب في مذكراتي الخاصة .. ووجدتني قد سجلت المناقشة التي دارت بيني وبين العقاد حول هذه الغلطة . ووجدت أنني رددت هذه الغلطة إلى مشاكل في طفولتي . وربما كان من بينها أنني نهضت من نومي وأنا صغير فوجدت ثعباناً قد تكوم تحت غطائي ، والثعبان قد حاء من الحديقة التي يطل عليها بيتنا .. وأعتقد أنني ظلمت بأحلم بالثعابين سنوات طويلة .. ولم أنخلص من هذه الأحلام إلا عندما ظهرت أحلام مفزعة أخرى !

وتذكرت أن والدي رحمه الله كان يطارد الثعابين .. وكانت عنده مقدرة غريبة على أن يلاحق الثعابين وبسرعة مذهلة يمسك الثعبان من ذيله ويطره في الهواء ثم يهوى به على الأرض ميتاً ، وفي إحدى المرات تناثر الدم على وجهي وملابسي - أما حالتي فكانت نوعاً من المرض القريب من الموت ! .

وعندما ذهبت إلى الهند أحسست وأنا في صالون أحد الحلاقين أن في السقف ثقباً ينفذ منه صاروخ من الهواء . ونظرت إلى أعلى لأرى : ولم يكن هذا الصاروخ إلا هواء صادراً من عنق ثعبان ضخم .. وهربت من المحل .. والحلاق يلاحقني بالفوطة والمقص .. والضحك !

بما كانت هذه حوادث تلخبط العقل .. وتجعله يقع في أهون المعلومات الثعبانية ربما ! .

للأبطال النار والنور

من المناسب أن نتذكر دائماً أسطورة أغريقية تتحدث عن أحد الأبطال الذى مد يده إلى الشمس وأخذ جزءاً من نارها ليعطيه لبني الإنسان .. هذا البطل اسمه بروميثيوس . ويبدو أن آلهة الاغريق كانوا قد قرروا أن الإنسان يجب أن يعيش فى الظلام والرطوبة . لأن الإنسان إذا عرف النار والنور أصبح عظيماً شاعراً . وأصبح قادراً على تحدى قوى الطبيعة .

ولذلك قرر الآلهة أن يعاقبوا هذا البطل . وآلهة الاغريق هم آلهة التعذيب وفنون التعذيب . واختاروا لهذا البطل أسلوباً فريداً من العذاب : وربطوه بالسلاسل إلى إحدى الصخور . وجاء نسر عظيم يأكل قلبه . وكلما اختفى فى أحشاء النسر ، نبت قلب جديد للبطل .. وتجدد عذابه إلى الأبد !

إن هذا البطل استحق العذاب الأبدى ، لأنه اختطف النور والنار للبشر . لأنه أراد أن يغير ما فى الناس أراد أن يجعل ليلهم مضيئاً كنهارهم وأن يجعل ليلهم دافئاً كنهارهم ولأنه أراد أن يخرجهم من الكهوف إلى مدن الحضارة .. وهذه النار أعطت للإنسان عمراً أطول . وحياة أنفع . وجعلته إنساناً يعيش فى البيوت لا فى الكهوف كالحیوانات .. ثم جعلت هذا الإنسان يتمرد على كل ما هو موروث . تقليدى . يتمرد فى الدرجة الأولى على أنه خلق فى الظلام

ويجب أن يبقى الظلام : الجهل والمرض والفقر والذل والهوان ..

فالنار جعلت الانسان أقوى وأكثر تمرداً على مصيره وقدره .. وجعلته يؤمن بأن قدره ليس أن يكون مظلوماً ولا أن يكون مريضاً ولا أن يكون فقيراً ولا أن يكون بلا رأى فى شئ . ولا متطلعا الى شئ ..

وقادة الشعوب وزعمائها المخلصون هم هؤلاء الأبطال الذين مدوا أيديهم الى النور والنار وأعطوها لشعوبهم . واختاروا العقاب والعذاب . اختاروا أن تشدهم الهموم الى صخور المسئولية وأن تجي الشعوب وتعيش من نور عيونهم . وعلى دقات قلوبهم . وتستندفى بوهج حياتهم .. وأن تطول أعمار الشعوب لأنها سحبت رصيда نادرا من أعمار أبطالها وزعمائها ..

ولو سئل هؤلاء الأبطال جميعا : اذا عدتم الى الحياة من جديد فهل تختارون نفس النهاية بكل ما فيها من عذاب وحرمان .. لأجابوا جميعاً : نعم : ولذلك فحياتهم عبرة وتضحياتهم مثل أعلى .



لم يمّت ولكنه انتحّر

ماذا يحدث لو ارتفعت بك الأرض .. وارتفعت حتى أصبحت على شكل هرم . وأنت في قمة الهرم .. القمة باردة .. وأنت وحدك .. وكل شيء حولك صغير ضئيل . ان أول شيء يفكر فيه الانسان هو أن يلقى بنفسه من فوق : أن يتنحّر في اللحظة التي لا يتصور أحد أنه سوف يفعل ذلك !

القائد الانجليزي الكبير نلسون فعل شيئا من ذلك . وهذا هو أحدث اكتشاف تاريخي . فيوم انتصر في معركة الطرف الاغر في ٢١ أكتوبر سنة ١٨٠٥ ، لم يمّت بسلام الفرنسيين ، وإنما ييده هو . لماذا !

انه لا ينسى أن احدى قارئات الكف قالت له : في الاربعين سوف تكون عظيما .. وسألها : وبعد الاربعين ؟ فأجابت .. لا شيء ؟

ويوم معركة الطرف الاغر ارتدى ملابسه العسكرية كاملة ، وحرص على النياشين والعلامات العسكرية . وراح يعلو ويهبط على مرأى من الفرنسيين في السفن القريبة منه . ونبه رجاله الى خطورة ذلك . والى أن الفرنسيين قد يتسلقون السفينة ويقتلونه . ولكنه أصر . وقبل أن يصعد الى ظهر سفينة أوصى بشئ هام : طلب من الشعب الانجليزي أن يهتم بعشيقته اللايدي هاملتون وبابنتها هوراشيا .

وكثيرا ما كان يتحدث عن الموت قبل ذلك .. فعندما أصيب في ذراعه في مصر صرخ : أصابوني .. أنا مت .. وعندما أصيب في عينه صرخ : قتلوني أنا مت ؟

وعندما أغرق هو الاسطول الفرنسى فى أبى فير سنة ١٧٩٨ وأغرق سفينة نابليون . نزل جنوده ونزعوا شراع سفينة نابليون واسمها « الشرق » ومزقوا الشراع وحملوا إلى نلسون قطعة من هذا الشراع كان يضعها دائما وراءه أثناء الطعام . هذه القطعة من الشراع هى التى لفوا فيها رماد جثة نلسون يوم جنازته ! فما الذى كان يحزن القائد العظيم ؟ .. يحزنه أنه بعد أن هزم الاسطول الفرنسى لن تكون هناك معارك بحرية .. سوف يعود إلى الشاطئ يتقاضى نصف مرتبه ، ويصبح عاجزا تماما عن الانفاق على نفسه وعلى عشيقته وابنته وعلى عدد كبير من أفراد أسرته . وليس عنده رصيد فى أى مكان . لقد اضطر أكثر من مرة إلى أن يبيع الهدايا الثمينة التى تلقاها بعد كل معركة ينتصر فيها .. أما إذا مات فى الحرب ، فسوف تتكفل الدولة بسداد ديونه ودفع معاشه لزوجته ومكافأة مالية كبيرة للذين ينفق عليهم - خصوصا عشيقته وابنته ولذلك عرض نلسون نفسه يوم المعركة الفاصلة فقتلوه .

وقرر البرلمان دفع ١٣٠ ألفا من الجنيهات للزوجة .. ولم يذهب مليم واحد للسيدة والفتاة التى مات من أجلهما أعظم قائد بحرى فى القرن التاسع عشر ! وإذا كان نلسون قد أغرق الأسطول الفرنسى ، فإن الشعب الانجليزى قد أغرق نلسون .. ومعه أعز أمانيه فى نفس الوقت !

ملعون

وابن ملعون !

الاب كيندى مات . وترك لابنه الوحيد ٥٠٠ مليون دولار . والابن الوحيد يملك ستين مليوناً من الدولارات .. عليك أن تجمع ما يملكه الآن الابن كيندى !

وأسرة كيندى منكوبة محسودة ملعونة . ونهاية اللامعين من أبنائها معروفة . ولا يستبعد أن يلقى هذا الكيندى الوحيد نفس نهاية أخويه . ولا بد أن الناس في أمريكا يفكرون في القضاء على هذا الشاب الثرى جدا . والذي ورث عطف الناس على أخيه الرئيس كيندى وأخيه السناتور كيندى .. وورث أموال أبيه .. ولا بد أن هناك أجهزة دعاية تستفيد من ورائه ومن العطف عليه . وسوف تقنعه بأن يكون رئيسا .. وقد ظهرت كراهية الناس لهذا الشاب عندما أغرق سكرتيرة أخيه في الماء .. ولكن ظهرت قوته عندما سككت الصحف والتلفزيون . وعندما هزوا الشعب الحزين على مصيره وطلبوا اليه أن يبق في موقعه من السياسة والاقتصاد .. واياه يعنى سكرتيرة انها فداؤك يا سناتور .. وفداء للملايينك ؟

ولا يمكن أن يكون هذا الملونير كيندى سعيداً . وإنما هو أكثر تعاسة من ملايين الامريكان . لأنه خائف من الملايين : ملايين الناس وملايين

الدولارات . فكل هذه الملايين عيون حاسدة . ومدافع مسددة ! .

وهو ضحية : كأنه سرق الملايين من الملايين ! .

ولا حل : فليس القاء الفلوس . في المحيط حلا .

ولا تبرعه بها للهيئات الدينية حلا . ولا اعتزاله للحياة السياسية حلا . انه ملعون ومحكوم عليه بعذاب الفقراء وتعاسة المجرمين !

اننى أتذكر القصة الجميلة التى كتبها الأديب الأمريكى جون شتاينك واسمها « اللؤلؤة » فقد عثر أحد الصيادين على لؤلؤة نادرة . ضخمة وسمع أهل القرية بذلك وحاولوا سرقتها . وحسدوه .. وحقدوا عليه . وذهب هو الى السوق لبييعها . ورآه الناس . وتهامسوا . تغامزوا . وابتعدوا عنه وقاطعوه . وهددوه . وعندما ذهب الى السوق رفض التجار أن يشتروها . لانها ضخمة ولأن أحدا لن يشتريها .. وحاول أن يبيعه بأى سعر . فرفض التجار . وسأله الناس ان كان قد باعها . فقال إنه لم يبيعها . وأدرك الناس أنه يكذب عليهم . وتوعدوا وهددوا . وفجأة تحول هذا الصياد المسكين الى عدو الشعب . لانه يملك أكثر مما يملكه الصيادون .. ولأنه لا يريد أن يساعدهم ولا أن يقرضهم .. ولانه انفصل عنهم وتعالى .. وأخيرا لم يجد الرجل سوى حل واحد . ذهب الى البحر وألقى اللؤلؤة . ألقى نفيسته المؤكدة .. وسعادته المحتملة .. وعاد الى بيته أكثر فقرا . وأكثر عذابا .. فقد اكتشف أن الناس أصبحوا اعداء . أو هم بالفعل أعداء ولكن كانت تنقصهم الفرصة ليظهروا له ذلك .

اذن ليس أمام كيندى الا أن يبقى عند أعلى المستويات .. انها لعنة الثراء والشهرة والشباب !

جان دارك ليست قديسة

أحد الاصدقاء الف كتابا عن «أولياء الله الصالحين» في مصر وفي البلاد العربية . انتهى إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء الموتى ليسوا أولياء طيبين صالحين - بعضهم لصوص وبعضهم أغنياء أقاموا لأنفسهم أضرحة وبعض هذه الأضرحة خالية من الموتى . ولكن الناس الطيبين في كل مكان يصدقون . وهذا التصديق يريحهم نفسياً ويخفف عليهم ويلاط هذه الحياة . وربما كان هذا هو السبب الوحيد في الاعتراض على صدور هذا الكتاب . لأن الناس الطيبين اذا كانوا يجدون الراحة عند زيارة الاضرحة فلا ضرر من هذه الزيارة . واذا نحن صدمنا الناس في مشاعرهم واقلقنا ايمانهم . فكيف نعوضهم عن ذلك .. فالانسان بطبعه مؤمن . ويرتجى الإيمان . فاذا شككنا الناس وهدمنا عليهم بيوتهم . فأين تقيم قلوب الناس !

إذن الحكمة تقضى بأن نترك الناس يبحثون عن الراحة البريئة ما دامت لا تضر أحداً !

ولكن يحدث بين الحين والحين أن يتحمس الكاتب أو المؤرخ الى المعرفة الحقيقية مهما كان الثمن الذى يدفعه من راحته . ولا بد أن يكون السبب الحقيقى هو أن بعض الناس يكرهون الوثنية . ويكرهون عبادة الاضرحة وأصحاب

الأضرحة .. والغيبيات والطلاسم .. واستغلال بعض الناس للناس في عصر العلم والنور . والانسان المفكر يرى من واجبه أن يقول الحق ولو على نفسه ! وقد صدرت كتب كثيرة متواضعة ومتوارية تحاول أن تطفى الأنوار الباهرة لعيون وعقول الناس . حاولت ولم تفلح .

من بين هذه المحاولات كتاب صدر في فرنسا للمؤرخ المعروف دى سرمواز يقول فيه ان بطلة التحرير الفرنسية جان دارك التى احرقت في ٣٠ مايو سنة ١٤٣١ وهى في التاسعة عشرة من عمرها ، لم تحرق .. وإنما أحرقت امرأة عجوز كانت تعمل بالسحر .. وحتى لا يشك أحد في دقة تنفيذ عملية الحرق مزقوا ثياب العجوز ليرى الناس ساقيا ويتأكدوا أن المحكوم عليها امرأة بعد أن أنحفوا وجهها تماما ، أما جان دارك نفسها فقد هربها القاضي ، لان جان دارك كانت الابنة غير الشرعية للملكة فرنسا من أخى زوجها . ويؤكد المؤرخ الفرنسى أن جان دارك ليست قديسة . وإنما فتاة ثارت وتولت أمها حمايتها وتهريبها وتزويجها بعد ذلك . وان كان الفاتيكان - ارضاء لفرنسا - قد نصبها قديسة يوم ١٦ مايو سنة ١٩٢٠ .

وهذا المؤرخ الفرنسى ينسى أن التاريخ الوطنى والدينى والعاطفى ملئ بالمناذج الباهرة . التى استراح الناس الى لمعانها وسموها ، دون أن يتساءلوا ان كانت صحيحة ..

فالقمر الذى دسناه بالاقدام ما يزال عاليا رائعا رغم ذلك !

حلم قديم .. حاكم وحكيم

إذا كان لك رأى فأنت تحاول أن تقنع به الآخرين . أى تحاول أن تنشره
لعله يكون رأيا عاما . وبعض الناس لا يتمسكون بأفكارهم وبعض الناس
يموتون من أجل أفكارهم .

ولكن ليس من الضروري أن يكون صاحب الرأى هو أحسن من يطبقه أو
ينشره على الناس . لان تطبيق الرأى يحتاج إلى مؤهلات من ضمنها : أن يكون
قادراً على اقناع الناس ومواجهتهم والرد على كل اعتراض ومواجهة كل مقاومة .
والنجاح الدائم بعد ذلك ..

والفيلسوف الاغريق افلاطون كان يدعو الى مجتمع تسوده العدالة والمساواة
المطلقة بين الناس . وقد اعطى احدى الجزر ليطبق فلسفته كما يجب . وحاول
وفشل . ومع ذلك بقيت فلسفته محترمة . وجاء هذا الفشل دليلا على أن
الفيلسوف ليس من السهل أن يصبح حاكما أو ملكا !

ولذلك اعتذر فيلسوف ايطاليا بندتو كروتشه عن أن يكون أول رئيس
جمهورية لاطاليا ..

واعترض العالم الكبير اينشتين أن يكون أول رئيس لاسرائيل .. ولكن افلح
آخرون في أن يكونوا الفيلسوف والملك في وقت واحد مثل لينين في روسيا

وماوتسى تونج فى الصين . فكلاهما حاكم مقتدر . وكلاهما فيلسوف خطير .
وقادر على أن يواجه كل الناس ويواجههم أيضا . وقد نجح لينين وماوتسى تونج
بيما فشل الفيلسوف العظيم كارل ماركس . فهو مفكر عميق . ولكنه ادارى
فاشل .. بل إنه عاجز عن أن يدير أبسط شئونه .. شئون بيته مثلا !

وفى نفس الوقت أيضا يحاول كل صاحب سلطة أن يكون الى جانب ذلك
صاحب رأى .. صاحب فن . وبذلك يجمع الى السلطة قدرة أخرى على
الفكر .. وقدرة على نشر فكرته بصورة أخرى . أى على أن يكون له وزن آخر .
ومنذ أقدم العصور والملك يحاول أن يكون فيلسوفاً أو أديباً أو فنانياً .
فتشرشل رئيس الوزراء أديب مؤرخ وديبلوماسى رئيس الجمهورية أديب ومفكر .
وكثير من الادباء وزراء فى كل الدنيا . وهذه المناصب الكبيرة تجعل للفكر أو
للفن وزناً خاصاً . وتضيف الى صاحبه مسئولية أدبية وخطراً اجتماعياً . ولكن
يظل دائماً من حق الانسان أن يتساءل : هل هذا الذى تقرأ لهم عمل أدبى أو
عمل ليس أديباً ولا فنياً ؟ .

والمهم دائماً أن يكون عملاً أديباً . ولا نهم أبدا الصفات الأخرى لصاحب
العمل الادبى .. ربما كانت هذه المناصب هى التى سهلت نشر العمل الادبى
على أوسع نطاق . ممكن . ولكن فى هذه الحالة يكون (كلاماً) منشوراً وليس
أدباً منتشرأ .

إنه الحلم القديم لكل الناس .. أن يكون الحاكم حكيماً وان يكون الحكيم
حاكماً !

على الندم نعيش ونموت

في مذكرات الفيلسوف الراحل برتراند راسل يقول : ندمت على أشياء كثيرة في حياتي . وندمت على أنني لم أسأل كثيراً

مع أن الفيلسوف كان كثير التساؤل لدرجة أن مربيته كانت تقفل فيه بالقوة . وكان يغيظها بأن يتظاهر بالنوم ويحلم بصوت مرتفع . وفي نومه يسأل نفس الاسئلة !

أما الشيء الذي ندم عليه حقيقة فهو أنه رأى سيدة تضرب زوجها بالقلم . وانزعج . وتمنى أن يمد يده ويضرب الزوج قلماً آخر . لان الرجل الذي يقبل أن تصفحه سيدة مرة واحدة ولا يتحرك يستحق أن تمتد اليه الأيدي .. كل الايدي !

ولم يشأ الفيلسوف أن يسأل إن كان هذا الرجل قد تلقى هذه الإهانة لسبب وجيه .. أو بلا سبب ! .. انه استنكر الموقف .. ورفض أن يراه أو يقترب منه أو يسأل عن حقيقة الامر - لو فعل ذلك رجل شرقي لقال الناس : انه شرقي .. أحس بإهانة في رجلوته . وعطل عقله . ولم يفكر في هذه القضية . ولكن الذي فعلها غربي وأعظم فيلسوف ! .

ويقال إن الاديب الفرنسي فلوير قد ندم على أن الله لم يخلقه امرأة . ويقال

أيضا : إنه يتمنى أن يحوله الى امرأة ولو عشر سنوات .. لانه أراد أن يعرف بالضبط كيف تفكر المرأة .. أراد أن يعرف الجانب الآخر من هذه الدنيا .. فهو لا يعرف الا ما يدور في رؤوس الرجال ، ويتخيل الباقي مع أنه عندما فرغ من روايته المنشورة « مدام بوفارى » قال عن نفسه أنا هذه السيدة !

أما أديب ايطاليا البرتو مورافيا فقد أصيب بشلل الاطفال وهو صغير ولم يذهب الى المدرسة . وتعلم أربع لغات في سريره . وقرأ الوف الكتب نائما على ظهره معظم الوقت . وهو يندم على أنه لم يشتغل بترية الدواجن وهو صغير . فقد اقترح عليه أحد أقاربه أن يشغل فراغه ويحرك ساقيه . ولو فعل ذلك لاستطاع اليوم أن يمشى دون أن يعرج .. ودون أن يكون ضعيف السمع !

أما الأديب الانجليزى نويل كوارد فقد أعلن في إحدى الحفلات في لندن أخيرا أنه لم يندم على شئ في حياته . وان هذا هو الشئ الوحيد الذى يستحق الندم . إذ كيف يعيش الانسان مؤلفا وممثلا وسكيرا وفاجرا وأراجوزا وساخرا وكافرا دون أن يشعر بالندم مرة واحدة . كان يجب أن يندم على أنه بدد حياته فيما ينفع الناس . وكان الافضل أن يشغل نفسه بنفسه فقط . أما الناس فلا يساوون هذا العذاب !

أما نحن ابناء الريف المحافظ الخائف فقد ربينا على الندم .. ان نندم على ما فعلنا وعلى الذى لم نفعله أكثر !



أنت لا تعرف القراءة ولا الكتابة ؟

أنت لا تعرف كيف تقرأ ولا كيف تكتب !

لست وحدك ولكن كل الناس أيضا . فكل انسان له طريقة في إمساك الصحيفة وتقليب صفحاتها وقراءتها . هناك أناس يقرأون الصحيفة بعيدة عن عيونهم . وأناس يلصقونها بعيونهم . وأناس يقرأون بالجنب . وآخرون يقرأون بالطول كأن الصحيفة مكتوبة بالياباني وبعض الناس يقرأون بعين واحدة كأنهم يتجسسون على الناس .. أو كأنهم يريدون أن يقرأوا دون أن يشعر أحد من الذين يقرأون عنهم أو يرونهم في الصحف . والذين يقرأون وقوفا ونياما ويقرأون الصحف التي في أيدي غيرهم من الناس . فأين الخطأ في هذا كله ؟

لا أريد أن أذكر عدد الاطباء الذين أيدوا هذه الملاحظات في مؤتمر العيون العالمي الأخير . ولكن أؤكد أن هذه ملاحظات الدكاترة على الناس . والخطأ هو أن كل انسان يجب أن يذهب الى الطبيب ويسأله عن المسافة التي تبعد بها الصحيفة عن وجهه . وهل يقرأ تحت النور أو بعيدا عنه . هل يقرأ الكتب العلمية . أو هل يقرأ القصص الطويلة أو القصيرة وكم يكون حجم الحروف . كل انسان يجب أن يفعل ذلك . فاذا لم يفعل فانه معرض لضعف مستمر في عينيه .. وأنواع من الصداع لا يعالجها الاسبرين . بل كثيرا ما أدت القراءة

المرهقة الى اضطراب نفسى .. واحيانا اجتماعى دون أن يكون هناك أى سبب
غير تعب العينين !

ومعنى كلام الدكاترة أنه لا يوجد انسان واحد فى الدنيا يعرف القراءة
وأصولها .. ولا يستطيع ذلك الا اذا أمسك الانسان فى يده مسطرة ووضعها
تحت ذقنه كلما فتح صحيفة أو كتابا . والمسطرة يجب أن تكون فى طول المسافة
المسموح بها طيبا !

ولا نعرف كيف نكتب أيضا ..

فلا يوجد اثنان من الناس يمسكان القلم بطريقة واحدة . ولا يضغطان عليه
بصورة مريحة .. ولذلك اختلفت أشكال الحروف وأبعادها وأطوالها
ووضوحها .. واختلفت الاصابع النحيفة عن الاصابع الغليظة .. واختلفت
درجات الضغط على القلم . ويفسر علماء الخط أن الكتابة السريعة والبطيئة لها
علاقة بالطريقة المريحة لمسك القلم . وسبب ذلك أن أحدا لم يعلمنا أن نمسك
القلم . وانما علمونا أن نكتب فقط .

أما لون الحبر أيضا فله علاقة بالمزاج الخاص وله علاقة بالعين . وهناك أناس
يكتبون بالحبر الأحمر والاخضر والازرق . وقليلون الذين يختارون الحبر الاسود .
وان كان العلماء يرون أن الحبر الاسود يدل على التشاؤم العميق وهذه الملاحظة
الوحيدة التى تنطبق على كاتب هذه السطور فأنا أكتب بالحبر الاسود منذ
عشرين عاما . وليس لذلك مزاج شخصى وانما سببه أن أصدقاء لى من
الكويت أهدوني كمية تكفى لنهاية هذا القرن !

أسئلة غريبة وإجابة أغرب

صحيح ما وجه الشبه بينى وبين نابليون؟

سؤال غريب فاجأنى به مذيع «صوت العرب» . ولم يتسع وقى لأى تفكير . فقلت بسرعة : وجود النون والياء فى اسمه واسمى ؟ فقط .. انتهى كل ما بيننا !

ولكن أعتقد أن هناك شها أكثر بينى وبينه .. وبين كل الناس أيضا فكل الناس متشابهون .. من يجلس على العرش . والتجار الذى صنع العرش . والشبال الذى حمل العرش . والذين يتربصون بالعرش والجالسين عليه . والكلب الذى يجلس عند قدمى الجالسين على العرش . فكل الناس بشر . وكل البشر حيوانات . وكل الحيوانات تتكون أجسادها من العناصر الموجودة فى الزهور والطيور والصخور أيضا !

ووجدت شها آخر أن نابليون مولود يوم ١٦ أغسطس . والفلكيون يؤكدون أنه مولود يوم ١٧ وأنا مولود يوم ١٨ أغسطس والفلكيون يؤكدون أنه يوم ١٧ أغسطس .

ولم تسعفى ذاكرتى وأنا أمام الميكرفون أن أجد شها جديدا وهو أن أهلى فكروا أن يجعلونى من رجال الدين . فى أسرقى كثيرون من رجال الدين . وقد

اعتاد الناس - واعتدت أيضا - أن انحنى وأقبل أيديهم . وانتظر دعوات الامتنان والتمنيات الطيبة : الله يفتح عليك !

وفسرت هذه الدعوة في ذلك الوقت على أن فتح الله هو أن ادخل الازهر . وأكون صاحب رواق أجلس فيه .. ويلتف الناس حولى . وقد حاول نابليون أن يدخل الازهر . ودخله برجاله وخيوله . وارتدى الجبة والقفطان واستمع الى القرآن الذى لا يفهمه . وهز رأسا كاذبا مع التواشيح الدينية فى إحدى ليالى نصف شعبان المبارك . وليس هذا هو الشبه طبعاً . ولكن الشبه أن فى حالة يأس شديد قرر أن يكون من رجال الدين . فلما بلغ قمة السلم الفرنسى ظهرت حقيقته فأعلن عداؤه للكنيسة والبابوية !

وعندما كنت فى متحف هافانا عاصمة كوبا ، رأيت خصلة من شعر نابليون . واسترحت . وعرفت فيما بعد أن هذه الراحة سببها أن شعر نابليون لم يكن كالحرير ينفهف ويطير وإنما هو شعر أكرت .. مثل شعرى !

أما رداءة الخط فهو الشبه الأكيد بيننا . لولا أنه ليس مهما أن يكون نابليون ردئ الخط فعنده أساليب أخرى للتعبير عن رغباته وتنفيذها أما أنا فلا أملك الا هذا الكلام ! .



ابن خلدون والحنافس

منذ ستة قرون أحس الفيلسوف التونسي ابن خلدون ان رأسه يكاد يقع منه . فاعتمده يديه . ووصف حالته بأن رأسه يشبه اناء به لبن . وفجأة تكونت به زبدة حياته وافكاره في كتاب واحد . بعده يموت .

وهي لحظة باهرة عظيمة . وانسحب ابن خلدون من الحياة العامة . وذهب الى قلعة ابن سلامة . وحبس نفسه فيها أربعة أعوام الف خلالها كتابه المعروف باسم «مقدمة ابن خلدون» . وهو في المقدمة استعرض التاريخ الانساني كله ويبدى رأيه في أحداث التاريخ وقد صدرت ألوف الكتب في التاريخ .. ولكن ابن خلدون كان أسبق الناس جميعا الى أن يقول : التاريخ يمشى على قواعد وأصول لا يخرج عنها . ولا بد أن يمشى عليها . فهو أول من قال بمجتمعية التاريخ . بل انه سبق بذكاء وعبقريّة الى كثير من النظريات التاريخية التي اهتدى اليها الاشتراكيون بعد ذلك . وليس هذا تعصبا لفيلسوف عربي وإنما هي شهادة فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع والمستشرقين الأوروبيين .

وابن خلدون ربما كان أول من تنبه الى أنه من الممكن أن يكون هناك حنافس وهيييز في مجتمعات الرفاهية . فهو يقول إن المجتمعات اذا اعتادت على الرفاهية وتراحت واسترخت ، شجعت الشبان على الثورة عليها والاحتجاج والانسحاب واختيار حياة من نوع آخر .

وهذا ما فعله الخنافس والهبيز في أوروبا وفي أمريكا بصفة خاصة فهم قد خلعوا ملابس النفاق الاجتماعية . وأقاموا لأنفسهم حياة خاصة وجعلوا لهم علاقات اجتماعية ودينية . وتحولوا في سن صغيرة الى آباء لأنهم حرموا من الابوة . انهم يريدون أن يعطوا الشيء الذي حرموا منه . وابن خلدون هو أول من وصف هذا الاحتجاج بأنه سلبي أيضا مادام لا يتخذ موقفا يؤدي الى تغيير المجتمع الذي ظهر فيه .

ولم يحدثنا ابن خلدون عن فرحته يوم خرج من القلعة وفي يده هذه «المقدمة» الثورية في فهم ودراسة التاريخ .. وهي فرحة أعرفها .. ذقتها .. فرحة لحظة .. ساعة .. ولكنها ليست فرحة عمر .. لا بد أنها فرحة من كان يحمل حجرا وألقاه عن كاهله . من كانت حاملا وولدت أو من انتصر على عزرائيل فوقع معه اتفاقا بسيطا : لك جسمي . أما أفكارى فهي لا تموت ! .



من دوخة إلى دوخة

الدوخة : أحد أمراض الصحفيين .

إما لأنهم يسمعون كثيراً والذي يسمعونه يتركونه مدة طويلة في آذانهم .. أو
لأن الذي يسمعونه يديرونه في رؤوسهم حتى تدوخ رؤوسهم !
تمددت أمام الطبيب الكبير على الشيخ . وقال : انها الدوخة بسبب تعب
في أذنك !

وكان التشخيص سليماً .

فذهبت الى الطبيب الكبير . جورج بطرس . وكأننى سمكة القى بها الموج بين
فكى قطرة .. ذهبت أشكو من الدوخة . وبدأت السعادة على وجهه . أنه
مشغول بكتابة بحث عن الدوخة . لينشر في إحدى المجلات العالمية . وبسرعة
دخلت في غرفة مظلمة . وتمددت والتفت الأسلاك الكهربائية حول رقبتى وحول
أذنى . والتصقت الأسلاك تحت العين وعلى الجبهة . وأضيئت الأنوار الحمراء
والخضراء في السقف .

ولم اعد قادراً على الحركة . وتذكرت ملابس رواد الفضاء التى رأيتها في
المعرض الدولى للطيران في باريس . وكان المطلوب منى أن أقلب عيني يمينا

وشمالا . وكنت أسمع عبارات الاستحسان كلما قلت شيئا ولم افهم ما الذى يستحسنه . لا أعرف وإنما هناك أصوات غريبة تتلقى إشارات من الاسلاك التى التصقت بكل أعصاب العين والاذن .

وبعد ذلك انتقل د . جورج بطرس الى تدويني .. فراحت المياه الباردة تصب في أذني اليسرى .. وأدوخ ومطلوب مني أن أتكلم وأدلى بمعلومات وانتقلت المياه الباردة الى الاذن اليمنى .. ثم جاء دور الماء الساخن .. وتكررت الدوخة .. وأنا لا أعرف ماذا أقول .. ولكن هناك أجهزة الكترونية تسجل كل حركات العينين . وتخرجت الى الارض كأي رائد فضاء بلا مظلة .

وفي اليوم التالى تكررت تجاربي على الاصوات والصفافير والإشارات الصوتية .. ووضعت السماعات على أذني .. وكان المطلوب أن أحدد بالضبط الفوارق الصوتية بين الاشارات التى أسمعها .

وجلست أمام الطبيب لأعرف النتيجة : ما الذى حدث ؟ وكيف حدث ؟ وما الحل ؟ وكان يقوم بعمليات حسابية معقدة لرود فعل الاذنين وحركات العينين .

والنتيجة وهذا هو الأهم لنا جميعا : ليس هناك غير علاج واحد . الراحة . الراحة . كل انسان من الضروري أن يستريح على قدر ما يستطيع تعبت من المشي مدد رجليلك . اذا لم تستطع أن تنام فاجلس . إذا لم تستطع أن تذهب الى السينما فاخرج الى الشارع .. المهم أن تكون على راحتك .. وعلى مهلك .. هذه ضرورة لتستريح الاذن وتذهب الدوخة وأكثر الناس دائمون ولكهم لا يعرفون السبب . وهذا هو أهم الاسباب ؟

انى كلما تذكرت ما حدث لى فانى أدوخ . ولذلك لن أتذكر ما حدث .

أستاذنا

أبو قردان

نحن لا نظلم الانسان اذا قارنا بينه وبين القردة أو الحيوانات الأخرى ، إنما
نظلم هذه الكائنات المسكينة لاننا نحتقرها ونتعالى عليها . مع إننا لا ندرى حكمة
حياتها .. ولا بد أن تكون حياتها حكمة ، والا فكيف استطاعت أن تعيش/ هذه
الملايين من السنين . ولا تتفرض . وأن يتزايد عددها . وإذا كان الانسان قد
عرف بعض حياتها ، فهو لا يعرف حياتها كلها ولا حياته هو . وإذا كانت
الحيوانات لا تتكلم لغتنا فليس من الضروري أن تتكلم لغة واحدة . فالتناس لا
يتكلمون لغة واحدة . والخلافات بين الناس أقصى وأعظم من الخلافات التي
بيننا وبين الحيوانات !

وفي العالم اليوم اتجاهات علمية جادة تعود الى مقارنة الانسان بالحيوان
وبالطيور . وتميل الى وضع الحيوانات في مكان أعلى وأرفع .. فالتحل هو أبو
التعاون وانكار الذات . والفراشات هي أمهات التخصيب الصامت ، ولولاها
ما أثمرت أشجار الفاكهة ولا أشجار الحقل أيضا . والوطواط هو أبو الرادار ..
وجبالاية القردة هي نموذج للمجتمع السياسي والقوة : الجسمية والجنسية ..
والصرصار أبو الكلاكس والسمك أبو الغواصة !

وقد أعجبني كتاب أصدره عالم فرنسي عنوانه (استاذي في الغابات) أي

أن اساتذته جميعا من الحيوانات . فى أولى صفحات الكتاب تحية رقيقة بعث بها الى الطائر المصرى أبو قردان ، الذى اخترع الحقنة - أو على الاصح الذى اخترع الحقنة الذاتية - فهذا الطائر عندما يصاب بامساك فإنه يملأ منقاره بالمياه . ويفضل الماء المالح ، ثم يدخل منقاره فى مؤخرته - إنها أول حقنة فى التاريخ ! .

والصفحات التالية أهداها لطيور أخرى فى أمريكا . من بين هذه الطيور واحد اسمه : الميكانيكى . فهذا الطائر يحدث أصواتا غريبة بجناحيه كأنه ميكانيكى صغير يحاول أن يثق مساراً من الخشب فى جدار من الحديد . ويقع المسار أو ينكسر ولكنه يعاود المحاولة . هذا الطائر يضع لنفسه نوعا من القطرة فى عينيه .. وذلك بأن يذهب الى احدى الاشجار ويمرر جناحيه فى أوراقها المغطاة بمادة مخاطية بيضاء ثم يذهب الى الماء . ويمسح بجناحيه على الماء ثم يضع رأسه تحت جناحيه ويبتظر قطرات الماء فى عينيه .. ويحرك رأسه فى جناحيه بعض الوقت .. ثم يغسل عينيه ..

وقد اكتشف الأطباء ان هذه القطرة الطبيعية هى أحسن ما عرف الانسان . وغير ذلك من الحكمة الحيوانية كثير جدا .. وكلها لا تبرز غرور الانسان .. فما أقل ما نعرفه عن أنفسنا وما أندر ما نعرفه عن غيرنا من الحيوانات .



هواياتهم ..

الغريبة !

هل من الضروري أن تكون لك هواية ؟

كثيرون يرون هذا ضروريا . لان الراحة ضرورية . ولان من أهم معاني الراحة أن تبعد نفسك بالقوة أو بالذوق عن العمل اليومي الذي يشدك من كل حواسك ويحطملك أولا بأول . وانا استبعد من عالم الهواة الذين يجدون الأكل والشرب والنوم هواية . لانها هوايات مرهقة . والهواية هي التي تريح ؟

ومن أشهر الهواة الزعيم السياسى تشرشل ، فقد ألف كتابا عن الرسم كهواية . وكان تشرشل فى أقصى ساعات المعارك الحربية ، يهرب ومعه صندوق الألوان واحدى اللوحات ويرسم السماء الصافية أو الرمال والبحر أو بعض الأصدقاء . وكان يستغرق فى هذا العمل تماما كأنه ليس قائدا عسكريا أو زعيما سياسيا .. أو كأنه أحد المتفرجين على لعبة الحرب بين ألمانيا وبريطانيا . وبعد ذلك يعود الى عمله . وقد استراح تماما أو الى حد كبير .

ولا يهم ماذا يكون نوع الهواية .. كما أنه لا يهم أن تمدد رجلك أو أن تشم الهواء النقي .. فهناك اناس يجمعون أغطية الزجاجات الفارغة أو علب الكبريت .. وهناك هواية .. ظاهرها الهواية .. وهى جمع ملاعق وشوك وسكاكين الفنادق والمطاعم . وبعض الناس عندهم هوايات مؤذية مثل جمع

مفاتيح الغرف التي يتزلون بها في الفنادق .. ولذلك وجدنا الفنادق تضع مفاتيح الغرف في كرات من الحديد أو من الخشب حتى لا يدعى الزبون انه قد نسي المفتاح .. وحتى اذا أراد أن ينسأه فان هذه الكرات تفصحه ..

ومن هوايات الاطفال جمع التوقعات ..

وان كان تشرشل في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية يروى لنا مفاجأة - مفاجأة له هو أيضا - انه أثناء انعقاد مؤتمر يالتا فوجئ تشرشل وروزفلت بأن ستالين نهض واقترب من كل منهما وطلب التوقيع في اتوجراف معه . وكانت هذه إحدى هوايات ستالين .

وقد أعلن الفيلسوف الفرنسي سارتر أن هوايته هي أن ينظر الى وجوه الناس - سارتر نظره ضعيف جدا - ولا بد أن يكون المقصود ليس مجرد النظر الى وجوه الناس وإنما التأمل في الناس - في الوجه والقفا أيضا !

وحاولت أن أتذكر إن كانت لي هواية واحدة فلم أجده . فقد كانت لي هوايات وضاعت . تحولت الى حرفة .. أو نوع من الحرف كنت أهوى القراءة فأصبحت أحترفها .. كنت أهوى الكتابة فأصبحت أحترفها .. كنت أهوى أن أتابع أصحاب الهوايات .. فأصبحت أحترف معرفة هوايات الناس ولذلك استراحوا ولم أسترح !



الفراغة

عرفوا الكثير

لا يعرف الكثير عن الانسان من لا يقرأ كتب التاريخ .. فهذه الكتب تسجل صدق الانسان وكذبه وأحلامه وأوهامه ومخاوفه وتعصبه لوطنه وكرهيته لغيره من المواطنين أو من الشعوب الأخرى .. لابد أن نقرأ تاريخنا القديم جدا والحديث جدا .. ومهما طال الزمن بين القديم والجديد فهناك جسور كثيرة من الخيال والإيمان وحب الحياة وحب البقاء بعد الحياة ..

والتاريخ الحديث يدفعنا الى قراءة تاريخنا القديم جدا جدا .. تاريخ مصر الفرعونية .. فالفراغة ليسوا بعيدين عن عصرنا . فقد عرفوا أشياء كثيرة من ألوف السنين لم نعرفها الا أخيرا . بل إنهم يعرفون ما لم نعرف حتى الآن .. إن كل طفل يعرف ما هي المسافة بين الأرض والشمس . وقد عرف الفراغة ذلك . وهذا عجيب فنحن لا نعرف كيف عرفوا . وكل طفل يعرف الآن قطر الأرض ، وقد عرف الفراغة ذلك . ولكنهم أخفوا عنا كيف عرفوا .

وعلماء الغرب يؤكدون أن الفراغة قد جاءوا من قارة أخرى .. أو سلالة كائنات في كواكب أخرى .. ولكن كيف جاءوا وأقاموا ومن أين جاءوا بكل هذه النظريات الرائعة في كل العلوم ..

إن العالم الأمريكى الفاريز الذى جاء يفتش فى قلب هرم خفرع عن سر

المهرم والمملك والحياة بعد الموت ووضع تحت الهرم عقلا الكترونيا يسترق السمع
قد اهتمدى الى أن الفراعنة قد أخفوا أسراراً فوق مستوى العلم والعلماء وأن معرفة
أسرار هرم خفرع أعظم وأخطر من الوصول إلى القمر؟

إن تاريخنا القديم ليس قديماً ، وإن تاريخنا الحديث ليس حديثاً . إن
الفراعنة ما يزالون هم صانعي أخبار المستقبل : في الطب والفلك والفضاء .



أجدادنا ليس لهم أحفاد

يظهر ان الفراعنة حريصون على أن يخططوا مستقبلنا أيضا . ففي كل يوم يكتشف العلماء شيئا جديدا . ويكون التعليق على الجديد : أن الفراعنة كانوا أول من استخدموا السكاكين وأمواس الخلاقة .. وأدوات التجميل .. وأول من كتب الكلمات الثائية بجهر أحمر .. وأول من وصف الانسان الغبي بأنه حمار .. وأول من وصف المرأة بأن لسانها طويل لكثرة استعماله .. وأول تلميذ زوج من المدرسة في التاريخ كان فرعونيا .. وأول من وصف شربة الزيت كعلاج لكل مرض .. لان المعدة بيت الداء .. وأن الامتناع عن الطعام أثناء المرض شفاء لها .. وأول من سرق ملابس الفتيات أثناء نزولهن الى النهر كان فرعونيا .. وأول من تزوج أخته وأمه وأول من أكد أن زواج الأقارب يؤدي إلى ضعف الأبناء والأحفاد وإصابتهن بالبلاهة .. وأول من قال إن أبناء الدم الواحد يجب ألا يتزوجوا .. وأول من اخترع التحنيط .. واهتدى الى سربقاء الموتى الوف السنين .. وأول من قام بعملية (تربنة) لها .. وأول من صنع طقم الاسنان والكبارى الذهبية بين الانسان والضروس .. وأول من نصح التلميذ ألا يقرأ كتابا وهو نائم على ظهره .. وأول من طلب الى القارئ بأن تكون هناك مسافة بينه وبين الورق الذى يقرأه .. وأول رجل طلب من زوجته الا تذهب لأمرها كان فرعونيا .

وفى الحقل : كان الفراعنة أول من استخدم السفن التى تحمل خلايا النحل بالملايين . ثم يتقلون بالسفينة من مدينة الى مدينة . وكان النحل يقوم بعملية التلقيح للزهور فى الحقول .. وفى أمريكا الآن شركات توجر ملايين النحل لأصحاب الحدائق !

. ويقال إن الفراعنة هم من سلالة جاءت من كواكب أخرى . ويقال أن الفراعنة لديهم أسرار الكواكب الأخرى .. وإن المؤرخ اليونانى هيرودوت عندما كان فى مصر حدثه الفراعنة عن أن الكهنة لديهم أسرار اناس جاءوا من السماء .. وإن هذه الكائنات السماوية قد صنعت المعجزات المعجزة والهندسية والطبية فى مصر .. وأنهم كما جاءوا من الغرب عادوا الى الغرب وإلى قمم الجبال .. وأنهم جاءوا بسفن من نار .. وأنهم عادوا الى مكانهم من الشمس والقمر ؟

هل يريد الفراعنة أن يؤكدوا لنا : أن لنا أجدادنا . وليس لهم أحفاد وأنهم أطول عمرا ، وأنهم أماننا .. دائما !



سعيد ..

لأنه عاجل

جاءنى سعيدا ولكن فى سعادته شئ من الخجل . والخجل واضح فى أنه يحاول أن يجد مكانا لنظراته تحت الأرض . فهو لا يكاد يقول عبارة حتى ينظر الى الأرض كأنه يريد أن يدفنها .. وروى لى تاريخ حياته .. وليست له حياة .. ولذلك فليس له تاريخ .. وإنما هو واحد من ملايين يزحفون على بطونهم . من أجل لقمة العيش . وليس عملا بطوليا أن يعمل الانسان ويتعب فالحياة تعب . سواء كان فيها عمل . أو تعب أكثر إذا لم يكن فيها عمل . ولكن الجديد فى قصة هذا الشاب السكندرى أنه كان « فتاة » ثم أجريت له عملية فأصبح فتى .. ويريد أن يكون رجلا ، فقد ترك شعر رأسه على راحته وهو يطمع فى أن يتقل شعر رأسه الى الشفة العليا لعل شاربا أن ينبت هناك أو لعل لحية أن تظهر ..

وعنده مشكلة – طبعاً – إنه يريد أن يكون رجلا ، ككل الرجال ولكن الناس لا يتركونه فى حاله . أو هكذا يتوهم .

أقرب الحوادث أنه ذهب الى احد المقاهى وطلب فنجان قهوة . وجاءت القهوة متأخرة . فاستعجل الجرسون . فما كان من الشباب « المحدث » الرجولة الا أن شحط فى الجرسون . فوضع الجرسون الصينية التى معه ووضع يده فى وسطه

وقال له : أسمع يا أخ .. أنا راجل .. راجل .. ولا أحب أن أسمع كلمة من واحد زيك .

ومن المؤكد أن الجرسون لا يعرف ماذا حدث لهذا الشاب . ومن الممكن أن يقول الجرسون مثل هذه العبارة وأقصى منها لأى إنسان . ولكن هذا الشاب لانه - كما نعرف - أحس أن الجرسون يقصد أنه كان فتاة قبل ذلك .. الخ .
والذى أضحكنى أن هذا الشاب جاعلى وهو سعيد جدا لأنه أصبح رجلا .
وأنه يريد أن يعمل كرجل وأن يعيش كرجل - تماما كأنما قد قام بعمل عظيم جدا .. ويستحق المكافأة على ذلك ؟

وهو سعيد برجولته .. ولكنه ينسى أن هناك ملايين سبقوه الى التعاسة لأنهم رجال . وملايين سبقوه الى التعاسة لأنهن نساء فلا هو كسب للرجال ولا هو خسارة على النساء وإنما هو . واحدة . أو « واحد » كانت له صورتان .. ثلاثت واحدة وظهرت الأخرى . وسوف يلقى من الناس ما يلقاه الناس من الناس : منتهى التعذيب . وأن أحدا لن يستطيع أن يساعده لأن أحدا لا يساعد أحدا ..
فالدنيا « ملاهى ودواهى » وعليه هو وحده أن يختار الصورة التى تعجبه . وأن يدافع عنها . وهذا الدفاع هو المعنى الوحيد للحياة بلحياته أو حياتها ؟



جوان دائماً عاقِل أحيانا !

لا أنت عاقل ولا أنت مجنون . أنت الاثنان معا - قرار صدر من المؤتمر الدولي الذى انعقد فى مدينة « لنس » بالتمسا من زمن مضى . وقد ضم المؤتمر ٧٠ عضوا من ١٤ دولة أما موضوع المؤتمر فهو « الأمراض النفسية والفنون واللغة » . وقد لاحظ العلماء أن الرسوم والنقوش التى عرضها فنانون فى وسط افريقيا رغم بساطتها تؤكد كل صفات مرض الانفصام والازدواج فى الشخصية . وأكد علماء آخرون أن بعض الرسومات التى سجلها الشبان فى أوروبا وأمريكا تحت تأثير حقن الهلديان (ل . س . د) وتحت تأثير هلوسة عقار المسكالىن تعرض نوعا من الايقاع الموسيقى واللونى .

وأعلن أحد العلماء أن الرسوم والقصائد التى يبدعها نزلاء السجون المختلفة دليل على اللقاء القوى بين العقل والجنون . ولكن بصورة فنية جميلة بليغة ؟ وفى أحد الأبحاث أعلن عالم أمريكى كبير أنه لا يوجد أديب ليست له عبارات تدل على الجنون .. على جنونه هو .. وأنه قد قام باحصاء شامل فوجد أن معظم الأدباء مجانين كبار أيضا ؟

وفى البحث الذى ألقاه البروفسور رايزفوجت أكد أن عدداً كبيراً من الأدباء

تعرضوا لدراسة شخصيات المجانين فى مسرحياتهم ورواياتهم وأنهم أبدوا عطفًا وحاسًا ومتعة واضحة . كأنهم يسقطون أنفسهم على الورق .. كأنهم يصورون أنفسهم . أو يفصلون أزياء على مقاسهم ثم يلقون بها على أجسام الآخرين .. وإن لم يكن ذلك جنونا فهو استمتاع بمعاشرة المجانين وأفكار المجانين !

والفنان - الرسام والشاعر والمصور والنحات والموسيقار - إن لم يكن مجنوناً دائماً فن المؤكد أنه مجنون أحيانا . وأنه يعرف ويعترف بذلك . ولا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أن يصاب أصحاب الرسائل الفكرية والفن الكبرى بالصرع والانفصام بل إن الفن نفسه نوع من ازدواج الواقع - واقع الطبيعة والحياة . والواقع النفسى للفنان . وليس الفن نفسه الا نوعا من الاغتصاب أو الزواج بالاكراه ..

فاذا كنت تتصور أن المجانين بلا عقل فيجب أن تتأكد أن أكثر العقلاء جدا مجانين أيضا ؟

فليس الانسان حيوانا عاقلا .. وإنما حيوان دائما وعاقلا أحيانا !



ابن حزم أستاذ العشاق

دليل الاسى نار على القلب تلفح ودمع على الخدين يهيم ويسفح

إذا كتم المشغوف سر ضلوعه فان دموع العين تبدى وتفصح

إذا ما جفون العين سالت شئونها ففي القلب داء للغرام مبرج

هذه أبيات ابن حزم الاندلسى الذى عاش فى القرن العاشر ، ولكن أبياته هذه وغيرها عاشت عشرة قرون أخرى . بل ان المستشرق الألمانى بولك ينشر احصائية ان اسم ابن حزم قد تردد فى أكثر من ستة آلاف كتاب كلها تتحدث عن الحب والغرام .

وأخر مرة تردد فيها اسم ابن حزم فى مسرحية عرضت فى نيويورك من مدة اسمها «نحن الثلاثة» للكاتب الأمريكى «ويلر» .. وموضوع المسرحية أن اثنين من الشبان يسكنان فى شقة .. ويحى ثالث يوهم كل واحد منهما على حدة أنه صديق للآخر .. ويقيم معها ، ثم يأتى بصديقة له وينامان فى إحدى الغرف . وتحيل الصديقان ما يجرى بين الرجل والمرأة .. وهنا تحي عبارات غريبة جنسية ويحى اسم ابن حزم الأندلسى خبير الجنس والغرام !

ومن الغريب أن ابن حزم هذا من رجال الدين ومن العلماء .. ولكن لم يكده يكشف المستشرق بتروف سنة ١٩٢٤ كتاباً نادراً لابن حزم اسمه « طوق الحمامة » حتى تحول ابن حزم الى إمام للعشاق والمحبين في العصور الوسطى في أوروبا والعصر الحديث . ففي هذا الكتاب قد تحدث عن أسرار الحب والود والغرام والعشق .. وأنواع النساء والمهجر والصد . وفن الرسائل . وملاحم المرأة وملاحمتها أيضا .. وأحبين اليه .

وابن حزم يستنكر نظرية الحب من أول نظرة . وفي ذلك يقول واني لأطيل العجب من كل من يدعى أنه يحب من نظرة واحدة . ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حبه الا ضربا من الشهوة .. وما لصق بأحشائي حب الا مع الزمن الطويل . وبعد ملازمة الشخص له دهرا ، وأخذني معه في كل جد وهزل .

ولكن كيف يكون هذا حال رجل كان إماماً للدين ثم إماماً للعشاق أيضا ؟ ان ابن حزم الاندلسي قد وضع اصبعه على مشكلة العصر كله - عصره وعصرنا أيضا . فقد كانت المرأة هي التي تعلم الأطفال . تعلمهم القرآن والحديث والشعر والخط . ومن الطبيعي أن يبدئ الطفل اهتمامه بالمرأة في سن مبكرة فاذا أصبح شابا رأى اهتمام الكبار بالشعر والغزل والمغامرات .. ورأى عدداً كبيراً من النساء في بيته وفي بيت غيره من الكبراء والاثرياء .. وكان ابن حزم واحداً منهم ..

وهي نفس قضية العصر .. فكل الصحف والمجلات والمسارح والشاشة تعرض قصص الجنس ، وأغاني الجنس ورقص الجنس .. فكل شيء يشعل النار في أجسام الأطفال والشباب .. ويندهش الكثير من الآباء والمصلحين والمربين لهذه الفورة الجنسية عند الجميع .. مع أن الذي يبعث على الدهشة ألا يكون شيء من ذلك ؟

وابن حزم لا يترك جيله وهذه الأجيال دون نصيحة فيقول : ان العلم يضيء
ولا يحرق .. ولكن الجاهل يقتل ويحرق .. فلا خوف من العلم أو معه ؟
وهذه العبارة صادقة وحسنة النية ، وهي وحدها التي تؤكد ان ابن حزم
فعلا كان يعيش في القرن العاشر .. ولا يعرف ماذا أصاب الناس في القرن
العشرين . وكيف اختلطت في عقولهم وقلوبهم ومعداتهم وأحلامهم كل
المعاني : فهم يتحدثون عن الكراهية بمنتهى الحب ، وعن الموت بمنتهى
الحيوية ١ .



طعم الحياة كان مرّاً...

روايات عبد الحلیم عبد الله هی شرائع صغيرة من حياة أبناء الطبقة المتوسطة من الفلاحين أو من المواطنين . الاحداث صغيرة . ولكن دهشة عبد الحلیم عبد الله كبيرة . ومن هذه الدهشة نسج خيوط رواياته مستندا الى القيم الاخلاقية والدينية السليمة . ولكي يجعل للقيم الأخلاقية وزنا فانه يستخدم الجنس كأسلاك ذهبية ملتبة . وكلما تألم أبطاله ارتفع تمثال الفضيلة في عيني المؤلف والقارئ أيضا .

في آخر حديث لي مع عبد الحلیم عبد الله في إذاعة «صوت العرب» . وفي برنامج «شئ من الفكر» سألته : ان كان يعتبر نفسه مقلا ، لأنه يصدر رواية كل سنتين !

وقد ضحك المرحوم عبد الحلیم عبد الله وهو يقول : انه يحتاج الى وقت طويل في التفكير وفي الحمل والولادة والحضانة والمعايشة بعد ذلك ثم يكتب الرواية ويعيد كتابتها واختصارها وتركيزها . وهو لذلك يحتفل باللفظ والتراكيب ، انه يستعين بجمال اللفظ على رقة المعنى .. إن هذا هو ما يجب أن يفعله الفنان . فلا أحد يسأل أحداكم من الروايات أصدر ، ولكن كم واحدة منها سوف تبقى بعد وفاته .. أو حتى تكون لها حياة وهو حي ؟

وقد فاز عبد الحليم عبد الله بكثير من الجوائز الأدبية التي رصدتها معظم الهيئات للقصة الاجتماعية والأخلاقية . وقد أطلق عليه لقب « أبى الجوائز » وفاز بجائزة الدولة التشجيعية . ومات دون أن يفوز بالجائزة التقديرية ..
يرحمه الله لقد كان رقيقاً مجاملاً عطوفاً مشجعاً .. فناناً وعلى خلق . وهذه صفات نادرة !

ولكن طعم الحياة على لسانه كان مرّاً ..

لقد شكّا من المصبران الغليظ ومن المعدة وكان يشكو من الارهاق ولذلك كان يعتذر عن السفر الطويل الى الخارج .. اعتذر عن أن يكون في وفد الأدباء الى بولندا . وكان في نيته أن يعتذر عن السفر الى سوريا .

وعندما مات عبد الحليم عبد الله ، مات على مسافة قريبة من القرية التي ولد فيها .. لقد أكمل الدائرة : مات حيث ولد .. ولكنه عاش أبعد من المكان الذى ولد فيه ، وسوف يعيش الى زمن بعيد فى المستقبل أيضا ..



أشعة سحرية فى أسوان

الحكيم بقراط كان ينصح الناس بالسفر الى مصر للعلاج .. والحكيم جالينوس أيضا ..

والمؤرخ هيرودوت لم ينس ان صحته تحسنت عندما جاء الى مصر . وقال :
ان العجائب التى فى مصر قد انعشت روحه . والشمس قد أذابت الصلابة فى
عضلاته !

والفراغة هم أول من عرف أن (الوطية) الموجودة فى الجو هى التى تفسد
أجسام الموقى . ولذلك كانوا يضعون الجثث فى أماكن جافة بعيدة عن الرطوبة
الموجودة فى الهواء .. فأقاموا مقابرهم فى الصحراء وفى جنوب مصر ، والفراغة
هم أول من نصح المريض بأن يبعد عن البيت والاسرة ومكان العمل ويذهب
الى الجنوب حيث الهدوء والدفء والجفاف وصفاء السماء ..

والطب الحديث يؤكد أن حكمة الفراغة صادقة وأطباء السويد الذين
جاءوا الى مصر فى رحلات للعلاج السياحى يرون أن مصر كلها ، وليس جنوب
مصر فقط .. هى أحسن مكان للعلاج من أمراض الشيخوخة والروماتزم
واضطراب الدورة الدموية وكثير من الأمراض الجلدية .

ومنذ أيام قرأت تقريراً لبعض أطباء السويد يؤكدون فيه أن عشرات من المرضى من السويد والنرويج وفنلندا والدنمارك بعض المرضى جاء الى مصر لا يقوى على المشى وبعد أيام استمتع بركوب الخيل الى جوار الهرم ! وبعض المرضى كان لا يقوى على الجلوس على مقعد له عجلات ، وبعد أيام كان يساعد المرضى الجدد في الجلوس على هذا المقعد ويدفعهم الى الامام ، كل هذا قرأته .. ولولا أنني قرأت ذلك ما صدقته .

وزارنى الدكتور مورسنيج أحد المشرفين على (السياحة العلاجية) وقلت له إن أسوان لم تكن تعرف الرطوبة ولا السحب ولا المطر وهى الآن أصبحت معتدلة الجو مثل الاسكندرية . فهل هذه الرطوبة تعوق العلاج ؟

وأكد لى الدكتور مورسنيج بالأرقام والتقارير الطبية أيضا أن اسوان تشفى العليل . وان هناك سراً أو سحراً إشعاعياً في جنوب مصر وشمالها . وان هذا السر جعل مصر هى أصح بلد في العالم كله لعلاج كل الأمراض التى يشكو منها أهل السويد والنرويج وكل الدول الشمالية (وطلبت اليه أن يعيد هذه الجملة .. وأعادها بهدوء وبساطة كمن يقول أن ٢ زائد ٢ يساوى ٤) .

وشعرت بالارتياح وتمنيت أن أجد نفسى فى اسوان بسرعة وأن أعرض نفسى لهذا السحر الاشعاعى الذى عرفه المؤرخ هيرودوت ولم يعرف اسمه . ولما سألتى الدكتور مورسنيج عن الأمراض التى أشكو منها وسوف تشفىها أسوان قلت : مرض واحد اسمه القاهرة ! .

مغامرة

السفينة رع

السفينة غرقت - ولكن الرحلة نجحت .

«رع» المصنوعة من الورق ، قاومت الأمواج شهرين .. أما رحالتها فقد عادوا الى الشاطئ يحدثون العالم كله عما جرى لهم .

ولكن ما الذى جعل البحار الزويجى هايردال يقوم بهذه الرحلة ليؤكد أن الفراعنة هم أول من سافر الى أمريكا قبل كولمبوس بأربعين قرناً ؟

هناك اسباب متعددة مختلفة ..

من بينها أن «التاريخ واحد» .. أى أن هناك اتصالاً مستمراً بين كل الحضارات القديمة .. وانها تتأثر بعضها ببعض .. ربما لان الأرض متصلة والحياة متصلة ، فلا بد أن تكون الشعوب قد مشت على الأرض من جانب الى جانب ، وعبرت الماء من شاطئ الى شاطئ .. فذهب الفراعنة الى امريكا وأقاموا أهرام المكسيك ..

وهناك سبب آخر وهو أننا نعيش فى جو من التشاؤم واليأس .. وهذا التشاؤم يجعلنا ننظر الى الماضى على أنه أحسن .. وعلى أن العصور الذهبية للانسانية كلها كانت وراءنا .. فأجدادنا أحسن من آبائنا .. وأجداد أجدادنا أحسن الجميع .. ولذلك فالفراعنة هم الذين عرفوا كل شئ وجربوا كل شئ .. ووصلوا الى كل شئ قبل أن نصل نحن اليه فى العصر الحديث .. أى وصلوا الى

أمريكا قبل أن يصل إليها كولبوس .. وعلى زوارق من الورق .. لا من الخشب .. أو عابرات المحيطات ؟

والتشاؤم يبلغ أقصى درجاته عندما نقول أن الفراعنة ليسوا هم مصدر الحضارة وإنما هم بقايا حضارة أخرى جاءت من السماء .. أى جاءت من سكان كواكب أخرى .. أعقل وأحكم منا .. وإن هؤلاء السكان قد هبطوا الى الأرض وعلمونا ثم لأسباب لا نعرفها اختفوا !

وهناك سبب اخلاقى يدفعنا الى تمجيد الماضي البعيد .. وهو أن الانسان فى العصر الحديث قد أصبح مغرورا .. وأنه تصور أنه سيد الأكوان .. وانه قد وصل الى القمر . أى أنه وصل الى كل ما فى الكون من ألغاز وأسرار .. مع أن الذى نعرفه قليل جدا إذا قورن بما لا نعرفه .. فالعالم الانجليزى نيوتن وصف نفسه بأنه مثل طفل يلهو فى الرمال على شاطئ محيط الحقيقة .. والعالم الألمانى اينشتين وصف الذى يعرفه والذى لا يعرفه من أسرار الكون مثل « طابع بريد » وضع فوق مسلة فرعونية قديمة .. فالذى يعرفه تافه ، مع أننا نراه واحدا من كبار العباقرة ..

ثم إن هذا البحار هايردال حاول أن يعطى لمغامراته هذه صفة مشروعة أو شرعية .. فبدلا من أن يبدو مغامرا جريئا أكد لنا أنه : مفوض من قبل التاريخ الفرعونى بأن يفعل ذلك .. لأن الفراعنة قد سبقوه الى عبور المحيط ..

على كل حال هو حاول ولجح ، ولحن تابعناه وأعجبنا به .. وغدا أو بعد غد ينشر على الدنيا قصة مكتوبة ومصورة تتحدث عن محاولته الحديثة وعن ماضى مصر العريق .. وليست قصته الا حفلة تكريم أقامها لنفسه .. ولنا أيضا !

ظلموه

يرحمه الله

لم يلق ما يستحقه من التقدير على أحمد باكثير.. وليس العيب فيه ، وإنما العيب في زمانه والناس وفي القضايا التي يعرضها ويوضحها أى يدفعها ويدافع عنها حتى لاتموت في دنيا الصراخ والمحسوية والعصابات الفكرية وغير الفكرية ..

وباكثير له مسرحيات شعرا ونثرا . وله دراسات في التاريخ الدينى والسياسى .

وقد عرض على منذ سنوات مجموعة من قصص التاريخ الأدبى ولكن لم أر هذه القصص قد نشرت . ولا بد أن يكون باكثير قد سمع كلمة ضايقته أو رأى حركة أخرجته .. أو شم ريحا جرحت كرامته . فآثر أن ينشرها في بيروت أو اندونيسيا .. أو لعله اختار لها الموت لانه أهون لاعماله أن تموت من أن تكون حياتها على كرامته !

لقد كان باكثير شديد الحساسية . عصيبا أيضا . ولاشئ في مظهر باكثير يدل عليه . فهو قصير القامة . ولكنه بفكره وذكائه وفنه عملاق . وهو هادئ معظم الوقت ، ولكنه ثائر دائما . وهو متجهم تماما . ولكن يخفى وراء ذلك حب الفكاهة والمرح .

ورغم حرص باكثير على أن يبدو أنيقا مهندما فإنه لا يقنعك بذلك . ولكن من المؤكد أن باكثير عقلية منظمة ومهندس فنان . ومسرحياته نموذج رفيع للمعمار الفنى . ومن النادر أن نجد مثل باكثير فى اقتداره على الحوار والحبكة المسرحية ، والهندسة العقلية .

ولم ينل باكثير ما يستحقه من التقدير . فكان الصمت على أعماله . نوعا من اقناع باكثير بالصمت هو أيضا .. أو بالاستعداد للموت . فكان باكثير قد مات قبل أن يموت .. ومن المؤكد أن فنانا بهذا الصدق والأصالة ، لا يموت لصمت ناقد أو نقاد .

فليس النقد هو الذى كتب له شهادة ميلاده وإنما الفن هو الذى ولده ورباه وانضجه وسوف يبقيه ..

ولم نكن نعرف بالضبط ما الذى يقصده باكثير عندما يقف أمام المرأة ويسوى شعره الناعم ويقول - هل يحى يوم يصبح فيه شعرى أبيض تماما ويكون وجهى وجها آخر؟

وكان على أحمد باكثير أسود الشعر وكان يخشى من بياضه .. وكان يخاف من الشيخوخة .

ثم جاء الذى أنقذه من بياض الشعر ومن الشيخوخة .

لقد مات فليرحمه الله ، لان أحدا لم يرحمه ! .

كلام عن الدكتور هيكل

في احدى قصص الأنحوين جريم تدور مناقشة بين العمدة وأحد الفلاحين .
فيقول العمدة الالماني للفلاح الالماني ، يجب أن تتعلم اللغة الفرنسية لكي
أحاطك على أخطائك اللغوية والنحوية !

فالعمدة يطلب الى الفلاح أن يتعلم اللغة الفرنسية ، وهو ضامن انه
سيخطئ في النحو والصرف . وعلى ذلك يستحق العقاب ؟ فالعمدة يبحث عن
مبرر ليعاقب هذا المواطن المسكين .. في حين أن في استطاعة العمدة أن يعاقبه
لاى سبب !

شئ من هذا أحسست به وأنا أقرأ المقال الممتاز الذى كتبه المستشرق الالماني
باير يوهانس فى العدد الأخير من مجلة « فكر وفن » عن فلسفة الدكتور محمد
حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦) فاللقال جيد . والمادة التى يرجع اليها كثيرة
تشمل كل ماكتبه من مذكرات ويوميات وتأملات ثم قصة « زينب » .

والكاتب الالماني يرد أفكار الدكتور هيكل الى مصدر واحد هو : الثورة
الفرنسية .. أو على الاصح الى فلسفة روسو .. ومحاولة انسجام الفرد مع
الطبيعة . أو تقليد الفرد للطبيعة الخارجية .. فاذا أصبح الفرد منسجما مع المجتمع
والمجتمع منسجما مع الطبيعة تحقق العدل الاجتماعى النفسى . ومن هذا العدل

المزدوج تولد السعادة الانسانية . ولكن عندما يتناقض الفرد والمجتمع والمجتمع والطبيعة ، تتولد التعاسة العامة . ثم إن السعادة الفردية لا تولد الا من الحرية والنظام . وعلى الرغم من أن النظام الثابت للأشياء والعلاقات يقف في وجه الحرية . فالمعادلة الصعبة هي التوفيق المستمر لقيود النظام وانطلاقة الحرية ..

ولذلك فالكاتب الالماني يرى أن الدكتور هيكل نموذج عظيم للمفكر المعتدل الذي آمن بالغرب ثم خاب أمله . وعندما حاول أن ينقل لأبناء امته صورة لخبية الامل ، لم يقدم الا صورة لآماله السابقة ؟

والبحث طويل ولكنه نموذج جيد جدا لما يمكن أن يقع من ظلم على كاتب بحسن نية .. فالمستشرق الالماني يرسم قصرا انيقا ملونا لأفكار الدكتور هيكل ثم يسجنه فيه .. انه يفصل له ثوبا رقيقا «محزقا» . غير أن قاشه مستعار من مفكرين آخرين . ولكن المقال يجعلك تحس أن المستشرق الالماني قد أقام حفلة تكريم للدكتور هيكل . وأمام هذا التكريم له وللفكر العربي الحر - الليبرالى - يحسن أن ننسى إن كانت حفلة تكريم مستعارة .. وان كان المحتفى به هو الذى سيدفع الحساب .. أو كانت تكاليف الحفلة مؤجلة الدفع .. لقد قدم للدكتور هيكل تاجا من الذهب خانقا للرأس وساحقا له .. كأنه علمه اللغة الفرنسية ليعاقبه على اسرافه فى التأثير بفلاسفتها ومفكرها ؟



لا يجب ..

لا يضحى !

عندما سئل المؤرخ الكبير ارنولد توينبي عن الاسباب التي جعلته مهتم بتاريخ
الانسانية ، أجاب في ١٥٠ صفحة ظهرت في كتابه المعروف باسم «تجاربى من
حياتى » .

فن الضرورى أن تكون هناك دوافع قوية له ولاى انسان يريد أن يحقق شيئا
ايجابيا فى حياته .

فهو انسان قلق ومن الضرورى أن يكون الانسان قلقا مضطربا .. يلتفت
يمينا وشمالا بعقله وقلبه وبقية الحواس . ولكن القلق دافع الى شئ . وليس فى
جميع الاحيان شيئا مفيدا .

ولذلك يجب أن يكون هناك الى جانب القلب : ضمير . فالضمير يدفعنا
الى فعل ما هو نافع وما هو مفيد لنا ولغيرنا . فاذا وضعنا القلق الى جانب الضمير
ظهرت أمامنا شخصية قوية من الناحية الاخلاقية . ولكن ليس من الضرورى
أن تكون شخصية عالم كبير أو فنان عظيم . وانما شخصية انسان جاد مهذب

ولذلك لابد أن تكون هناك دوافع أخرى .

أى عوامل أخرى لا تكفى بأن تدفعنا الى الامام ، الى أى هدف وانما

تدفعنا الى الهدف البعيد الذى يكشف عن قدرتنا .. هذا الدافع هو حب الاستطلاع : أى الرغبة فى أن نرى وأن نفهم ما نرى .

وكان المؤرخ توينبى محبا للمعرفة . أما لماذا اختار التاريخ بالذات ؟ فلان امه كانت مؤرخة . وكانت تروى له كل قصص التاريخ الحديث والقديم قبل النوم وقبل الطعام . ولان امه كانت حريصة على أن يعرف ابنها التاريخ بصورة علمية . رفضت أن تجعله يسمع قصة واحدة من مربية أو خادمة . فلم تدخل بيتها خادمة أو مربية .. وكانت أمه أيضا تكتب له قصصا تاريخية طويلة ..

ولما سئل المؤرخ نفسه بعد ذلك : ولماذا التاريخ بالذات ؟ قال : لاننى اريد أن استمتع ..

فلا بد أن يكون الفن والعلم الذى يقبل عليه الانسان شيئا ممتعا له عند قراءته وعند كتابته . وأن ننقل هذه المتعة الى القارئ .

وأهم من ذلك أن يكون عاشقا فالذى لايجب لايضحى . والذى لايعرف التضحية لايفهم كل القيم الاخلاقية والجمالية . ولذلك فالتاريخ الذى أحبه توينبى هو صورة مضطربة صارخة منطقية أيضا لحب الانسان للقوة والجمال والخير والحرية . أى لحب الانسان للدين .. ولم يكن الانسان فى أى يوم من الايام بلادين - أيا كان هذا الدين - يعبد حيوانا أو شمسا أو .. آلهة .. أو الها .. أو انسانا أو نظاما !



رقم الزداع . ٨٨/٢٥٠٥
الزليم المولى : ١ - ١٩٩ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروة

القاهرة ٨٠ شارع سيويه المصرى - ت. ٤٠٢٣٩٩٠ - فاكس. ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩٠ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

